إهداء
إلى أستاذنا الفاضل الدكتور أحمد عزام
نائب رئيس جامعة عين شمس
مع وافر التقدير والاحترام
١٩٧٢/٢/٦

دكتور
رأفت غنيمي الشيخ

تطور التعليم في ليبيا
في العصور الحديثة

الطبعة الأولى
١٩٧٢م

دار التنمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خلت المكتبة العربية من مرجع عن التعليم فى ليبيا عبر عصورها التاريخية ، كما خلت الدراسات والبحوث الجامعية العلمية من أى اهتمام بهذا القطر العربى الناهض ، وبصفة خاصة فى ميدان التعليم الذى يتميز بالخطر والأهمية فى تشكيل الفرد والمجتمع ، بما يضع هذا المجتمع فى دوره من التقدم أو التخلف تبعا لما أصابه من التعليم .

ولا شك أن هذا الاهمال جاء نتيجة تأثيرات القوى الأجنبية التى حكمت ليبيا — خاصة فى عصورها الحديثة — وحاولت عزلها عن شقيقاتها الدول العربية ، بل وعزلها عن التطورات الحديثة فى مجال التقدم العلمى فى ميدان العلوم الطبيعية وفى ميدان العلوم الانسانية ، فى عصور يتم فيها التحول من أفكار وقيم تقليدية رغبة فى التغيير الى عصر يتميز بأنه عصر الشعوب الذى نعيشه الآن .

والذى يعيش فى ليبيا فى الوقت الحاضر يشعر بما أقدمت عليه القوى الأجنبية — فى عصور تحكمها فى مقدرات الأمور فى تلك البلاد — من اجراءات وسياسات عاقت ليبيا عن الأخذ بأسباب التقدم فى مختلف نواحيه ويشعر بالمشكلات التربوية والتعليمية التى تحتاج الى حلول شاملة .

ان ظهور أو وجود مشكلات فى ميدان التربية والتعليم فى ليبيا فى الوقت الحاضر انما يرجع الى عهود خلت عانى فيها هذا الميدان الاهمال الكبير من قبل المتسلطين على مقدرات الأمور فى البلاد ، وأهم هذه المشكلات هى :

- **مشكلة تفشى الأمية بين ابناء الشعب العربى فى ليبيا .**
- **مشكلة تخلف البنت فى التعليم .**
- **مشكلة تمويل التعليم .**
- **مشكلة التعليم الفنى والمهنى .**
- **مشكلة عدم الترابط بين التعليم والتنمية فى البلاد .**

كل هذه المشكلات الأساسية وغيرها من المشكلات الملحة فى ميدان التربيـــة والتعليم فى ليبيا ، والتى تبـــذل الجهود من أجــل معالجتها ، استوقفتنى للتأمل ــ كما استوقفت البعض ــ وتساءلت عن السر فى وجود مثل هذه المشكلات ، وكان ذلك عام ١٩٦٧ م عندما جئت الى طرابلس معارا للتدريس بمعاهد المعلمين والمعلمات .. ولمـاذا وجدت ومازالت موجودة مثل هذه المشكلات فى ميدان التربية والتعليم ؟ .

وطوال أربع سنوات عملت فيها بطرابلس ، أسهمت أثناءها فى اعداد البحوث التربوية والتاريخية وتقدمت بدراسات وبحوث للمؤتمرات التربوية، واطلعت على تقارير وزارة التربية والتعليم بطرابلس وتقارير هيئة الأمم المتحدة عن ليبيا .. بدأت البحث الذى تقدمت به الى كلية الآداب جامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب ، وتم تسجيل الموضوع تحت عنوان : تاريخ التعليم فى ليبيا فى العصور الحـديثة ، واستكملت البحث وتمت مناقشته فى ١١ سبتمبر عام ١٩٧١ م وحصلت به على درجة الدكتوراه فى الآداب بمرتبة الشرف .

وقد استغرق منى هذا البحث جهدا مضنيا ، وذلك لعدم توفر المصادر العلمية فى الموضوع بدرجة كافية ، وعند اختيارى للموضوع تم لقـاء فى مكتب الأستاذ الدكتور عمر التومى الشيبانى ــ مدير الجامعة الليبية الآن ــ بوزارة التربية والتعليم بطرابلس ، والأستاذ الدكتور محمد الهادى عفيفى ــ رئيس قسم أصــول التربية بكلية التربية جامعة عــين شمس بالقاهرة ــ الذى كان يعمل خبيرا للتخطيط التربوى بوزارة التربية والتعليم بطرابلس ، وناقشت الموضوع مع الأستاذين الفاضلين فى هــذا اللقاء ، وقد أبدى الأستاذان الفاضلان ــ وكان ذلك فى نوفمبر عام ١٩٦٧ م ــ اشفاقهما على لاختيارى هذا الموضوع لعدم وجود مصادر كافية ، للبحث العلمى .

ولكنى بدأت البحث العلمى والميــدانى فى نفس الوقت فقرأت كل وثيقة ــ التى بلغت بالمئات ــ خاصة بالبحث موجودة بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس ، واجتمعت مع عدة شخصيات معمرة واستمعت

الى رواياتها المبنية على مشاهدة ومعاناة ومعايشة للأحداث التاريخية التى مرت بليبيا ، وتعلمت اللغـة الايطالية بالمركز الثقافى الايطالى بطرابلس لأستعين بها فى البحث .

وكانت دراستى العلمية مرتبطة بالعمل الميدانى حيث عايشت المشكلات التعليمية القائمة حاليا فى البلاد ، وأدركت عناصر كل مشكلة ، وساهمت بقدر جهدى فى ابراز ما أراه من حلول لهذه المشكلات ، فظهرت لى أبحاث تربوية علمية ، ومحاضرات ميدانية ومؤلفات تتناول هذه الموضوعات ذات الأهميـة .

ومن ثم جاء بحثى ليكشف عن جذور المشكلات التربوية والتعليمية التى تعانيها ليبيا الآن ، والتى تحتاج الى اصلاح شامل ، فى عالمنا المعاصر الذى يتطلب أن يرتبط الاصلاح فى مجال التربية والتعليم ارتباطا وثيقا بالاصلاحات الأخرى التى تخطط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغير ذلك من نواحى الاصلاح .. وهـذه النظرة الشاملة فى الاصـلاح والتقـدم هى سمة من سمات العصر الحاضر الذى يتطلب تكتيل الجهود فى جوانب حياة المجتمع الأخرى كالانتاج والوعى والارتقاء بمرفق التعليم وغير ذلك من جوانب حياة المجتمع .

وهذا الكتاب الذى أقدمه للمكتبة العربية هو البحث الذى حصلت بمقتضاه على درجة الدكتوراه ، وأقدمه بعد أن أخذت بملاحظات الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة وهم : الأستاذ الدكتور محمد أحمد أنيس أسـتاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور محمد الهادى عفيفى رئيس قسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة عـين شمس ، والأستاذ الدكتور رجب حراز أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة القاهرة الذين أدين لهم بالشكر والتقدير على ما أولونى من عناية وتوجيه .

ويسعدنى أن أتقدم بالشكر أيضا للحاج محمد الأسطى الذى وضع أمامى كل وثيقة خاصة بالبحث فى دار المحفوظات التاريخية ، وكذلك الحاج عبدالسلام أدهم زميله بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، والى الأستاذين محمد بهجت القره مانلى ومحمود أبو حامد أتقـدم بالشكر أيضـا على التسهيلات والمساعدات التى لقيتها بدار المحفوظات بطرابلس ومكتبة مراقبة

آثار طرابلس • كما أشكر الأستاذ الفنان التميمى زين الدين على تصميم غلاف الكتاب •

ومن المعلوم أن نظام التعليم فى أية دولة يتأثر بل ويرتبط بما يسود الدولة من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ، فان نظام التعليم فى ليبيا ارتبط طوال تاريخها — وبصفة خاصة فى عصورها الحديثة التى خضعت فيها ليبيا لحكم أجنبى تسلطى — بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت البلاد ابان هذه العصور التاريخية •

لذلك فاننى تناولت هذه النظم بشىء من الايجاز فى كل عصر تاريخى قبل الدخول الى مجال التعليم ، أى أننى أوضحت ما يسود ليبيا من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية كتمهيد للعصر التاريخى ثم انطلق منه لايضاح تنظيمات التعليم فى ذلك العصر ومدى تأثرها بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع •

فمثلا عند الحديث على العصر العثمانى فى حكم ليبيا أوضحت التنظيمات السياسية باعتبار ليبيا ولاية عثمانية تحكم بوالى معين من قبل السلطان العثمانى ويساعده رجال الحامية والديوان ، ولم يشترك أهل البلاد فى حكم أنفسهم ، كما أوضحت التنظيمات الاقتصادية حيث سارت أمور البلاد الاقتصادية — زراعة وتجارة دون صناعة تذكر — دون توجيه أو رعاية ، كما أوضحت أيضا التنظيمات الاجتماعية حيث كانت الطبقة الأولى من المجتمع هى الطبقة التركية وأهل البلاد أقل منزلة •

وكان لابد أن يتأثر التعليم بهذه التنظيمات العثمانية فيجد التعليم كل اهمال من قبل الولاة العثمانيين ، ويتحمل الأهالى تمويل التعليم بايقاف الأوقاف على المؤسسات التعليمية التى ينشئونها ، ولا يجد تعليم البنت العناية التامة ، وكذلك التعليم الفنى ، بل لم يدخل التعليم الحديث ليبيا الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، رغم أنه لم يكن حديثا متطورا كما ينبغى •

فاذا جاء العصر الايطالى وجدنا التنظيم السياسى الذى أقامته سلطات الاحتلال الايطالى فى ليبيا يقوم على اعتبار ليبيا مستعمرة وشعبها يجب ابادته ليحل محله ايطاليون يقيمون فى مزارع انتزعت من يد أصحابها

الليبيين ، وابعاد أهل البلاد عن الحكم ، كما وجدنا التنظيم الاقتصادى يقوم على استغلال خيرات البلاد لفائدة الايطاليين وايطاليا فقط ، وحرمان أصحاب البلاد من خيرات أرضهم • كما وجدنا التنظيم الاجتماعى باعتبار الطليان سادة وأهل البلاد عبيدا يخدمون هؤلاء السادة لأن الليبيين فى نظر الاستعمار الايطالى « شعب مستعمرة » ومن ثم حوربت لغة أهل البلاد ــ وهى اللغة العربية ــ كما حورب الدين الاسلامى ، دينهم ••

وقد تأثر التعليم بهذه التنظيمات ، اذ ألغت سلطات الاحتلال الايطالى المدارس التى أقامها أو ساهم فى اقامتها الحكم العثمانى فى أواخر سنواته بليبيا ، وفرض نظام تعليمى ــ ابتدائى فقط ــ يستهدف « طلينة » حياة المواطنين العرب الليبيين بفرض اللغة الايطالية ونظام التعليم الايطالى على أبناء المواطنين بل وعلى المواطنين أنفسهم فى معاملاتهم مع سلطات الحكم لقضاء مصالحهم •

وبالمثل كان تأثير النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى عهد الادارتين البريطانية والفرنسية على التعليم واضحا أظهرته المخططات التى استهدفت تجزئة الوطن الواحد الى ثلاثة أقاليم منفصلة ، بل وابعاد ليبيا عن الاتصال بشقيقاتها الدول العربية خاصة مصر مخافة التأثر بالروح القومية فيطالب الليبيون بالاستقلال وبالوحدة الوطنية ثم بالوحدة العربية •

ولكن الشعب العربى فى ليبيا لم يستسلم لهذه المخططات بل قاومها واستمر فى مقاومته لها حتى بعد انتهاء حكم الادارتين الأجنبيتين ــ الانجليزية والفرنسية ــ حتى انتصر فى الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ م عندما أعلن الشعب العربى فى ليبيا ثورته التى أعادت الى البلاد وجهها العربى ، والتى تعمل على تصحيح مسار الحياة بمختلف نواحيها بما يدفع البلاد فى سبيل التقدم العلمى ملتزما فى نفس الوقت الايمان وتعليمات وشرائع ديننا الحنيف والاتجاه العربى الوحدوى •

والله أسأل أن يوفقنا فى خدمة وطننا العربى الكبير •

دكتور رأفت الشيخ

طرابلس فى ٢٤ فبراير ١٩٧٢ م

مجالات البحث

تناولت فى بحثى السياســة التعليمية التى اتبعت فى ليبيــا فى عصور حكمت ليبيــا فيها قوى أجنبية أهمها القوة العثمانية ، والقوة الايطالية • وكل قوة كان لهــا أهداف معينة تسعى الى تحقيقها ومن ثم ترسم السياسة التى تحقق هــذه الأهداف وتعمل على تنفيذها •

ورغم ما قد يبــدو لأول وهلة من خلاف بين القوتين فى الأســلوب والمظهر لكون القوة الأولى جاءت الى البــلاد بطلب من بعض الوطنيين لمساعدتهم على التخلص من تسلط صليبى ورغم أن هــذه القوة الأولى ــ وهى تركيا ــ دولة اسلامية دينها الرسمى هو الاسلام الذى هو دين الشعب العربى فى ليبيــا •

ورغم أن القوة الثانية وهى ايطاليا جاءت البلاد قسرا وبالقوة المسلحة الحديثة دون أن تجد ــ كما وجدت تركيا ــ ترحيبا من الشعب العربى فى ليبيــا بل على العكس واجهت مقاومة عنيفة ، ورغم أن هــذه القوة الثانية مهدت لمجيئها الى ليبيا بأساليب اقتصادية ودعائية وثقافية •

رعم هذا وذاك فان القوتين اللتين احتلتا ليبيا ــ تركيا مكثت بالبلاد ثلثمائة وستين سنة ، وايطاليــا بقيت فى ليبيــا اثنتين وثلاثين ســنة ــ هاتان القوتان توحــدت أهدافهما وان اختلف أسلوبهما فى تنفيذ هــذه الأهــداف •

فقد ادعى كل من الأتراك والايطاليين أنهم انما جاءوا لتمدين الشعب العربى فى ليبيــا ، وأن ليبيا بلاد فقيرة متخلفة ، ومن ثم اتبعت السلطات العثمانية سياسة (التتريك) بدعوى الأخذ بيد الشعب العربى فى ليبيا ،

بينما اتبعت القوة الايطالية الغاشمة سياسة (الطلينة) بحجة أن من العار على ايطاليا أن تظل ليبيـــا متخلفة وجارتها ايطاليا تستخدم أساليب الحياة الحديثة فى مختلف نواحى الحياة •

وكان التعليم مجالا هاما تنفذ منه السياسة المرسومة لكلا القوتين•• ولكن هل كانت ليبيـــا خالية من أى نشـــاط تعليمى كما ادعت القوتان الاستعماريتان ؟ •• ألم تكن هناك خلفية تعليمية على مر التاريخ فى ليبيا كما ادعت القوات المحتلة ؟ • وهل وجدت السياسة التعليمية التى نفذتها تركيا وايطاليا فى ليبيا المجال بكرا خاليا من برامج تعليمية ؟ •

لقد وجد فى ليبيا عبر عصورها التاريخية منذ الفتح العربى الاسلامى نشاط تعليمى كان أصيلا وان كان تقليديا لأنه ارتبط بالعـــلوم التقليدية خصوصا علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والسنة الشريفة وهى مقومات الثقافة العربية الاســـلامية التى كانت النبع الذى ينهل منه كل مسلم ، وكان هذا النشاط التعليمى قائما بجهود شخصية •

ويعنى هـــذا أن الحكم التركى واجه فى ليبيـــا تعليما عربيا اسلاميا يتركز فى المساجد والزوايا والكتاتيب والرباطات ، وقام على هذا التعليم علماء أجـــلاء فى فروع الثقافة العربية الاسلامية وبلغ من قوة هذا التعليم أن الأتراك لم يستطيعوا القضـــاء عليه حتى بما أقاموه فى أواخر أيامهم فى البلاد من نظام تعليمى (حديث) •

وعندما جاء الايطاليون كان التعليم الدينى الاسلامى العربى فى ليبيا صامدا أمام جحافل الغزو الاستعمارى المســـلح والفكرى ، بينما انهار النظام التعليمى الذى أقامه الأتراك فى البـــلاد تحت أول ضربة للقوات الايطالية ، مما يؤكد قوة هذا التعليم العربى الاسلامى الذى تمتد جذوره فى البلاد الى مئات السنين والمرتبط بمـــا يدين به الناس ويعتقدونه •

ورغم محاولات القـــوة الاستعمارية الايطالية لطمس معـــالم الثقافة العربية الاسلامية فقد جاهد المواطنون فى الابقاء على تراثهم الثقافى حتى ولو اضطرهم الأمر الى الخروج من البلاد والحصول على التعليم العربى الاسلامى بالجامع الأزهـــر بمصر أو بجامع الزيتونة بتونس أو بانتشار الكتاتيب والمدارس الخاصة بعيدا عن أعين المستعمرين •

اذن صمد التعليم العربى الاسلامى لغزوات (التتريك) و (الطلينة) ، وانتهى الأمـــر كما نعرف ببقاء هـــذا التعليم وطرد محاولات (التتريك) ومحاولات (الطلينة) ، لأن هذه المحاولات وتلك لاتنسجم مع طبيعة هذا الشعب العربى المســـلم ولا تتفق مع مادرج عليه خـــلال سنوات طويلة من تاريخه •

وتتركز مشكلة البحث فى عدة نقاط هى :

(أولا) التعليم العربى الاســـلامى فى ليبيـــا :

ـــ ما مقومات هذا التعليم وما هى ميادينه ووسائله ؟ •
ـــ ما مدى قوة هذا التعليم وصموده أمام محاولات طمسه ؟ •
ـــ هل أدى هذا التعليم دوره فى تماسك الشعب العربى فى ليبيـــا وصموده أمام قوات الغزو ؟ •
ـــ ما تأثير هذا التعليم على كل تشريع تعليمى جاء حتى بعد انتهاء الاستعمار من الحكم المبـــاشر لليبيا ؟ •

(ثانيا) التعليم فى العصر التركى :

ـــ هل أقام الأتراك فى ليبيـــا نظاما تعليميا حديثا طوال ســـنوات حكمهم ؟ •
ـــ نعم أقام الأتراك فعلا بعض المدارس على النظام الحديث فى أواخر حكمهم لليبيا •• ولكن هل فتحت هذه المدارس أمام جميع أبناء الشعب ؟ •
ـــ هـــل كانت هناك خطة مرســـومة لفتح المدارس وتنظيم التعليم من قبل الأتراك ؟ •
ـــ ما دور الشعب العربى فى ليبيا نحو المشروعات التعليمية ؟ •
ـــ ما موقف الشعب العربى فى ليبيا من محاولات (التتريك) ؟ •

(ثالثا) التعليم فى العصر الايطالى :

ـــ ادعى الايطاليون أنهم انما جاءوا لتمدين الشعب العربى فى ليبيا•
* فهل التمدين يعنى حرمان المواطنين العرب من فرص التعليم الحـــديثة ؟ •

* وهل التمدين يأتى عن طريق محاربة اللغة العربية والدين الاسلامى ؟ .
* وهل التمدين فرض الجنسية الايطالية واللغة الايطالية على كل الشعب ؟ .
* وهل التمدين حرمان لأبناء الشعب العربى من الاتصال بأشقائهم العرب فى مصر وغيرها ؟ .
* وهل التمدين هو معاملة الشعب صاحب البلاد باعتباره عبدا للايطاليين واعتبار ليبيا مستعمرة ايطالية ؟ .

(رابعا) مستقبل التعليم بعد رحيل الايطاليين عن البلاد :

— لماذا اندفع المواطنون العرب نحو تعليم أبنائهم والمطالبة بفتح المدارس لهم ؟ .
— ما موقف سلطات الادارتين البريطانية والفرنسية من مطالب المواطنين ؟ .
— ما هو المخطط الاستعمارى لتقسيم البلاد الليبية الى ثلاثة أقاليم منفصلة عن بعضها ؟ .
— كيف واجه الشعب العربى فى ليبيا هذا المخطط وكيف قضى عليه ؟
— ما دور التعليم وما مستقبله ؟ .
— كيف ارتبط التعليم فى ليبيا بنظام التعليم فى مصر ؟ .

لماذا اخترت هذا الموضوع للبحث ؟ ..

بعد أن استعرضت مشكلة البحث التى تتركز حول سياسة القوى الاستعمارية التعليمية وتأثيرها على المواطنين العرب فى ليبيا .. لابد من الاجابة على هذا السؤال .. لماذا اخترت هذا الموضوع ؟ .

جاء اختيارى لهذا الموضوع للأسباب التالية :

أولا : لم تهتم الدراسات الأدبية كثيرا بنشاط الشعب العربى فى ليبيا وتاريخه التعليمى لدرجة أنه لا يوجد مؤلف يتحدث عن التعليم فى ليبيا خلال العصور التاريخية ولعل مالاقته ليبيا من اهمال أثناء الحكم التركى بدرجة لاتقارن بغيرها من الولايات العثمانية

بحجة فقر ليبيا وقـلة أهميتها للسلطنة هو التفسير لانصراف الكثيرين من المؤلفين والباحثين عن الدراسة الجادة المنصفة لهذا الشعب العربى •

ومن ثم جاء بحثى ليضع الأمور فى نصابها بصورة لم يسبقنى أحد اليها •• وهذا فى حد ذاته شيء جديد كل الجدة الى جانب اظهار الحقائق التى تتحـدث عن النشاط الثقـافى والتعليمى الاسلامى العربى فى ليبيا فى اطار جديد أيضا ••

ثانيــا : وحتى فى أثناء الحكم التركى تحدثت المؤلفات العربية أو الأجنبية التى تناولت تاريخ ليبيا عن اهتمام السلطات العثمانية بالتعليم الحديث ، وهذه المؤلفات متأثرة بالدعاوة التركية •• ولكنى أثبت بالوثائق أن التعليم فى العصر التركى حتى ما عرف بالتعليم الحديث الذى وجد فى السنوات الأخيرة من الحكم العثمانى لليبيا قام أساسا على يد أبناء الشعب ، بمعنى أن المواطنين كانوا يتبرعون بالأموال لبنـاء المبنى واحضار الأدوات ودفع مرتب المعلم ــ وقد كان المواطنون يستعطفون الحكام الأتراك لتعيين معلم كفء ليعلم أبناءهم •

ثالثــا : أشاع الأتراك أن وجودهم فى ليبيا ــ وفى غيرها من الأقـطار الاسلامية ليس احتـلالا استعماريا ولكنه حكم الأخ الأكبر للأخوة الصغار واشرافه عليهم ، وأنه حتى الثورات الاستقلالية التى كانت تقوم هنا وهناك كانت ضد ظلم الولاة وسوء الادارة وليست ضد الوجود التركى نفسه •• ولقـد أثبت بالوثائق أيضا خطأ هـذه الدعوى وأوضحت تبرم الأهالى بكل ما هو تركى حتى اللغة التركية نفسها ••

رابعــا : لم تشر المؤلفات الى وجه ليبيا العربى الوحدوى عـبر تاريخها الطويل ولقـد أثبت عن طريق روايات المعمـرين الليبيين ومن التقـارير والذكريات حقائق جـديدة تؤكد تمسك الليبيين بعروبتهم وبرغبتهم فى الوحـدة العربيـة ، فما ثورات غومة

المحمودى فى الجبل الغربى وغيره ضد الحكم التركى الا دعوة للقومية العربيـــة واعتبار تركيا دولة استعمارية كما أن مطالبة حـــزب الاتحاد المصرى الطرابلسى بالوحـــدة بين ليبيا ومصر فى (الأربعينات) ماهى الا تأكيد لوجه ليبيا العربى الوحدوى .

خامسا : ادعى (الطليان) أنهم أدخلوا تعليما حـــديثا للقضاء على تخلف الشعب العربى فى ليبيـــا ، ولقـــد أثبت بالوثائق والتقـــارير والاحصاءات كذب هـــذا الادعاء وأوضحت الفرص التعليمية التى أتيحت للمواطنين العرب أثنـــاء الحكم الايطالى وقارنتها بالفرص التعليمية المتاحة لأبناء الايطاليين المقيمين فى البلاد بل والفرص المتاحة لأبناء اليهود .. وقد أوضحت بالأرقام الفرص التعليمية كما وكيفا لأصـــحح وقائع غـــير حقيقية روج لهـــا الايطاليون .

سادسا : حاول الانجليز والفرنسيون فى الأربعينات تقسيم البلاد تقسيما حادا ليخضـــع كل قســـم لنفوذ دولة استعمارية ، وأســـهموا فى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد ولقد أثبت هذه الحقائق التى تدمغ الحكم البريطانى الاستعمارى بصفة خاصة . كما أثبت مجهودات المخلصين من المواطنين لتأكيد الوحدة الوطنية ..

سابعا : أرجو أن يكون هذا البحث قد سد فراغا فى المكتبة العربية عن الموضوع ، وهـــذا البحث الذى استغرق منى دراسة وتنقيبا واتصالات مع المواطنين العـــرب الليبيين الذين عايشتهم طوال هـــذه السنوات الأربع يعتبر فى حد ذاته جديدا .. كما أننى اطلعت عـــلى وثائق ودرستها لم يقـــم أحـــد بدراســـتها أو نشرها .

ثامنـــا : لقـــد استندت فى بحـــثى أولا على الوثائق العربيـــة والتركية والايطالية الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس، وهذه الوثائق عبارة عن مجموعات من الرسائل والأوامر التى تتضمن معلومات عن التعليم فى العصرين التركى والايطالى .

وقد وضعت فى ملفات كتب على كل ملف كلمة (المعارف) أى الوثائق الخاصة بالتعليم وهى غير مرقمة وليست مصنفة ولذلك جاءت اشارتى لهـا فى البحث على النحو الذى توجد به فى دار المحفوظات التاريخية ولقد قضيت أوقاتا كثيرة فى التنقيب عن هذه الوثائق وقد ساعدنى فى ذلك أستاذ فاضل له المـام تام باللغات التركية والايطالية وهو (الحاج محمد الأسطى) الذى يعمل بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

كما قمت بالاطلاع على قوانـين التعليم وهى مطبوعة مـع مجموعة القوانين الصادرة فى العهد الايطالى وهى موجودة بدار المحفوظات التاريخية أيضـا •• واطلعت على بعض المراجـع الايطالية فى المركز الثقافى الايطالى بطرابلس •• وقـد وجدت المساعدة أيضا فى الترجمة من هذه المراجع •

ووجدت فى مكتبة الأوقاف والمـكتبة الحكومية بطرابلس بعض المراجع العربية التى استفدت منها فى تحقيق الأحـداث التاريخية كما استفدت من المراجـع الموجودة بالمركز الثقـافى العربى بمدينة طرابلس • ولقد قرأت جميع التقارير التى كتبها بريطانيون وايطاليون وفرنسيون أعضـاء فى الادارة الأجنبية لادارة شئون ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية وتقارير مندوبى الأمم المتحدة فى ليبيا الى جانب تقارير وزارة التربية والتعليم بطرابلس •

الباب الأول

العصر العثماني

١٨٣٥ / ١٩١١ م

الفصل الأول

نظرة عامـة عن الحـكم العثماني لليبيـا

من ١٩١١/١٥٥١ م

- **مقـــدمة .**
- **العصر العثماني الأول**
  من ١٧١١/١٥٥١ م
- **العصر العثماني الثـاني (القرهمانلي)**
  من ١٨٣٥/١٧١١ م
- **العصر العثماني الثـالث**
  ١٩١١/١٨٣٥ م

مقدمة

ترجع أهمية ليبيا — التى جعلتها مطمع القوى المتصارعة فى البحر الأبيض المتوسط — الى أنها رأس جسر بين مصر فى الشرق وبقية بلاد الشمال الافريقى فى الغرب ، فهى بمساحتها الواسعة المترامية الأطراف تعتبر معبرا لحجاج الشمال الافريقى المسلمين الى مكة المكرمة ، ثم انها معبر للتجارة بين أفريقيا وأوروبا حيث كانت « مركزا لثلاث طرق قوافل : الأولى تتجه جنوبا عبر واحة فزان الى بحيرة تشاد ، والثانية تنعطف جنوبا غربا عبر غدامس وغات الى تمبكتو الأسطورية والثالثة تسير جنوبا شرقا عبر واحة الكفرة الى واداى ودارفور الغنى بخصبه وثرواته » . (1)

وكانت طرابلس وهى أكبر مدن ليبيا هى مركز الحركة التجارية وهى مطمع لكل المغامرين والمستعمرين ، وذلك لوقوعها على البحر المتوسط فى مواجهة دول أوروبا حيث كانت تتصل بهذه الدول عن طريق البحر الى جانب تزويدها للسفن بالمؤن والحماية ولذلك صار لها تاريخ بحرى هام الى جانب أهميتها التجارية كسوق لبضائع الدول الأوروبية الصناعية.

وتنقسم مساحة ليبيا الى قسمين رئيسيين : الشريط الساحلى الخصب الذى يضم المدن الرئيسية ، والذى تقوم به معظم النشاطات الزراعية معتمدة على الأمطار ، والقسم الثانى يقع الى الجنوب من الشريط الساحلى الضيق نوعا وهو يشمل الصحراء التى تمتد الى حدودها مع الجزائر والنيجر وتشاد والسودان ومصر ، وهى صحراء قاحلة تكاد تخلو من أى حياة الا فى بعض الواحات المتناثرة التى تقوم حولها بعض المدن الصغيرة ، وتكاد المنطقة الصحراوية تخلو من المرتفعات الكبيرة فيما عدا جبل غريان معقل البربر .

---

(1) ريتشارد توللى ، عشر سنوات فى بلاط طرابلس — ص ٨ .

كان سكان ليبيا الأصليون من البربر ، ثم لمـا دخلها الفتح العربى دخل معه عدد من العرب استوطنوا ليبيا ، الا أن عددهم حتى أوائل القرن الخامس الهجرى ــ الحادى عشر الميلادى ــ لم يكن كافيا لصبغها كلها بالصبغة العربية نهائيا ، فظل الغالب على سكانها ــ خاصة فى الداخل ــ العنصر البربرى • لكن الذى أتم لليبيا عروبتها هو مجىء قبائل بنى سليم وبنى هلال فى أواسط القرن الخامس الهجرى ــ الحادى عشر الميلادى ــ وقد استقر بنو هلال فى طرابلس وتونس ، أما بنو سليم فقد استوطنوا برقة وحافظوا على ما عندهم من عادات وتقاليد عربية ، وامتزج ما تبقى من البربر بهم حتى صارت برقة عربية تماما والى بنى هلال يرجع الفضل فى تعريب طرابلس وتونس والجزائر •

ولم يـكن لسكان ليبيـا قبل الفتح العربى وهم البربر لغة مكتوبة يستطيعون التخاطب بها واستعمالها ، ولذلك جاءتهم اللغة العربية مع الفتح العربى الاسلامى فقبلوها وقبلوا معها كتابها الكريم ــ القرآن ــ فدخلوا الاسلام دون قسر أو الزام لأنهم رأوا فيه خلاصا من حالة اجتماعية لا دينية وانتقالا من الضلالة الى الهدى •

وقد توالت على ليبيا الحوادث والخطوب التى أثرت فيها تأثيرا كبيرا قبل مجىء العثمانيين فقد تعرضت طرابلس لغزوات من النورمان من صقلية فى القرن الثانى عشر سببت الخراب لكثير من أحياء المدينة واضطر أهلها لدفع جزية كبيرة لمـدة طويلة ، كما خضعت ليبيا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين للحفصيين الذين لم يكن يعنيهم من أمر ليبيا سوى الحصول على أموالها ، لذلك كثيرا ما أصاب المدن الليبية الخراب بسبب تخاصم أصحاب النفوذ وتعرضها لهجمات البـدو وبخاصة أيام القحـط والجـدب •

وفى سنة ١٥١٠ م هاجم الأسبان طرابلس واستولوا عليها ، وكان ذلك نتيجة لذلك الصراع الهائل الذى قام بين العثمانيين والأسبان خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من أجل السيادة البحرية على البحر الأبيض المتوسط ذلك الصراع الذى جعل ملك أسبانيا يهـدى طرابلس

ويتنازل عن احتلالها لفرسان القديس يوحنا بمالطة عام ١٥٣٥ م الذين اتخذوا من جزيرة مالطة مقرا لهم بعد أن طردهم العثمانيون من جزيرة رودس ، وذلك الصراع الذى جعل فرسان مالطة يناوئون البحرية العثمانية فى البحر المتوسط ، وذلك الصراع الذى انتهى باحتلال العثمانيين لليبيا وطرد فرسان القديس يوحنا من طرابلس عام ١٥٥١ م .

كان المورد الرئيسى للثروة فى ليبيا الحبوب والحيوانات والتجارة ، ولم تكن الزراعة مزدهرة لأنها تتوقف على الأمطار ، وقبيل نهاية القرن التاسع عشر بدأت الطرق التجارية تتحول تدريجيا عن ليبيا ، اذ قامت فى غرب القارة الافريقية موانىء أصبحت البضائع ترسل اليها . وصدق على ليبيا فى نهاية القرن التاسع عشر وصف أحد الرحالة حيث قال : « ان المياه فيها معدومة والشجر فيها مفقود ، الا النخيل والزيتون فى الساحل وتكاد التجارة فيها تكون لا أثر لها ، بل ويمكن القول حتى بأنها لا موانىء لها » . (١)

واذا كانت هذه حالة ليبيا فلم يكن غريبا أن يكون عدد السكان فيها قليلا جدا ، لا يتناسب مع مساحتها المتسعة ، وكان معظم هؤلاء السكان يتركزون فى المدن الساحلية وفى الواحات المتناثرة فى صحرائها الشاسعة ، وقد قدر عدد هؤلاء السكان فى أواخر القرن التاسع عشر بحوالى ثلاثة أرباع المليون نسمة فقط ، وهو عدد قليل جدا يعيشون فى مساحة تقدر بحوالى مليون وثلاثة أرباع المليون (١٫٧٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع) من الكيلومترات المربعة .

وما دمنا نتصدى للحديث عن تطور التعليم فى ليبيا فاننا يجب أن نتعرض للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الى جانب الظروف السياسية ، انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن التعليم فى أية دولة من دول العالم يتأثر بل ويرتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة فى تلك الدولة .

وفى الصفحات التالية نستعرض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ثم نستعرض النظم السياسية والأحداث التاريخية فى العصور العثمانية

(١) نقولا زيادة ، ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال — ص ٦٠ .

الثلاثة : العصر العثمانى الأول ، والعصر العثمانى الثانى (القرهمانلى) ، والعصر العثمانى الثالث .

أولا – الظروف الاجتماعية :

ان الظروف الاجتماعية ذات تأثير كبير على التعليم ، ومن هنا جاء اهتمامى بها فى هذا المقام باعتبار المجتمع هو الوعاء الذى تتفاعل فيه الأفكار والنظم ، « ونقطة البداية فى أى مجتمع مجموعة عددية من الأفراد – وهم المادة الخام التى ينمو منها – تستمر فى وجودها وقتا كافيا ، يشبع خلالها الأفراد حاجتهم البيولوجية من تزاوج وتناسل ، ويصطبغون بالصبغة الاجتماعية نتيجة عوامل متداخلة متشابكة متكاملة من انتقال للأفكار ، وتكوين للانظمة ، وتحويل بيئتهم الطبيعية الى بيئة ثقافية تتنقل فيها الأشياء الى أدوات وموضوعات وأنظمة ذات معان بالنسبة اليهم والى حياتهم الجماعية » . (1)

وبالنسبة للمجتمع العربى فى ليبيا فان العلاقات بين أفراد المجتمع تقوم على أساس الارتباط القبلى ، وهذا الارتباط يساعد على تماسك المجتمع بعض الشىء ، وان كانت الظروف والأحداث التاريخية قد حالت بين هذا الشعب العربى وبين التماسك والوحدة الوطنية ، وساعدت القوى التى سيطرت على مقدرات الأمور فى البلاد – فى العصر العثمانى والعصر الايطالى وعصر الادارتين الانجليزية والفرنسية – على وجود انقسامات بين القبائل وتناحر فيما بينها .

الا أن هناك مقومات أساسية جمعت بين أفراد الشعب الليبى منها أنهم « يكونون وحدة دينية ، الا من أقلية يهودية ، فغالبية الأهالى يدينون بالاسلام ، ويتبع جل هؤلاء المذهب المالكى بينما اتبع بعض أهالى الجبل الغربى وبلدة زوارة الساحلية المذهب الأباضى وعرفوا بالخوامس » . (2) هذا الى جانب أن اللغة العربية هى لغة كل أفراد الشعب العربى الليبى ،

(1) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى – ص ٣٢ .
(2) د. الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى – ص ٢١٧ .

مع وجود عدد قليل منهم يتكلمون الى جانب اللغة العربية ــ اللهجةالبربرية ولغة الطوارق ــ كما أن جميع الليبيين ، وحتى البربر ، من أصــل عربى أو تعربوا بالاختلاط ٠

وقد تأكدت عروبة الشعب العربى الليبى بمقاومته لمحاولات محاربة تراثه الثقافى العربى الاسلامى ، وتمسك كل فرد فيه بعروبته وبدينه بل وبأرضه وتاريخه « فالفرد لا ينتمى الا لمجتمع يشعر فيه بالزمالة ، ويحقق بين أفراده حاجاته ومطالبــه عن طريق علاقات تقوم على لغــة مشتركة ، وعادات وتقاليد مشتركة ، وتراث ثقافى مشترك ، ولعل هذا يفسر فشل المجتمعات الاستعمارية مثلا فى جذب أفراد المجتمعات التى خضعت لهــا ومحاولاتها لتذويب شخصياتهم فى ثقافة غير ثقافتهم » ٠ (١)

وكان من الأسباب التى ساعدت المجتمع العربى فى ليبيــا ، فى عصور خضوعه للعثمانيين والطليان وغــيرهم ، للمحافظة على عروبته أن معظم السكان كانوا يكونون مجتمعا بدويا ، وقد ظل هذا المجتمع البدوى بعيدا عن سلطات القوى المسيطرة على الأمور والتى تتخذ من المدن مراكز لفرض سيطرتها ، وقد تأثر هذا المجتمع البدوى بالبيئة الصحراوية فامتاز أفراده بالقوة والخشونة والمحافظة على العاداتوالتقاليد العربية والدين الاسلامى أى المحافظة على التراث الثقافى العربى الاسلامى ٠

وكان الى جانب هذا المجتمع البدوى مجتمع المدن الذى كان يزاول أفراده حياة أكثر تحضرا بسبب اختلاطهم ــ فى التعامل ــ مع أفرادالجاليات الأجنبية ٠ وكان معظم العرب فى المــدن يعملون بالتجارة ، ولم يهتموا بالصناعة التى استحوذ عليها أفراد الجاليات الأجنبية واليهود ٠

وتوجد فى البــلاد أعداد من الزنوج قدموا الى البلاد بسبب تجارة الرقيق أو موجودون فى الأصــل منذ الهجرات الزنجية الأولى من وسط افريقيا الى الشمال ، وقد اختلط هؤلاء أيضا بأهل البلاد الأصليين ، شأنهم فى ذلك شأن الأتراك الذين كونوا طبقة اجتماعية عرفت باسم القولوغلية ــ

(١) د. الهادى : التربية والتغير الثقافى ــ ص ٣٤ ٠

التى هى نتاج تزاوج وتناسل بين الضباط والعسكريين والموظفين الأتراك بالنساء الوطنيات الليبيات .

كما كان يعيش فى ليبيا أقلية يهودية كبيرة العدد ، وكانت هذه الأقلية موزعة فى اقامتها على أهم المدن الليبية ، وكانت هذه الأقلية نشطة فى حياة المجتمع الليبى اذ سيطرت على النواحى الاقتصادية فى البلاد ، وكانوا يجدون المعاملة الحسنة « فقد لاحظ ناحوم شلوس حين زار طرابلس سنة ١٩٠٦ م أن السلطات العثمانية كانت تعامل اليهود بالحسنى ، وأشاد بالوالى المشير رجب باشا الذى كان يعاملهم دوما بالحسنى والود ، وكان مستعدا أن يقدم الامداد والعون للاليانس الاسرائيلى (١) ـ كما ذكر شلوس أن فئة التجار من اليهود كانت تعيش فى أوضاع حسنة ، وأغنياء اليهود هم الذين كانوا يشاركون فى تجارة القوافل » (٢) .

وكانت الحياة الاجتماعية فى ليبيا تسير على النمط العربى المعهود من حيث العادات والتقاليد المتوارثة فى الملبس والمأكل والزواج والوفاة ، والأعياد والمناسبات الدينية ، وكان التدين صفة غالبة على الناس ، وقد كان هذا مجالا لظهور الطرق الصوفية وانتشارها . وكانت دخول غالبية أفراد المجتمع ترجع الى الزراعة البدائية والتجارة العادية الخاضعة لمنافسة اليهود ، وهذا أدى الى انخفاض مستوى معيشتهم ، وعانى الكثيرون منهم من الفقر .

هذه أحوال الشعب العربى الليبى فى العصور السابقة للحكم العثمانى وأثنائه ، والتى جاء الحكم العثمانى ليواجهها دون محاولة للتغيير ، وبقيت حياة الناس الاجتماعية متجمدة ، وقد ساعد هذا على بقاء التراث الثقافى العربى الاسلامى فى ليبيا رغم محاولات طمسه أو تجميده ، وهذه الأحوال أثرت بالطبع فى التعليم الذى هو هدف بحثنا .

---

(١) الاليانس الاسرائيلى يقصد به مؤسسات الاتحاد الاسرائيلى العالمى القائمة فى ليبيا كالمدارس والمعابد والملاجىء .
(٢) د. الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ـ ص ٢٢٧ .

ثانيا ــ الظروف الاقتصادية :

من المعروف أن مقومات الحياة الاقتصادية فى أية دولة من دول العالم هى الزراعة والصناعة والتجارة ، واذا نظرنا الى أحوال ليبيـا فى العهد العثمانى وما قبله نجد الظروف الاقتصادية بعناصرها الزراعية والصناعية والتجارية تسير على النحو التـالى :

(١) الزراعة :

كانت الزراعة قبل وأثناء وبعد العصر العثمانى فى ليبيا الى الستينات من القرن العشرين ، هى أهم قطاع فى الاقتصاد الليبى ، الى جانب تربية المـاشية « الذى كان يعمل فيــه ــ فى الزراعة وتربية المـاشية ــ أكثر من ٨٠ فى المائة من سكان البلاد ، كما كانت المنتجات الزراعية تمثل أكبر جانب فى الصادرات الليبية » •[١] الا أن الزراعة كانت تخضع لمدى توفر مياه الأمطار كل سنة حيث تخضع الأرض الليبية لمناخ حار جدا ومتطرف ومتقلب بين البحر المتوسط والصحراء الكبرى •

وتتركز الزراعة فى ليبيـا ــ آنذاك ــ فى السهول التى تنحـدر اليها المرتفعات والجبال حيث تتوفر مياه الأمطار أو الميـاه الجوفية التى تجود بمياهها طالما زادت الأمطار أيضا ، وعلى هذا فقد تركزت الزراعة فى السهل الساحلى وفى الجبل الغربى بطرابلس والجبل الأخضر فى برقة ، أما فزان فتعتبر أفقر المناطق الزراعية فى ليبيا ، اذ توجد الزراعة فقط حيث تتوفر عيون المياه فى واحات متناثرة عبر الصحراء الشاسعة الشديدة الحرارة ، ومعنى هذا أن الانتاج الزراعى فى فزان قليل ولا يساعد على تركز كثير من السكان ، ولهــذا يهاجر الكثيرون منهم الى طرابلس أو برقة •

والزراعة تدعو الناس الى الاستقرار ، ولكن الظروف القاسية التى أحاطت بالزراعة فى ليبيا كانت تدفع بالـكثيرين من السكان الى الهجرة الى مصر أو تونس حيث الزراعة ومقوماتها أكثر وفرة وثبـاتا على مدار السنة • ومع ذلك فقد كانت الزراعة فى ليبيا تدور حول بعض الحبوب

---

(١) الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ــ ص ١٨٠ •

مثل القمح والشعير والبرسيم وغيرها الى جانب أشجار الزيتون والنخيل واللوز وغيرها من فواكه حوض البحر الأبيض المتوسط ، بالاضافة الى بعض الخضروات •

والى جانب الزراعة كان فريق من الناس يعملون بالرعى فى المراعى التى تنتشر على سفوح الجبال والمرتفعات وفى السهول حيث تنمو أعشاب الرعى عقب الأمطار ، وكانت تربية الماشية من أهم مصادر ثروة الناس آنذاك ، وقد عمل بعض الولاة والحكام فى العهد العثمانى على زراعة الغابات فى المناطق المحيطة بالمدن لوقايتها من العواصف ، وقد انتشرت الغابات فى طرابلس وبرقة « وأهم الأشجار التى تعيش فى ليبيا هى الكينيا (السرول) بنوعيها ذات الخشب الأحمر والأبيض ، وتغرس فى الأراضى الفقيرة وفى المناطق التى توجد بها الكثبان الرملية ، ثم السنط الحقيقى الذى يعرف محليا (بالكاتشا) ، ولهذا النوع من الشجر قدرة كبيرة على ربط حبيبات الرمال وتثبيت الكثبان » • (1)

وتتحكم القبائل فى الأرض الليبية سواء كانت أرضا مزروعة أو صالحة للرعى ، ولم يكن هناك تخطيط زراعى يحكم تنظيم الأرض الزراعية وتحديد أراضى الرعى • ولم يكن للزراعة مثلها مثل غيرها من نواحى الحياة فى ليبيا ، نصيب واضح من الاهتمام ، وان كان هذا لا ينفى أن بعض ولاة الحكم التركى حاول بجهده الشخصى أن يساعد فى تنظيم النشاط الزراعى ، الا أن الثورات الشعبية التى انتشرت ضد الظلم فى أنحاء البلاد كانت تعطل النشاط الزراعى من أن يسير نحو الانتاج الحقيقى والكافى • ومن ثم كان دخل الناس من الزراعة ليس ثابتا ولا متطورا الى الزيادة ، ولكن هذا الدخل كان متذبذبا وغير ثابت تماما •

(ب) الصناعة :

ولا يمكن القول بأنه وجدت صناعات فى ليبيا فى العهد العثمانى • وحيث من المعروف أن مقومات الصناعة ثلاث : الأيدى العاملة المدربة ،

---

(1) الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ـ ص ١٩٩ •

ورأس المـال الكافى ، والمواد الخام اللازمة ، فاذا نظرنا الى ليبيا لوجدنا فقرها فى هـذه المقومات ، فلم تكن هناك أيد عامـلة مدربة ، ولم تعمل سلطات الحـكم العثمانى على وجودها ، كما أن رءوس الأمـوال كانت مختفية فلم يكن الحكم العثمانى يسمح بوجود رأسمال وطنى بل كانت سلطات الحكم العثمانى تصادره بالقوة الغاشمة لمصلحتها ولمصلحة الدولة العثمانية ذاتها .

هذا بالاضافة الى أنه لم تكن تتوفر مواد خام يمكن تصنيعها ، ولم يعمل الحكم العثمانى على اكتشاف أية مادة خام فى أنحاء البلاد .

ورغم ما قيـل من أن بعض الولاة العثمانيين ــ خصوصا فى أواخر سنوات الحـكم العثمانى بليبيا ــ حاولوا احياء الصناعة عن طريق انشاء مدارس (مكاتب) صناعية مثل مدرسة الفنون والصنايع الاسلامية بمدينة طرابلس ــ ومن أمثال هؤلاء الولاة : أحمد عزت باشا ، وعلى رضا باشا ، ونامق باشا ــ الا أن هذه المدرسة كانت تقوم بتدريب التلاميذ على صناعات بدائية تقليدية ، شأن معظم الولايات العثمانية ، فى وقت كانت دول أوروبا قد دخلت فيه عصر الانتاج الصناعى الضخم .

وأصبح واضحا فى أذهان الأهالى أن « لا قيمة ولا نتيجة من درس الصنائع أو بالأحرى تبادر أن هاته الولاية لا يمكن تعليم المصنوعات بها على أسلوب يكفل باتيان وضع وصنع مايمكن به الصنع فى مملكة أو ولاية ثانية لأن القوم لا يزالون فى غفلة ، بل لا يزال الـكثير منهم يجزم بأن ما تأتينا به الممالك الأجنبية من المخترعات غـير مصنوعة بيد بشر مثلنا ، ولهم المعذرة فى ذلك حيث لم يجدوا من يوصلهم الى الدرجة التى يدركون بها ما أدرك غيرهم » . [1]

وكانت الصناعات المتوفرة فى البـلاد هى صـناعة الملابس الوطنية باستخدام الأنوال اليـدوية ، الى جانب صناعة السجاد والحصر وصياغة

(١) على مصطفى المصراتى: أبو قشة وجريدته فى طرابلس الغرب ص ١٢٢

الذهب والفضة وصناعة الدخان ، بالاضافة الى صيد الأسماك والاسفنج واستخراج الملح من البحر • ومعظم هذه الصناعات كان يقوم بها المواطنون العرب الليبيون واليهود المقيمون فى البـلاد • وكثيرا ما كان يتم استيراد المواد الخام الناقصة فقد « استورد الصناع الخيوط الصوفية الانجليزية من جزيرة جربة أولا ثم من بريطانيا رأسا ، واستيراد خيوط الحرير الصينى من مرسيليا والحرير الايطالى من ايطاليا وتصبغ محليا » • [1]

من هذا نجد أن الصناعة لم تكن مزدهرة ، ولم يـكن انتاجها يمثل جانبا هاما فى الاقتصاد الليبى آنذاك ، هذا اذا أخذنا فى الاعتبار احتكار الأقلية اليهودية فى ليبيـا لمعظم الصناعات ، وسيطرتهم على أكثر الانتاج الصناعى فى البلاد • وكان المواطنون يستهلكون معظم المنتجات الصناعية• وكانت بعض المنتجات تصدر الى الخارج كالسجاد الذى كانت مصر وتركيا أسواقا له ، والاسفنج الذى أقبلت عليه الأسواق الأوروبية •

(ج) التجـارة :

تعتمد التجارة على توفر المنتجات الصالحة للتجارة ، وعلى الأسواق ، وعلى وسائل نقل المنتجات ، والطرق التى تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض• وبالنسبة للمنتجات فقد تمثلت فى المنتجات الزراعية والمـاشية والمنتجات الصناعية البسيطة • وكان لنبات الحلفا آنذاك مكان هام فى التجارة الليبية وكانت الدول الأوروبية تستورد هـذا النبات لاستخدامه لصنع الورق والسـلال والحصر والحبال ، ولذلك قامت شركات احتكارية اسـتغلت الناس فى تقطيع الحلفا وجمعه وتخزينه وفـرزه وكبسه ثم شحنه • وقد بدأت « تجارة الحلفا فى مدينة طرابلس عام ١٨٦٨ ثم فى الخمس عام ١٨٧٣م وتركزت فى هاتين المدينتين مع وجودها فى بعض البلدان الأخرى كزليطن والطابية عند ساحل آل حامد » [2] وكان ميناء الشحن هو ميناء طرابلس•

وكانت تجارة القوافل مزدهرة فى ليبيا عبر الصحراء بحكم موقع ليبيا

---

(١) د. الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ص ٢٤٢ •
(٢) نفس المصدر ص ٢٤٧ •

الجغرافى حيث هى حلقة الوصل بين غيرها ممن يحدها شمالا وجنوبا ، فان اتصال ليبيا بالسودان ووسط أفريقيا الغنى بالمواد الخام والثروة الوفيرة ، وحاجة أوروبا لهذه المواد وتلك الثروة جعل مركز ليبيا ممتازا وأدى الى ازدهار تجارة القوافل بين وسط افريقيا وشمالها وبصفة خاصة ساحل ليبيا على البحر المتوسط ، ومن ثم وجدت طرق للقوافل تعبر ليبيا من الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب •

ومن دلائل ازدهار تجارة القوافل ازدهار عدة مدن ليبية سواء فى الجنوب أو على طول الساحل ، فقد كانت مرزق فى الجنوب ــ وكانت عاصمة لاقليم فزان ــ من أهم محطات القوافل ومراكز تجارتها لأنها كانت ملتقى عدة طرق ، كما كانت غات ــ القريبة من حدود ليبيا مع الجزائر فى الجنوب ــ مركزا هاما آخر فى تجارة القوافل • « أما المركز الرئيسى لتجارة القوافل فكان مدينة طرابلس التى التقت فيها أهم طرق القوافل وانطلقت منها أو حطت الرحال فيها أهم القوافل المتجهة الى أفريقيا أو القادمة منها » • [1]

كما ازدهرت عدة مدن على الساحل فى طريق التجارة من المشرق الى المغرب ، ومن أمثلة هذه المدن التى كانت مراكز للتجارة ومحطات للحجيج الليبى والمغربى ، مدن مصراته والخمس وبنغازى ودرنة ، وكلها مدن ساحلية تقع على الشريط الساحلى وتمد القوافل بما تحتاج اليه من مؤن وأماكن للراحة والمتاجرة ، ولذلك كانت الحياة فيها متجددة والنشاط التجارى كبيرا •

وبحكم موقع مدينة طرابلس وازدهار الحياة فيها باعتبارها المركز الرئيسى للتجارة فقد كانت معظم البضائع ترد اليها ثم تشحن من مينائها الى أوروبا ، وأهم هذه البضائع ريش النعام الذى كان يرد من أفريقيا وكذلك العاج والجلود الى جانب المنتجات المحلية مثل الحبوب والماشية والتمر والزيت • ويلى ميناء طرابلس من حيث الأهمية والحركة التجارية

---

(١) د. الدجانى : نفس المصدر ص ٢٦٤ .

ميناء بنغازى بالاضافة الى عدة مدن أخرى موانيها أقل أهمية وأقل نشاطا مثل : الخمس وزليتن ومصراتة وزوارة وسرت وسوسة ودرنة .

وكان النشاط التجارى يتركز فى يد عـدة وكالات تجارية احتكارية وبعض كبار التجار ، وكان للأقلية اليهودية دور كبير فى السيطرة على التجارة ولذلك كثيرا ما كانت سيطرتهم هذه تدفع ببعض التجار العرب الى الافلاس حيث يعمل التجار اليهود على ذبذبة السوق . كما أن عدم استقرار الأمور فى ربوع البلاد قلل من نشاط تجارة القوافل فتحولت هذه التجارة الى مدن غرب افريقيا وموانيها ممـا أثر فى حياة السكان ومراكز التجارة الليبيـة فى الجنوب وفى الساحل . وجاء اضمحلال التجارة فى الثمانينات من القرن التاسع عشر الميلادى .

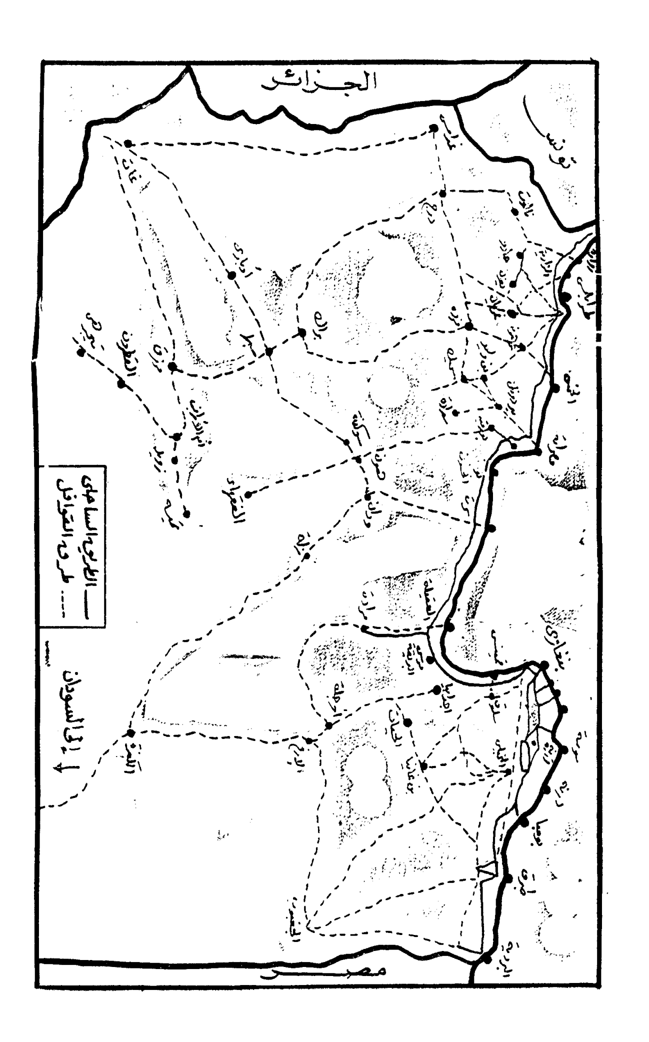
ثالثا ــ الظروف الثقافية :

فرض الحكم العثمانى منـذ سيطرته على ليبيا ستارا كثيفا من حول ليبيا ، فلم يسمح لها ــ كما هو الحال فى معظم الولايات العربية ــ بالاتصال بالنهضة الحديثة التى شملت معظم نواحى الحياة فى الدول الاوروبية ، ولذلك تجمدت حياة الناس الثقافية فى ليبيا فى العهد العثمانى ، ووقفت حيث كانت منذ الفتح العربى الاسلامى .

ومن المعروف أن الثقافة تعنى « كل ما صنعه الانسان فى بيئته خلال تاريخه الطويل فى مجتمع معين ، وتشمل اللغـة والعادات والقيم وآداب السلوك العـام والأدوات والمعرفة والمثل والمستويات الاجتماعية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والقضائية ، ولعل الاختلاف بين الحياة المدنية والحياة البـدائية يرجع فى جملته الى نوع الثقافة التى تراكمت منذ سنين طويلة » (١) فانه بالنسبة لليبيا كانت اللغة العربية ــ لغة القرآن الكريم دستور الاسلام ــ هى أولى دعائم الثقافة ، فهى لغة التخاطب والتعامل بين جميع أفراد الشعب ، ومهما حاول الأتراك ومن بعدهم الطليان ثم الانجليز والفرنسيون محاربة اللغة العربية ، الا أنها صمدت

---

(١) د. الهادى : التربية والتغير الثقافى ــ ص ٤٦ .



الجزائر
تونس
مصر
الطريق الساحلي
طرق القوافل
إلى السودان

أمام هذه المحاولات ، وان كانت لم تزدهر كثيرا الا أن بقاءها أمام هذه المحاولات يعتبر نصرا .

أما الدين الاسلامى وهو المقوم الثانى للحياة الثقافية فى ليبيا ، فقد كان أفـراد الشعب العربى فى ليبيـا يدينون جميعهم بالدين الاسـلامى ويتمسكون بتعاليمه ويحافظون عليها ، هـذا رغم وجود أقلية يهودية ، وجاليات أجنبية مسيحية حصلت على امتيازات من الدولة العثمانية ومارست شعائرها الدينية والاجتماعية بكل حـرية مكفولة بحماية الدولة العثمانية ذاتها ، وبحكم أن الدين الرسمى للدولة العثمانية كان هو الدين الاسلامى فقـد حرص كثير من الولاة على اقامة المساجد تخليـدا لذكراهم واقامة الشعائر الدينية ، وقد تأثر الشعب العربى الليبى بالاشعاعات الدينية التى كانت تفد مع طلاب العـلم الليبيين من الجامع الأزهر بمصر أو من جامع الزيتونة بتونس .

وقد كانت قيم الشعب العربى الليبى وآداب سلوكه ، وأدوات معرفته ومثله مستمدة من الدين الاسـلامى والقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وآداب اللغة العربية ، فقد عرف عن الشعب الليبى تمسكه بدينه تمسكا شديدا ، ومن ثم جاء تمسكه أيضا بقـيم ومثل وأدوات سلوك مستمدة من ركائز الدين الاسلامى وتعاليمه ، كما أن أدوات المعرفة التى استخدمها مستمدة من لغة القرآن الكريم وهى اللغة العربية . وقد حافظ الشعب على هذه المقومات الى حـد كبير حتى ولو اضطر الى العزلة بعيـدا عن تأثيرات القوى الأجنبية المسيطرة والمتمركزة بصفة أساسية فى المدن .

أما الانظمة الاجتماعية والاقتصادية فقد كانت تغفل مصلحة الشعب العربى الليبى ــ كما سبق أن أوضحت ــ وأما النظام السياسى ــ وهو ما سأحاول توضيحه فى استعراض الاحداث التاريخية التى مرت بليبيـا منذ دخول العثمانيين الى البـلاد عام ١٥٥١ م ــ فانه لم يكن هو الآخر فى خـدمة الشعب الليبى صاحب الأرض والبـلاد وانما سـعى فقط لمصلحة الحكم الدخيل ورجاله . وأما القضاء فقد كان متأثرا بما سـاد البلاد من نظم سياسية ولم يكن أبدا بالصورة العادلة المنصفة للحق .

وقد ساهمت الزوايا الدينية والمساجد والكتاتيب والمدارس فى احياء الثقافة العربية الاسـلامية وفى المحافظة عليها بنقلها من جيل الى جيل • ومن المعروف أن المجتمعات تلجأ الى نقل تراثها الثقافى والمحافظة عليـه لكى تحافظ على نفسها هى وتسـعى الى بقائها ، وقد سـاعدت تلك المؤسسات التعليمية على المحافظة على التراث الثقافى العربى الاسـلامى فى ليبيـا •

وقد قام العلماء بدور كبير فى نشر واحياء الثقافة العربية الاسلامية فى ليبيـا ، سواء ولد هؤلاء العلماء فى ليبيا أم فى خارجها ثم استوطنوا فى ليبيا • وقد زار ليبيا وعاش فيها ولو بعضـا من الوقت علمـاء من المغرب العربى ومن المشرق العربى على السواء ، وقد نقلوا اليهـا من العلوم والمعارف المزدهرة فى كلا الاتجاهين ــ المشرق والمغرب ــ خاصة فى جارتى ليبيا وأعنى مصر وتونس • ولذلك فاننا نجد بعض الصعوبة فى التعرف على العلماء الليبيين الذين أسهموا فى النشاط الثقافى العربى الاسلامى لان من العلماء من « ولد خارج ليبيا ثم جاء واستوطن فيها ، ومنهم من ولد بها ثم تركها واستوطن فى مكان آخر ، ومنهم من قسم حياته بين عدة بلدان بينها ليبيـا ، فعلى أى أسـاس تحـدد جنسية الشخص ؟ أعلى مولده ؟ أم على موطن ثقافته ؟ أم مكان استقراره ؟ أم مكان وفاته ؟ وما الحال اذا كان عمره مقسما بين عدة بلدان بطريقـة لا تسمح بتغليب بلد على آخـر ؟ » (١) • وعلى كل حال فقـد كانت الاقطار الاسلامية العربيـة بلد كل عربى مسلم يتنقل فيهـا كيف شاء وأينما شاء ، ولم تكن هناك حـدود أمام العلمـاء العرب المسلمين فى ممارسة نشاطهم الثقافى فى ليبيـا مع اخوانهم الليبيين من علمـاء هـذا القطر العربى الاسلامى •

وكان حضور طلاب العلم حلقات الدرس فى المساجد من وسـائل نشر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة عليها فى ليبيـا ، وقـد قامت

---

(١) د. احمد مختار : النشاط الثقافى فى ليبيا ــ ص ٩ •

المساجد بدور كبير فى هذا الشأن حيث لم يكن المسجد دار عبادة فقط بل كان مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى حيث تلقى المحاضرات والعظات وتعقد حلقات العلم وندوات لمناقشة المعارف بين الطلاب والأساتذة ، الى جانب احتواء المسجد على أماكن لسكنى الاساتذة والعلماء المغتربين .

كما كانت المخطوطات والكتب الموجودة بدور الكتب والمكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والرباطات من وسائل نشر الثقافة العربية الاسلامية فى ليبيا ، وقد ساهمت هذه الكتب والمخطوطات فى المحافظة على تراث الثقافة العربية والاسلامية وانتشار هذا التراث .

وقد أدت الكتاتيب والمدارس القائمة فى أنحاء البلاد الليبية دورا كبيرا فى النشاط الثقافى بالبلاد « وقد كان بعضها موصولا بالمساجد ، وكان هدفها تعليم الصبيان مبادىء القراءة والكتابة ومبادىء العربية ، وتحفيظهم القرآن والحديث وتعليمهم مالا يسعهم جهله من مبادىء الشريعة الاسلامية » (١) .

أما الزوايا والرباطات فقد أدت هى الاخرى دورا لا بأس به فى النشاط الثقافى فى ليبيا ، وساهمت فى احياء التراث الثقافى العربى الاسلامى واستمراره ، وقد انتشرت الرباطات على طول الساحل الليبى وفى الطرق الصحراوية الممتدة من جنوب البلاد الى الساحل ، أما الزوايا فقد انتشرت بين القبائل الليبية ، وكانت دور علم وحمى يلجأ اليها الفارون من ظلم الحكام وقسوتهم .

هذه أهم معالم الظروف الثقافية التى توفرت بالبلاد الليبية قبل الحكم التركى وأثناءه ، وهى ظروف حددت النشاط الثقافى بليبيا وقصرته على علوم اللغة العربية والدين الاسلامى ، ولم يكن للعلوم الحديثة أى مكان فى هذا النشاط ، وعندما سيطر الاتراك على مقدرات

---

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير — ص ٣٦٩ .

الامور فى البلاد لم تتغير الظروف الثقافية فى البلاد ، والشىء الوحيد الذى طرأ على هذه الظروف هو دخول اللغة التركية الى ميدان الثقافة فى ليبيا حيث حاولت سلطات الحكم فرضها على المواطنين فى معاملاتهم مع الحكومة وفى المدارس التى أوجدتها سلطات الحكم التركى على النسق العثمانى .

وعندما جاء الاحتلال الايطالى حارب النشاط الثقافى العربى الاسلامى فى ليبيا ليقضى على عروبة أهل البلاد وانتمائهم الاسلامى ، ومن ثم فرض اللغة الايطالية فى التعامل وفى المدارس التى سمح بوجودها فى البلاد . الا أن أصالة التراث الثقافى العربى الاسلامى وأصالة وعروبة الشعب الليبى قاومت محاولات الغزو الثقافى الايطالى ، وبقيت مقومات الثقافة الاسلامية العربية فى ليبيا بعد رحيل الطليان عن البلاد .

الا أنه يمكن القول أن النشاط الثقافى فى ليبيا شهد انتعاشا محدودا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أى فى أواخر سنوات حكم العثمانيين للبلاد ، وتجلت مظاهر هذا الانتعاش الثقافى فى عدة أمور منها انتعاش فى التعليم حيث بدىء التفكير فى تعليم البنت فى مدارس « حديثة » ووجدت مدرسة فنية هى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ، ومدرسة زراعية ودار للمعلمين ، الى جانب المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية ، وكل هذه الانواع من التعليم سيأتى ذكرها تفصيلا .

كما تمثل الانتعاش الثقافى أيضا فى ظهور عدة صحف منها : جريدة « طرابلس غرب » وهى تصدر باللغتين العربية والتركية فى ورقة واحدة ، وقد أنشأها الوالى التركى محمود نديم باشا عام ١٨٦٠ م وكانت جريدة الولاية الرسمية ، وقد بقيت حتى حدوث الغزو الايطالى للبلاد الليبية عام ١٩١١ م . ثم ظهرت « سالنامة الولاية عام ١٨٦٩ م ، وهى تقويم سنوى يضم مجموعة أنباء رسمية ونبذ علمية وتاريخية واحصاءات تشترك فى ترتيبها واعدادها مختلف دوائر حكومة الولاية

وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية (١) » .

وقد صدرت عدة صحف أخرى أيضا منها « الترقى » التى صدرت عام ١٩٠٦ م ، وكانت جريدة سياسية علمية أدبية أسبوعية يصدرها ويشارك فى تحريرها مجموعة من الشباب المثقف . ومجلة « الفنون » عام ١٨٩٨ م ، وكانت أول مجلة تصدر فى ليبيا تهتم بالنواحى العلمية المصورة . ثم جريدة « العصر الجديد » التى صدرت بعد أن انتهى حكم السلطان عبد الحميد ، وكان صاحبها وطنى غيور وصاحب سياسة اصلاح وهو محمد على البارودى . ولم يخل الميدان الصحفى آنذاك من الفكاهة ، فقد وجدت جريدة فكاهية عام ١٩٠٨ م هى « جريدة أبى قشة » وصاحبها صحفى تونسى هاجر الى طرابلس وهو الهاشمى أبو قشة التونسى وقد اهتمت هذه الجريدة بالسياسة الداخلية والخارجية « ومحاربة العادات السيئة ، وعنيت بالتعليم والوعظ والادب الشعبى ، وكان أسلوبها سهلا ساخرا ، وقد شارك فى تحريرها عدد من الكتاب منهم : محمود نديم بن موسى وأحمد الفساطوى وقاسم الشقرون وأحمد صديق المصرى الذى كان مقيما بطرابلس » **(٢)** .

ولا ينتهى حديثنا عن الصحف الليبية فى العهد العثمانى دون الاشارة الى الصحيفة التى أصدرها الزعيم سليمان البارونى بالقاهرة « عام ١٩٠٨ م وطبعها فى مطبعته وأسماها الاسد الاسلامى » (٣) وقد كان شغلها الشاغل أخبار ليبيا بصفة خاصة والقضايا السياسية التى سادت الاوساط العامة فى ذلك الوقت .

واذا كانت الصحافة قد انتعشت وأنعشت النشاط الثقافى بليبيا فى أواخر سنوات الحكم العثمانى للبلاد ، فقد ظهر بعض الشعراء الذين أسهموا بدور لا بأس به فى التوعية السياسية والاجتماعية منهم الشاعر

---

(١) د. الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى — ص ٢٧٨ .
(٢) على المصراتى : كفاح صحفى أبى قشة وجريدته — ص ١٣ .
(٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

مصطفى بن زكرى (١٨٥٣ — ١٩١٧) وأحمد الشارف (١٨٦٤—١٩٥٨م) وغـيرهم ..

ومما يجدر ذكره هو انتعاش النشاط الثقافى فى هـذه السنوات الاخيرة للحكم العثمانى للبلاد عن فترات الحـكم السابقة . ورغم أن هذا الانتعاش الثقافى تفاعل مع النشاط الثقافى الفكرى فى أجزاء الوطن العربى خاصة مصر وتونس الا أنه كان تقليـديا ولم يكن مبتكرا بكل معنى هذه الـكلمة .

« أما حركة النشر فكانت ضئيلة جدا ولا نكاد نجد كتابا واحـدا طبع فى طرابلس، وهناك عدة كتب طبعها مؤلفوها الطرابلسيون فىالقاهرة منها ديوان ابن زكرى ومانشره سليمان البارونى من كتب الاباضية »(١) وقد وجدت أيضا بعض المطـابع الا أنها كانت بدائيـة ولم تكن بهـا الامكانيات الكافية لمواجهة أى نشاط ثقافى ، فقد وجدت مطبعة بمدرسة الفنون والصنايع الاسلامية وعدة مطابع فى أيدى الاقلية اليهـودية لطباعة الاوراق التجارية وما شابه ذلك .

بهذا الاستعراض المجمل للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى عايشها الشعب العربى الليبى قبل وأثناء الحكم العثمانى للبـلاد لا تكتمل الصورة دون الاشارة الى الظروف السياسية التى مرت بالبلاد الليبية فى العصر العثمانى ، وهى ظروف امتدت عبر ثلاثة عصور عثمانية هى : العصر العثمانى الاول ويبدأ من عام ١٥٥١ م وهو العام الذى بدأ به الحكم العثمانى فى ليبيـا الى عام ١٧١١ م عندما استولى على مقاليد الامور فى البلاد جندى من جنود الحامية العثمانية هو أحمد القره مانلى وأقام حكما ذاتيا وراثيا مكونا العصر العثمانى الثانى « القره مانلى » من عام ١٧١١ — ١٨٣٥ م . ثم جاء العصر العثمانى الثالث الذى بدأ عام ١٨٣٥ م بنهاية حكم الاسرة القره مانلية وعودة الحكم العثمانى المباشر الذى استمر الى عام ١٩١١ م عند حدوث الغزو الايطالى للبلاد .

وفى الصفحات التالية استعراض لهـذه العصور العثمانية الثـلاثة أسوقها قبل أن أتناول الحديث عن التعليم فى العصر العثمانى بأكمله .

---

(١) د. الدجانى : نفس المصدر ص ٢٨٩ .

العصر العثمانى الأول

١٥٥١ — ١٧١١ م

انتهت فترة حكم فرسان القديس يوحنا الذين استقر بهم المقام فى مالطة ومنها تسلموا الحكم فى طرابلس خلفا للحكم الاسبانى عام ١٥٣٥ م ، انتهت فترة هذا الحكم بوصول حملة عسكرية تركية بقيادة سنان باشا قائد الاسطول التركى فى ١٣ شعبان ٩٥٨ هـ الموافق ١٦ أغسطس ١٥٥١ م •

وكان استيلاء العثمانيين على طرابلس يمثل اتمام الحلقة فى أملاك الدولة العثمانية بعد استيلائهم على مصر عام ١٥١٧ م من يد المماليك وورثوا دولتهم وبعد أن امتد نفوذهم بصفة فعلية على الجزائر عام ١٥١٨ م ، ولذلك كان مجىء العثمانيين الى طرابلس شيئا طبيعيا يتسق مع تطور الحوادث التى مرت بالعالم العربى الذى أخذت أجزاؤه تخضع للقوة العثمانية التى أخذت تمد سلطانها على هذه الاجزاء سواء فى المشرق أو فى الشمال الافريقى •

كما كان استيلاء العثمانيين على ليبيا يمثل قمة الصراع البحرى بين الاسطول العثمانى وأساطيل الدول الاوروبية المنافسة مثل أسبانيا التى تمثل القوة المسيحية الاوروبية ، ثم أسطول فرسان القديس يوحنا الذين كان نشاطهم صليبيا ضد الاراضى العربية الاسلامية ، ومن ثم كان استنجاد « جماعة من أهل تاجوراء — ضاحية قريبة من طرابلس — الذين ركبوا شينيا — سفينة — وتوجهوا لصاحب القسطنطينية — السلطان العثمانى عام ٩٥٦ هـ — الموافق ١٥٤٩ م — وكان صاحب القسطنطينية اذ ذاك السلطان سليمان الأول ، يطلبون منه العون ، للتخلص من النصارى — فرسان القديس يوحنا — وأن يولى عليهم

واليـا يلى أمرهم ، فاستعمل عليهم مراد أغا وقدموا به لبلدهم ، وهو أول وال تركى فى طرابلس الغرب » [1] .

وبهذا كان استنجاد أهل تاجوراء بالسلطان العثمانى لتخليص بلادهم من عسف الفرسان المالطيين هو السبب المباشر الـذى أدى الى مجىء العثمانيين الى ليبيـا وهو السبب الذى عجل بمجيئهم حيث أوقف أهل تاجوراء العثمانيين على أحوال البلاد وضعفها واستعداد أهلها للقيـام فى وجه فرسان مالطة اذا وجدوا قوة عثمانية مسلمة تؤازرهم .

جاء مراد أغا بقوة صغيرة ونزل بتاجوراء ، وحاول الاستيلاء على طرابلس فامتنعت عليه فاستغاث بالسلطان ، وجاءت هذه الاستغاثة فى الوقت الذى كانت فيه البحرية العثمانية تعمل فى البحر الابيض المتوسط وتلقى الرعب فى نفوس الافرنج وتهدد أساطيلهم بفضل شجاعة سنان باشا قائد الاسطول العثمانى ومساعده درغوت بك ، فاستجاب السـلطان لاستغاثة مراد أغا وأمر سنان باشا بالتوجه الى طرابلس لمساعدة مراد أغا ، وقد تم بالفعل الاستيلاء على طرابلس فى أغسطس سنة ١٥٥١ م وتولى مراد أغا ولاية طرابلس الغرب — ليبيا — كأول وال عثمانى .

كان الولاة يأتون من استانبول مصحوبين بفرمانات سلطانية ، وكان الوالى أو الباشا ، يستعين فى ادارة الولاية بمجلس الديوان ويرأسـه الداى ، وبالحامية الانكشارية ويرأسها البـاى ، وكثيرا ما كان الداى والباى يستأثران بالحكم الفعلى فى البلاد فى حالة ضعف الباشا ، وكثيرا ما يحدث الخلاف بينهما ويجر هذا الخلاف على البلاد الخراب والدمار .

ونظـرا لحرص السلاطين على تقصير مـدة الولاة حتى لا يستقل الواحد منهم بولايته ، فان عدد من تولى ليبيـا من الولاة فى هذه الفترة (١٥٥١ — ١٧١١ م) بلغ ثلاثة وأربعين واليا ، اطمأن السكان الليبيون فى وطنهم فى عهد بعض الولاة بينما اضطروا فى عهد البعض الآخر الى

---

(١) ابن غلبون : تاريخ طرابلس الغرب المسمى التـذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص ٩٣ .

الثورة المسلحة ضد الحكم التركى بما ارتبط به من مظاهــر الظــلم وسوء الادارة .

ويمكن أن نعدد أهم الولاة فى هذا العصر الاول ممن كان لهم تأثير فى حيــاة ليبيــا ومن تركوا آثارا تدل على سياستهم فى حكم البلاد .. من هؤلاء أول الولاة مراد أغا الذى حكم ليبيــا مدة عامين اســتطاع خلالها أن يؤمن المواطنين على حياتهم وجعل الهاربين من المدن فى عهــد الاسبان وفرسان مالطة يعودون اليها ويمارسون حياتهم العادية ، وقــد بنى مسجدا ببلدة تاجوراء ليخلد به اسمه وقد ساعده فى البناء الاسرى من الاوربيين وألحق بالمسجد مدرسة لتعليم الاولاد ، ومات سنة ١٥٥٥م ودفن بمسجده الذى لا يزال قائما حتى اليوم . وهذا المسجد « من أكبر الجوامع الموجودة فى القــطر الطرابلسى . وقــد نقل له ــ مراد أغا ــ أعمدة الرخام من مدينة لبده ، المدينة الاثرية المشهورة بطرابلس » (١)

ومن الولاة كذلك درغوت باشا الذى حكم البلاد اثنتى عشرة سنة من ١٥٥٣ الى ١٥٦٥ م ، وفى عهده عرفت البــلاد طبقة اجتماعية جديدة هى طبقة « القول أوغلية » فحينما حضر درغوت الى طرابلس حضر معــه عدة آلاف من جنــد الانكشارية ، وبمــرور الزمن اختلطت بالأهــالى وتناسلت ، فتكونت طبقة القول أو غلية ، التى كانت قليلة العدد فى أول الأمر لكنها سرعان ما تكاثرت بمرور الزمن واستمرار مجىء العثمانيين وزاد نفوذها . ومن أعمال درغوت أيضا جعله مدينة طرابلس القــاعدة البحرية للأسطول العثمانى فى غرب البحر الأبيض المتوسط بعد أن كون أسطولا ضخما ، وقد بنى لنفسه مسجدا مازال موجودا وقد دفن فيــه بعد أن توفى فى صدام مع فرسان القديس يوحنا قرب مالطه عام ١٥٦٥ م، وقامت سياسته على « تشجيع الزراعة واحياء الصناعة ، وانعاش التجارة واسعاف السكان بما يرفه عنهم شظف العيش ، وكان يعتمــد فى أكثر نفقاته على الغنائم التى يأتى بها الاسطول فى غزواته على أوروبا » (٢)

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ــ ص ٩٣ .
(٢) الزاوى : ولاة طرابلس ــ ص ١٥٦ .

ومن الولاة الذين حكموا فى هذه الفترة أيضا محمد التركى من عام ١٥٧٨ الى عام ١٥٨٦ م . وجعفر باشا الذى حكم من عام ١٥٨٦ الى عام ١٦٣١ م وفى عهده كان الحكم العثمانى فى ليبيا مهددا من قبل ثـورة الوطنيين ضد ظلم الانكشارية وفوضى الحكم العثمانى ، تلك الثـورة التى قامت من تاجوراء بزعامة مواطن يدعى يحيى السويدى ، ولـكن الخيانة قضت عليه وعلى ثورته .

وفى عهد محمد باشا الساقزلى من عام ١٦٣١ الى عام ١٦٤٩ م ومن بعده عثمان الساقزلى من ١٦٤٩ الى عام ١٦٧٢ م ، أصبحت ليبيـا كلها ولاية واحدة باخضاع برقة للحكم العثمانى ، وقد أنشـأ عثمان مدرسة فى طرابلس تعرف باسمه الى اليوم فى باب البحر ، « وهى من المعـاهد التى لها الفضل الاكبر على أبناء طرابلس فى نشر العلم والمحافظة عـلى القرآن الـكريم ، ومازالت تحمل اسم مدرسة عثمان باشا » (١)

ثم جاء عهد آخر ولاة هذا العصر العثمانى الاول من حيث الاهمية وهو محمد باشا الملقب بشائب العين من عام ١٦٨٨ الى عـام ١٧٠٢ م وصهره خليـل باشـا من ١٧٠٢ الى ١٧٠٩ م حيث بـنى شائب العـين مسجده المعروف الآن فى سوق الترك بمدينة طرابلس ، واهتم بالاسطول الذى ساعده فيه صهره خليل ، الذى استمر فى السياسة عينها بعـد أن تسلم حكم الولاية فبنى مسجدا فى حى الظهرة بمدينة طرابلس .

تميز هذا العصر العثمانى الاول فى حكم ليبيا بسياسة المحافظة على الوضع كما هو دون تغيير والحرص على استمرار بقاء البلاد تدين بالولاء لهـا ، وقد دفع هذا الحرص الولاة على عدم ادخال تغييرات أساسية فى نظم البلاد الداخلية ولا فى حياة أهلها وذلك لعدم رغبتهم فى التدخل فى حياة الناس طالمـا بقوا تابعين للدولة .

ويمكن أن نحدد ملامح السياسة العثمانية فى حـكم ليبيـا فى تلك الفترة فى النقاط الاتيـة :ـــ

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ـــ ص ٣٠٢ .

أولا : التمسك باحتلال ليبيا كهدف استراتيجي يسهم فى تأكيد سيطرة العثمانيين على البحر الابيض المتوسط ومعظم البلاد المطلة عليه وخصوصا فى قارتى آسيا وافريقيا ، وقد استدعى هذا أن جاء احتلالهم لطرابلس قاصرا على الساحل دون النظر كثيرا للداخل ، بل ان اخضاع فزان وبرقة جاء متأخرا بعد احتلال طرابلس بسنوات كثيرة .

ثانيا : رغبة الحكومة العثمانية فى بقاء ليبيا ولاية عثمانية أدى الى عدم ابقاء الوالى فى مركزه لفترة طويلة مخافة أن يستقل بالبلاد مما أدى الى أن جميع الولاة الذين تولوا حكم البلاد لم تكن لهم سياسة معينة فى استغلال الاراضى الزراعية أو تشجيع الصناعات المحلية أو التجارة الداخلية والخارجية ، كما لم تكن لهم سياسة معينة فى نشر التعليم والعناية بالصحة . ولم تكن هذه السياسة العثمانية خاصة بالايالة الطرابلسية فحسب بل كانت سياسة عامة طبقتها الدولة العثمانية فى كثير من البلاد العربية التى خضعت لحكمها حيث جعلت منصب الوالى لفترة محدودة « حتى لا تكون لديه فرصة كافية لوضع الخطط والمشروعات لتحقيق أطماع خاصة » [1]

ثالثا : موقع هذه الولاية من الممتلكات العثمانية وبعدها عن الآستانة ، وعدم تصور الحكومات العثمانية المتعاقبة لحقيقة الوضع فيها ، جعل هذه الولاية لا تأخذ من اهتمام الدولة العثمانية الشيء الكثير هذا الى جانب أنها لم تكن تدر أموالا كثيرة على الدولة ، ولذلك لم يكن لولاية ليبيا ولا لشعبها صوت مسموع عند الباب العالى .

رابعا : اذا كانت لبعض الولاة جهود فى البناء الداخلى بولاية طرابلس

(١) د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ـ ص ٤٢ .

الغرب فقد كانت هذه الجهود نتيجة لما يعود من نشاط الاسطول فى البحر المتمثل فى الأسلاب والمغانم ، كما أن هذه الجهود فردية ولا تقوم على تخطيط أو سياسة ثابتة ولذلك فانها كانت تتوقف بانتهاء مدة ولاية صاحبها .

خامسا : سعة رقعة البلاد وقلة السكان فيها وانعدام المواصلات وبطء الحركة ، كل ذلك أخر سيطرة العثمانيين على كل ليبيا بل أدى الى أن تكاد سيطرة الوالى العثمانى تقتصر على المدن الساحلية فقط بينما البلاد الداخلية لا تخضع لهذه السيطرة وكثيرا ما أعلنت الثورة عليها ، ولقد ظهرت ثورات كثيرة من الليبيين ضد هذه السيطرة العثمانية وصعب على الولاة اخضاعها .

سادسا : كانت ليبيا تسمى فى العصر العثمانى الأول ايالة طرابلس « حيث كانت طرابلس وبرقة تشكلان ايالة واحدة » (1) ، وكانت تنقسم من الناحية الادارية الى ثلاثة ألوية هى لواء طرابلس ، لواء مصراته ، لواء بنغازى .

.. وكان كل لواء ينقسم الى عدة أقضية وكل قضاء الى عدة نواحى وكانت مدينة طرابلس هى عاصمة الايالة وبها مقر الباشا وهو صاحب السلطة العليا بحكم أنه يمثل السلطان وفى مراكز الايالة يعين الوالى نوابا عنه لحكمها كما يرسل معهم حامية من الجند لاقرار النظام ولضمان جمع الاموال .

سابعا : سوء الادارة وما يتبعه من نتائج اقتصادية سيئة وكان طابع الحكم العثمانى فى ليبيا كغيرها من الايالات العثمانية — وقد تجلى سوء الادارة فى اهمال الجانب البدوى من البلاد وهو الجانب الاكبر فقد ظل بعيدا عن اهتمام العثمانيين وبقى أمره فى يد رؤساء القبائل يدبرون أمره بأسلوبهم البدوى التقليدى

(1) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون فى شمال افريقيا — ص ٢٠٨ .

ويجعلونه مسرحا لعداواتهم وخصوماتهم وحروبهم — وهى صورة من خصومات العرب وحروبها فى الجاهلية — مما أشعل البادية بنيران حرب ضروس ، تبدت فيها الغرائز القبلية فى أشنع صورها ، دون أن يملك الحكام المقيمون فى المدن لقاءها شيئا الا أن يقدموا اليها وقودا جديدا يزيدها اشتعالا . هذا فى وقت كان الناس يعيشون فيه معيشة بائسة وصلت الى أنهم كانوا يدفعون ضرائب للوالى على كل نخلة وزيتونة وبيضة فى السنة « وان دلت ضريبة البيضة على شىء فانما تدل على بؤس الحالة الاقتصادية التى تعانيها ليبيا ، والفقر الذى عم أرجاءها والاستبداد القاتل الذى أوصل البلاد الى هذه الحال » . [1]

وبالجملة فقد كان اهتمام الدولة العثمانية بليبيا عسكريا أكثر منه مدنيا واقتصرت عنايتهم التى ظهرت فى جهود بعض الولاة — على بعض المدن الساحلية ولذلك لم تنتعش البلاد فى أيامهم ، بل بالعكس تجمدت حيث كانت مما جعلها مسرحا للفوضى وسوء الحكم ، ولما ضعفت الدولة العثمانية الى حد استئثار الكثيرين فى ولايات الدولة العثمانية بالسلطة محليا قامت أسرة القره مانلى فى البلاد عام ١٧١١ م .

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ١٧٩ .

العصر العثماني الثاني

(القرهمانلي) ١٧١١ ــ ١٨٣٥ م

عاشت ليبيـا في العهد العثماني الاول وبصفة خاصة أواخر القـرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر تعاني من الفوضى الشاملة التي حلت بالبلاد نتيجة سوء الحـكم والادارة وقيـام الثورات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد والفتن بين جنـد الانكشارية الذين انصرفوا عن مهمتهم الاصلية وهي الدفاع عن البلاد الى مهمة أخرى سعوا من ورائها الى الكسب والشهرة وهي عـزل الولاة أو الثـورة ضـدهم والسلب والنهب من الاهالي ، « وهذا العهد المظلم الذي يتولى فيه الترزي وبائع القهوة منصب الولاية هو الذي أثر على طرابلس الغرب ــ ليبيـا ــ ثقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وهو الذي قعـد بها عن اللحاق بجارتيهـا مصر وتونس » .[1]

وقد تولى حكم ليبيـا في أوائل القرن الثامن عشر من ١٧٠١ الى ١٧١١ م ــ تسعة ولاة انصرف الكثير منهم ــ كغيرهم من الولاة الذين سبقوهم ــ الى الاشتغال بمصالحهم الشخصية ، دون القيام بأي عمـل للقضاء على حالة الفوضى التي كانت تعم البلاد ، وكانت هـذه الحالة تستلزم وجود شخصية قوية تستفيد من هذه الحالة لتظهر أمام الناس كمنقذ من هذه الحالة التي تعاني منها البلاد .

وقد استفاد أحمد القره مانلي من هذه الظروف لمصلحته وهو سليل أسرة تركيـة جاء مؤسسها الأول كأحـد جنود درغوت في عام ١٥٥٣ م الى طرابلس وتزوج زوجة عربية ليبية ، ثم تدرج أفراد هذه الاسرة حتى

---

(١) الزاوي : ولاة طرابلس ــ ص ٢٠٩ .

تولى أحمد هذا عمالة المنشية — وهى ضاحية من ضواحى طرابلس — من قبل الوالى ، وقد وقف أحمد موقف المتفرج من الخلافات التى كانت تقوم بين الديوان والباشا وجنود الانكشارية وأظهر أنه لا ينحاز لاى فريق وأنه الشخصية التى يمكن لها السيطرة على الموقف .

ويرجع اسم قره مانلى الى انتماء الاسرة « لبلدة قرمانيا الواقعة جنوبى هضبة الاناضول بآسيا الصغرى فهو تركى الاصل [1] » . ولكنه كان طموحا ، فقد انتهز فرصة الحرب الدائرة على تولى حكم طرابلس وأظهر نفسه فى موقف عدم الانحياز لاى طرف من أطراف النزاع حتى يفوز برضاء الجميع ، وكان موقفه حكيما فى هذا الصراع اذ كفى نفسه شر الانغماس فى هذا الصراع مؤقتا حتى يضعف الجانبان المتنازعان فيسهل أمامه الطريق ..

استطاع أحمد القره مانلى بسياسته هذه أن يستقطب كثيرا من جند الانكشارية وأعضاء الديوان ، بل ومعظم أعيان طرابلس ، وأن يؤثر فيهم حتى قرروا توليته واليا عليهم ، بل والوقوف بجانبه أمام تعيين السلطان العثمانى والياغيره — كان خليل باشا الذى سبق له تولى الحكم فى ليبيا بعد محمد باشا شائب العين صهره — وكان وقوف الجنود سببا فى قهر أحمد بك القره مانلى لحملة الوالى المعين من قبل السلطان وهو خليل باشا ، كما كان لتأييد أعيان طرابلس لاحمد بك القره مانلى الاثر الاكبر فى حصوله على فرمان من السلطان بتوليته ايالة ليبيا فى شهر أغسطس عام ١٧١١ م .

حكم أحمد باشا القرهمانلى ايالة ليبيا ٣٤ عاما من عام ١٧١١ م الى ١٧٤٥ م استطاع خلالها تثبيت حكم الاسرة القره مانلية فى ليبيا بل وتأكيد سيطرته على كل أنحاء ليبيا فى برقة وفزان الى جانب طرابلس ، وقد تخلص من قادة جند الانكشارية المناوئين له ، كما حارب الثورات الشعبية حربا عنيفة استغرقت معظم سنوات حكمه حتى هدأت الاحوال

---

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر — ص ١٨٠ .

فى البلاد وخضعت خضوعا تاما ، واستعان بأعيان البلاد فى جمع الاموال للصرف منها على هذه الجهود ، بل وفى ارسال الهدايا للسلطان العثمانى حتى يضمن بقاءه بل وليحصل منه على موافقته فى جعل ليبيا وراثية لبنيه من بعده . وفى الواقع كان « عهده أحسن عهود الاسرة القره مانلية بل وأحسن العهد التركى كله » (١)

ومن الممكن أن نستعرض بعض أعمال أحمد القره مانلى التى خلدت اسمه وأثرت فى ليبيا تأثيرا كبيرا ، والتى يمكن أن نوجزها فيما يلى : —

(١) اهتم بالاسطول « فأعاد له شهرته التى كانت له أيام درغوت باشا ، وأعلن الجهاد ضد السفن الاوروبية ، وقد كسب من وراء مهاجمة سفن الدول الأوروبية الأموال والغنائم الكثيرة »(٢) وقد أدى تهديده للسفن الاوروبية الى القاء الرعب فى قلوب الاوروبيين من القوة البحرية الليبية فى عهده ، كما ضمن عدم مهاجمة الشواطىء الليبية من السفن الاوروبية .

(٢) « استعاد السيطرة على فزان التى كانت دائما بعيدة عن سيطرة الحكم التركى بطرابلس ومن ثم افتتحت طرق التجارة من افريقيا » (٣) فاستفادت البلاد كثيرا من دخل تجارة القوافل وانتعشت حالة الاهالى الاقتصادية فضلا عن أنها كانت موردا لزيادة أموال خزينة الباشا .

(٣) لعل أهم انشاءاته بطرابلس جامعه المشهور الذى بناه عام ١٧٣٧ م — على منوال الولاة الذين سبقوه — على أنقاض المسجد الذى كان عمرو بن العاص قد أسسه عند فتح مدينة طرابلس « وألحق بهذا المسجد مدرسة وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة وهى التى لا زالت قائمة للآن تحت اسم كلية أحمد باشا » (٤) الى جانب بناء القلاع والحصون وتزويد طرابلس وميناءها بمورد ماء عذب دائم ، ومن أعماله

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٢٣ .
(٢) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر — ص ١٨٢ .
(٣) حسن محمود : نفس المصدر .
(٤) الزاوى : معجم البلدان الليبية — ص ٣٠٢ .

أنه « اتخذ جمعية علمية لحسم النوازل والمحاكمات الشرعيـــة ، وكان لين العريكة يؤثر العدل والانصاف » . (١)

وتوفى أحمد باشا عام ١١٥٨ هـ الموافق عام ١٧٤٥ م وخلفه ابنـــه محمد باشا الذى قضى فى الحكم حوالى ٩ سنوات ، وقد ورث حـــكم البلاد بعد أن استقر أمرها وزادت ايراداتها وأصبحت مهابة الجانب من الدول الاوروبية ، ولذلك فقد اتجه محمد باشا الى الاهتمام بالاسطول وهاجم به سواحل أوروبا الجنوبية فأقلق بذلك الدول البحرية بصـــفة خاصة وأسرعت الى عقد المعاهدات معه لتأمن شره وكانت انجلتره أول هذه الدول وقد عقدت معاهدة بين انجلتره وليبيا عام ١٧٥١ م والواقع أنه « اذا كان عقد مثل هذه المعاهدات يعطينا فكرة صادقة عن مـــدى تطور القوة البحرية الليبية ومركزها فى البحر الابيض المتوسط فانه كذلك يرينـــا مدى ما وصلت اليه ولاية ليبيـــا من استقلال ومظهـــر للسيادة الخارجية اذ أن هذه المعاهدة التى عقدت بين ليبيا وانجلتره تمت بدون علم السلطان » (٢) .

ولم يعش محمد باشا كثيرا اذ توفى عام ١٧٥٤ م وتولى بعده ابنـــه على باشا الأول الذى حكم ما يقرب من أربعين سنة ، بدأ عهده باتباع السياسة البحرية التى سار عليها من سبقوه فعقد معاهدات مـــع دول أخرى ، الا أن انتشار المجاعة والأمراض فى البلاد منذ عام ١٧٧٤ م ، وعجز الحكومة عن دفع مرتبا تالجند ، الى جانب تنازع أولاد الباشا ، بالاضافة الى الثورات الشعبية التى قامت هنا وهناك فى أنحاء البـــلاد ضد ما أصابهم من سلب ومظالم . أدى كل ذلك الى تدخل الســـلطان بتعيين وال آخر هو على برغل باشا الذى أجبر الاسرة القره مانليه على مغادرة ليبيـــا ، الا أنها عادت الى الحكم فى طرابلس الغرب بمساعدة والى تونس ، الذى توسط بين القره مانليين وبين السلطان العثمانى حتى تم تعيين أحمد الثانى بن على باشا واليا على كل ليبيا الا أن أخاه يوسف

---

(١) النائب : المنهل العذب ــ ص ٣٢٥ .
(٢) مصطفى بعيـــو : من تاريخ لوبيا ــ ص ١٠٠ .

اغتصب منه الحكم وحصل على فرمان من السلطان عام ١٧٩٥ م .

يعتبر يوسف باشا القره مانلى فى نظر بعض المؤرخين أعظم أمـراء الاسرة القره مانلية ويعزون ذلك لما أصاب البلاد فى عهده الذى امتد من عام ١٧٩٥ الى عام ١٨٣٢م من رخاء وتقدم نتيجة لقضائه بيد من حديد — على الثورات الشعبية والفتن التى لم تهدأ على الاطلاق ضد حـكم الاجانب غير العرب . ونتيجة لتأكيد نفوذه على كل أنحاء البلاد ، والى تأكيد السيطرة البحرية فى البحـر المتوسط مما زاد فى الاتاوات التى تدفعهـا له الدول الاوروبية كما زاد مركز ليبيا فى عهـده بعد استيلاء نابليون على مصر عام ١٧٩٨ م واتصاله بيوسف باشا من أجـل تأمين سلامة القوات الفرنسية بمصر وامدادها بالمؤن والمعدات اللازمـة . الا أن المؤرخ المنصف « قد يجد فى بداية حكم يوسف القره مانلى مايفسح المجال للأمل فى الاصلاح حتى اذا ما قارب النهاية من سيرته وجد من الشناعات ما يبعث الحسرة ويفتح باب اليأس على مصراعيه ، ويرغمـه على القول بأن عهـد الترك هو السبب المبـاشر الذى قعد بليبيـا عن اللحاق بجارتيها مصر وتونس » [1]

الا أنه حدث أن اصطدم يوسف بالولايات المتحدة الامريكية بحرا ولكنه عجز عن اخضاعها لارادته ولدفع الاتاوات التى تدفعها له الدول الاوروبية ، فكان ذلك العجز — الذى انتهى بعقد معاهدة بين الطرفين فى يونيو عام ١٨٠٥ م — سببا فى ضعف مركزه أمام الدول الاوروبيـة التى سارعت الى التمرد على شروطه ورفض مطالبه ، فى الوقت الذى كان يعيش فيـه معيشة أسطورية كلهـا بذخ وترف زائد مما جعله عرضـة لثورات شعبية ضد اجراءاته لجمع الأموال بل ولتهديد الدول الاوروبية له وفرض شروطها عليه ، وانتهى به الامر الى التنازل عن الحكم لابنـه على الثانى عام ١٨٣٢ م ، ولكن هذا الحل لم يرق للوطنيين الذين طالبوا السلطان العثمانى بتخليصهم من هذه الاسرة فأرسل عام ١٨٣٥ م واليـا

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ٢٣٣ .

من الآستانة هو نجيب باشا الذى خلع على باشا وتولى مكانه وعادت ليبيـا من جديد تحكم حكما مباشرا من قبل السلطان العثمانى كما كان الحال قبل حكم الأسرة القرمانليـة .

حكمت الأسرة القرمانلية ليبيا مائة وأربعا وعشرين سنة (١٢٤) من عام ١٧١١ م الى عام ١٨٣٥ م حكم خلالها ٦ أمراء من الاسرة حكمـا وراثيا ومع ذلك لم يستطيعوا الاحتفاظ بالبلاد لأنه لم تكن لهم ـــ شأنهم فى ذلك شأن الحكام الاتراك ـــ سياسة واضحة ومرسومة لحكم البـلاد والمحافظة عليها والأخذ بيـدها ولذلك لم تكد البـلاد تشعر بشىء من الاستقرار فى بدء حـكم الاسرة حتى عادت الى حالتهـا من الفوضى الشـاملة .

وكانت السياسة الوحيـدة التى حـرص عليها أمـراء الأسرة هى الحصول على الاموال بكل وسيلة للصرف منها على حياة البـذخ التى كانوا يحيونها فى قصورهم الفخمة ، وكانت سياستهم هذه ذات شقين : الأول فرض الضرائب على الناس واتخاذ الاساليب التعسفية فى جمعهـا على يد جنـد الانكشارية الذين كانوا من أدوات الامراء القره مانليين فى حـكم البـلاد .

وأما الشق الثانى من السياسة التى اتبعها الامراء القره مانليون فى حكم ليبيـا فكانت اتباع أسلوب القرصنة فى البحر الأبيض المتوسط ، وحقيقة كان هذا الأسلوب سائدا فى تلك القرون فى هذا البحر ، ولكنه لم يكن أسلوب دول وانما كان أسلوب أفراد وعصابات ، ولجوء الأمراء القره مانليين الى المغالاة فى هذا الاسلوب ـــ وان كان فى البـداية قد در عليهم الأموال الطائلة وأوقع الرعب فى قلوب الاوروبيين الا أنه أدى فى النهاية الى التحالف ضد هذا العمل ومن يقوم به .

فقد قررت الدول الاوروبية فى مؤتمر عقد بمدينة فينا عام ١٨١٥ م محاربة أعمال القرصنة ولذلك وقفت من ليبيا موقف العداء ، بل وحاولت كل دولة أن تفرض على ليبيا ـــ فى أواخر عهد الاسرة القره مانلية ـــ الاتاوات والشروط كما كانت تفعل قبلا ، ولعل فشل يوسف باشا فى

فرض سياسته البحرية على الولايات المتحدة الامريكية ثم احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م أدى الى ضعف ليبيا بحريا بل والى القضاء على سيطرة الأسطول الليبى .

ونخلص من كل هذا الى أن ليبيا فى عصر تلك الأسرة لم تستفد شيئا ذا بال نتيجة لتلك السياسة غير المرسومة والتى لم تكن تضع فى حسابها الشعب العربى فى ليبيا اللهم الا ما قام به مؤسس هذه الأسرة أحمد باشا من اشراك بعض الوطنيين فى الجيش وفى ادارة البلاد ليستجلب محبة الناس « خاصة بعد أن جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية وان كانت اللغة التركية لم تختف تماما ، الا أن هذا العمل من جانبه كان سنة طيبة نسج على منوالها من جاء بعده من أبناء أسرته » . (١)

---

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر ــ ص ١٨٥ .

العصر العثماني الثالث

١٨٣٥ — ١٩١١ م

اصطلح بعض المؤرخين على تسمية هـذا العصر بالعصر العثمـانى الثانى فى حكم ليبيا وحجتهم فى ذلك أن عصر الأسرة القره مانلية عصر قائم بذاته ولا يجب أن يدخل فى سلسلة عصور الحكم العثمانى لليبيا ، ولكنى اتساقا مع الحقائق جعلت عصر الاسرة القـره مانلية هو العصر العثمانى الثانى لأن حكم هذه الأسرة كانحكما عثمانيا فعلا وان كان وراثيا بين أفراد أسرة واحدة ، أى أن ليبيا كانت تخضع فيه للسلطان العثمانى ويأتى الفرمان السلطانى بتعيين الولاة من أفراد هذه الأسرة .

وأما العصر الذى جاء بعد نهاية الأسرة القره مانلية فقد أطلقت عليه العصر العثمانى الثالث أى الفترة الثالثة للحكم العثمانى فى ليبيـا وهى الفترة التى تبدأ بنهاية حكم آخر الولاة القره مانليين وتستمر حتى أوائل القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩١١ عندما جاء المستعمرون الايطاليون الى البلاد واحتلوها وأنهوا الحكم العثمانى الذى استمر ٣٦٠ (ثلاثمائة وستون عاما) ، وهذه الفترة أعطيت أهمية كبيرة نظرا لقربها تاريخيـا ولارتباطها بالأطماع الاستعمارية فى ليبيا بعد أن أصبحت تركيا — رجل أوروبا المريض — كمـا كان الأوروبيون يطلقون عليهـا — عاجزة عن الدفاع عن ممتلكاتها العربية — بوجه خاص — ضد أطمـاع الدول الاوروبيـــة .

وقد جاء هذا العصر الى الحكم فى ليبيا بعد أن ضاق المواطنون ذرعا بما ساد بلادهم من فتن واضطرابات حرمتهم الاستقرار المنشود لينصرفوا الى حياتهم العادية ، وجاء — كما حـدث فى منتصف القرن السادس عشر — بعد أن طلب بعض المواطنين من السلطان العثمانى تخليص البلاد

من الفوضى والانقسامات التى حدثت فى عهد الاسرة القره مانلية وبصفة خاصة فى أواخر حكمها .

لذلك كان مجىء العثمانيين للحكم المباشر مثار فرح وراحة من قبل أولئك المواطنين الذين طالبوا بتدخل السلطان العثمانى لانهاء عهد لم يستطع أن يضمن لليبيين الاستقرار أو التقدم ، بل لم يستطع حتى أن يحميهم من القوى العثمانية — الدخيلة المتصارعة على الحكم والمتسابقة لجمع الأموال من أفراد الشعب المغلوب على أمره .

وان كان بعض الليبيين قد شعروا بالفرح لمجىء العثمانيين لحكم ليبيا حكما مباشرا فقد كان هذا البعض ممن أضير من الحكم القره مانلى ، بينما كانت غالبية الشعب العربى فى ليبيا تنظر الى مجىء الولاة العثمانيين من استانبول نظرة شك وتردد حيث لم يقم نظراؤهم — قبل حكم الأسرة القره مانلية — بما يرضى الشعب الليبى من أعمال مفيدة تأخذ بيدهم الى التقدم والازدهار ، ولذلك سرعان ما ناصب هؤلاء المواطنون الدولة العداء وأبوا الخضوع للسلطة الحاكمة لأن الحكم عاد للبلاد وأعاد معه النظام الفاسد السابق ولم يحاول تغيير ما أدى الى سخط الشعب قبلا .

ولقد بقى هذا العصر العثمانى فى حكم ليبيا ما يقرب من سبعة وسبعين عاما تولى الحكم خلالها ثلاثة وثلاثون واليا لم تزد ولاية بعضهم عن العام بل قضى بعضهم فى ولاية ليبيا عدة شهور لا تقترب من السنة . وكان أول هؤلاء هو رءوف باشا الذى جاء بعد أن أنهى نجيب باشا حكم الأسرة القره مانلية بل واستبعدها الى الآستانة . وكان مجىء رءوف باشا عام ١٨٣٥ . وقد أبقى من القره مانليين يوسف باشا لكبر سنه مع أفراد أسرته ، « وتوالى مجىء الولاة بعد رءوف باشا ، وكان كل منهم يأتى ولا يكاد يستقر حتى يصدر فرمان بعزله وبتولية غيره فى ولاية ليبيا ، ولذلك كان الوالى يسعى بمجرد وصوله الى البلاد فى جمع أكبر مبالغ من المال ممكنة لأنه يعلم مسبقا أن بقاءه فى منصبه لوقت قصير » . [1]

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر — ص ١٩٢ .

لقد صرف الولاة العثمانيون كل وقتهم فى ليبيا فى محاولات مستمرة للقضاء على ثورات العرب الليبيين ، تلك الثورات التى قامت فى معظم أنحاء الوطن الليبى . فكان يتزعم الثورة فى مصراته عثمان آغا ، وفى يفرن غومة ، وفى فزان عبد الجليل ، وفى برقة عادل ، ولم تكن هذه الثورات مجرد أعمال فردية بل كانت مظهرا لما طبعت عليه القبائل من حب للحرية وعدم الخضوع للسيادة الاجنبية ونجحت هذه الثورات فى اجهاد سلطة الحكومة العثمانية فى ليبيا واضعافها ، وان كانت هذه الثورات قد فشلت فى تحقيق التخلص من العثمانيين واقامة حكومة محلية من بين أهل البلاد فان ذلك يرجع الى التنافس الذى كان يحدث بين زعماء هذه الثورات وجهلهم بالطرق الكفيلة بنجاحهم وتحقيق أهدافهم الى جانب المجاعات التى كانت تصيب البلاد فتحد من هذه الثورات ومن ولاء الناس لها ، وفى أول هذا العصر أراد غومة المحمودى ثائر الجبل أن يسالم الحكم التركى بعد نهاية القره مانليين فجاء الى « نجيب باشا فى جماعة من رؤساء المحاميد واتفقوا معه على مسالمة الحكومة ، ولكن نجيب باشا لم يتنازل عن تركيته وأبت عليه أن يقابل الرجولة بمثلها فأذن لرفاق الشيخ غومة بالرجوع الى أهلهم وحبس الشيخ غومة ، الذى بقى فى الحبس حتى أطلقه رءوف باشا » .(1)

وليس هنا مجال دراستنا لهذه الثورات الشعبية بالتفصيل ، ولكن يهمنا أن نذكر أن الولاة حاولوا القضاء عليها بالقوة الغاشمة ولكنها لم تكن لتهدأ ، حتى تتسبب المظالم التى ترتكب فى حق الناس وسوء الادارة من قبل الولاة فى قيامها من جديد وهكذا ..

ولعل أعمال بعض الولاة الذين أتيحت لهم فرص تقديم الخدمات للناس كانت تخفف من غلواء هذه الثورات ، ومن أسباب قيام هذه الثورات التى تزعمها زعماء القبائل انه كثيرا « ما يعدهم الوالى بالوفاء بما يطلبونه — خداعا منه — حتى اذا سكنت الثورة ووصل الى غرضه

---

(1) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٣٨ .

خان العهد ورجع الى سيرته الأولى من السلب والنهب » • [1]

لهذا فنحن يهمنا استعراض أعمال أهم الولاة الذين أثروا فى حياة ليبيا بلدا وشعبا وتركوا ما يدل عليهم رغم المدد القصيرة التى حكموا فيها البلاد •• ومن هؤلاء طاهر باشا الذى أنهى ثورة عثمان آغا فى مصراته زمن ولاية محمد رءوف باشا ، ثم تولى البلاد بعد رءوف باشا ولم يمكث سوى بضعة شهور ، ثم عين مكانه حسن باشا عام ١٨٣٧ م• وقد اتبع سياسة جديدة لأول مرة مع زعماء الثورات الشعبية هى الاعتراف بزعمائها كممثلين لقبائل الجهات التى قاموا فيها ، وكان هذا الاعتراف مشفوعا « بقرار يتولى فيه عبد الجليل حكم فزان وغومة حكم الجبل تحت ولايته نظير دفع مبلغ مقرر سنوى » [2] وكانت هذه السياسة ـ التى لم تدم طويلا لأن الثوار لم يكونوا يثقون فى الولاة والحكام العثمانيين ـ كانت تسليما بالأمر الواقع ولكن حسن باشا ـ لقصر نظره ـ لم يستطع أن يسير فى الشوط الى نهايته اذ أصر على أن يدفع الثوار أموالا عن السنين السابقة مما جعل الثوار يرفضون ومن ثم يستعدون لمحاربة الحكم العثمانى ، فاضطرت الحكومة العثمانية الى عزل حسن باشا وولت مكانه على عسكر باشا عام ١٨٣٨ م •

اتبع على عسكر باشا نفس سياسة سلفه فى الاعتراف بالثورات الشعبية وبزعمائها وأقر ما سبق أن اتفق عليه الثوار مع حسن باشا ولكنه لم يطالبهم بدفع أموال عن السنوات السابقة ومع ذلك فان الثوار لم يكونوا يثقون فى الحكام العثمانيين ومن ثم حدث اصطدام بين عسكر باشا والثوار انتهى بمقتل عبد الجليل زعيم ثورة فزان ولكن هذا لم ينه الثورة فى فزان ولا فى الجبل الذى ظل غومة زعيما لها •

وفى عام ١٨٤٧ م حاولت الدولة العثمانية علاج ما أصاب ولاياتها من فوضى وخراب نتيجة سياسة تبديل الولاة بسرعة فى حكم الولايات قبل

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس ـ ص ١٥١ •
(٢) الزاوى : نفس المصدر ـ ص ٢٤٣ •

أن يستقروا وينفذوا سياسة معينة فقررت — فى تلك السنة — جعل مدة الوالى فى حكم الولاية أربع سنوات على أن تحاسبه بعد هذه المدة عما فعله من أجل الولاية ، ولكن هذا التنظيم الجديد لم يكتب له الاستمرار ومرد ذلك أن رجال البلاط العثمانى كان يسوءهم أن ينجح أحد الولاة فى اقرار الأمن والنظام والتقدم فى ولايته ولذلك كانوا دائما يسعون لخلع كل وال يسعى للاصلاح والقيام ببعض المشروعات لتحسين أحوال الولاية بصفة عامة .

وكان محمد راغب باشا أول وال يعين فى ليبيا بعد قرار السلطان بجعل مدة الوالى أربع سنوات ، وقد تعين راغب باشا فى أوائل عام ١٨٤٧ ، ولكنه ما لبث أن عزل فى أواخر عام ١٨٤٨ م رغم أنه اتبع سياسة جديدة فى تهدئة الثورات تمثلت فى تعيين مواطن بربرى نائبا له على منطقة الجبل الغربى ، وكان هذا المواطن من أتباع غومة يدعى قاسم ولقد نجحت تلك الفكرة واستتب الأمن حتى عام ١٨٥٥ م . (١)

ولعل أعظم الولاة فى ليبيا كان على رضا باشا الذى كان جزائرى المولد وتعلم فى فرنسا ، وتولى الحكم فى ليبيا مرتين كانت الأولى من عام ١٨٦٦ الى عام ١٨٧٠ م ، حيث قام بعدة مشروعات لتنظيم القضاء وتأسيس المحاكم التجارية ، والعمل على ازدهار اقتصاديات البلاد عن طريق الزراعة ، ولكن هذا الوالى وجد من رجال البلاط السلطانى باستانبول حسدا ووشايات لدى السلطان مما جعله يعزل رضا باشا فى عام ١٨٧٠ م .

وقد سبق على رضا باشا فى ولاية ليبيا وال ترك آثارا طيبة فى ليبيا ذلك هو محمود نديم باشا الذى عين عام ١٨٦٠ م ، ١٢٧٧ هـ « وفى هذه السنة أسس مطبعة بقصر الحكومة لصحف الأخبار والوقائع ، وسميت صحيفتها — طرابلس الغرب — » (٢) كما تم فى عهده مد

---

(١) جوزيف كاكيا : ليبيا فى العهد العثمانى الثانى — ص ٥٢ .
(٢) احمد النائب : كتاب المنهل العذب — ص ٣٩٥ .

أسلاك البرق بين طرابلس وبرقة • وفى عهده أيضا صدر مرسوم سلطانى بجعل ايالة طرابلس الغرب ولاية •

وجاءت ولاية على رضا باشا الثانية فى أبريل عام ١٨٧٢ م ولكنه هذه المرة كان أقل حماسا فى مشروعاته العمرانية والاقتصادية ولكن أهم عمل قام به هو الحد من الامتيازات التى كانت ممنوحة للاجانب والتى زادت زيادة كبيرة فى عهد الأسرة القره مانلية •

ومن الولاة أيضـا الذين قاموا ببعض الخدمات فى ليبيـا الوالى أحمد عزت باشا الذى تولى الحكم مرتين الأولى من عام ١٨٥٧ الى عام ١٨٦٠ م ، وأما المرة الثانية فكانت من عام ١٨٧٩ فى شهر يوليو الى مايو عام ١٨٨٠ م ، وفى هذه المدة التى هى أقل من عام عمل على كسب عطف وحب الأهالى بتشجيعه للعمران ، وتأسيس أول مدرسة للصناعات عرفت باسم « مكتب الصنايع ، وأسس مستشفى للغرباء ، وأصلح ما ثلم من القلاع والأسوار ، وأسس سوق الحميدية طلبا لتقدم الصنايع وزيـادة فى واردات البلدية » (1) • وهو أول من أسس المكاتب — المدارس — الرشدية « ولأول مرة فى العهد التركى كله نسمع بوال أنشـأ المدارس العصرية لتعليم أبنـاء الشعب الليبى » • (2)

وتعتبر مدة ولاية أحمد راسم باشا الذى جاء عام ١٨٨٢ م واستمر لمدة ١٥ سنة أطول مدة يقضيها حاكم لهذه الولاية فى هذا العصر ، وفى أثنائها حدث نتيجة لغزوة فرنسا لتونس — تقارب بين الليبيين والعثمانيين فعندما احتل الفرنسيون تونس عام ١٨٨١ أظهر الليبيون شعورهم نحو اخوانهم التونسيين وقاموا بمظاهرات ضد الفرنسيين وقد شجعت السلطة الحاكمة الليبيين على اظهار هذا الشعور ومن ثم ظهرت العاطفة الدينيـة الاسلامية فى مواجهة الغزو الاوروبى المسيحى لبـلد اسـلامى كوسيلة للتقريب بين الوطنيين فى ليبيا وحكامهم العثمانيين فقلت الثورات فى عهد راسم باشا وتمكن من بسط سيطرة الدولة العثمانية على البلاد •

(١) احمد النائب : كتاب المنهل العذب — ص ٤٠٤ •
(٢) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٥٧ •

ولعل أهم أعمال راسم باشا أيضا تأسيسه المدرسة الحربية فى باب البحر بمدينة طرابلس وجلب المـاء لطرابلس من أبو مليانه ـ احـدى ضواحى المدينة ـ وأدخل صناعة الحرير فى البلاد كما أمر بزراعة الآلاف من أشجار التوت فى منطقة سيدى المصرى القريبة من مدينة طرابلس .

وفى عام ١٨٩٨ م تولى نامق باشا الحكم بعد راسم باشا ، والى نامق باشا يرجع الفضل فى تشجيع تأسيس مدرسة للصنايع بمدينـة طرابلس عرفت « بمدرسة الفنون والصنايع الاسلامية » (١) أوقف عليها أهـل الخير من أهل البلاد الأوقاف الكثيرة لايواء الاطفال اليتامى والفقـراء وتربيتهم وتعليمهم صنعة يحترفونها ويمارسون حياتهم اعتمادا عليهـا ، كما أنه أسس جريدة الترقى . ومع ذلك فما لبث أن عزل عام ١٨٩٩ م .

ومن الولاة البارزين كذلك الفريق رجب باشا الذى عين بقصـد معالجة وتحسين الأحوال العسكرية للبلاد بعد أن ظهرت نيات ايطاليـا فى الاستيلاء على ليبيا وتصارعت الدول الاوروبية لاقتطاع أملاك الدولة العثمانية بعد أن خضعت تونس لاحتلال فرنسا فى عام ١٨٨١ م

وقد استطاع رجب باشا فعلا تهدئة الأحوال فى البلاد « وانصرف كذلك الى تجميل العاصمة فأنشأ سوق المشير المشهور بطرابلس وأنشأ المدرسة العليا والمدارس الابتدائية » (٢) ولكن فى عام ١٩٠٨ م تعين رجب باشا وزيرا للحربية فى حـكومة جمـاعة الشباب التركى المسماة الاتحاد والترقى فغادر ليبيا وعين بكير باشا نائبا عنه .

وآخر الولاة العثمانيين على ليبيا كان ابراهيم باشا الذى تولى الحكم عام ١٩٠٩ . وقيل عنه أنه كان يظهر العداء لايطاليا ويحارب نفـوذها الذى أخذ يشتد فى ليبيـا ، وقد حاول تنبيه الدولة العثمانية الى خطر النفوذ الايطالى فلم يلتفت اليه لأن الحكم الجديد فى تركيا كان يعانى مصاعب جمة ، وقد اضطـر ابراهيم باشا للسـفر الى استانبول لحث

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس ـ ص ٢٧٦ .
(٢) الزاوى : نفس المصدر ـ ص ٢٨١ .

الحكومة العثمانية على اعداد القوات الكافية لرد عدوان ايطالى وشيك الوقوع .. وقد وقع الغزو الايطالى لليبيا فى أول أكتوبر سنة ١٩١١ بينما كان ابراهيم باشا مازال فى الآستانة .

وهكذا انتهت مأساة الحكم العثمانى فى ليبيا . لتبدأ مأساة الحكم الايطالى البغيض ويمكن القول أن الحكم العثمانى لليبيا ساعد وأدى الى تحقيق المطامع الاستعمارية الايطالية باحتلال ليبيا فى أوائل القرن العشرين ، وذلك نتيجة لما لاقته ليبيا من اهمال من الحكم العثمانى فى عصوره المختلفة ونتيجة لسوء الادارة التى كانت تتبع فى حكم البلاد، ولم يحس الشعب بأن الحكم يعمل لصالحه ، وانما رأى فيه حكما دخيلا أجنبيا ولذلك قاوم الشعب هذا الحكم ما وسعته المقاومة .

والحسنة الوحيدة التى عملتها الدولة العثمانية فى ليبيا هى أن النظام الادارى الذى طبق على البلاد كان يحمل معنى وحدتها ، فقد كان الوالى يقيم بطرابلس ويشرف على كل أنحاء البلاد عن طريق موظفين ينوبون عنه ، فكان يقوم على شئون برقة متصرف عرف باسم نائب الوالى ، كما أن فزان كان يتولاها متصرف أيضا ، وكانت فزان احدى المتصرفيات الآربع التى يتكون منها اقليم طرابلس . هذا الى جانب السعى الدائم والحثيث من قبل كل الولاة الى فرض السيطرة العثمانية على كل البلاد وضمان بقاء كل الأقاليم الليبية على ولائها للدولة العثمانية صاحبة السيادة على البلاد وقد تمثل هذا السعى — كما رأينا — فى الحرب الدائمة بين الولاة والثائرين من أبناء الشعب فى أنحاء البلاد .

وكان المصير الذى آلت اليه ليبيا — باحتلال الطليان لها — نتيجة حتمية للحكم العثمانى الذى لم يعمل على تهيئتها — شأنها فى ذلك شأن بقية البلاد العربية التى خضعت للحكم العثمانى — للاستقلال ، بل قدمها طعمة للدول الاستعمارية الاوروبية بسبب تلك الادارة الفاسدة والفوضى الشاملة التى عمت البلاد ابان هذا الحكم .

ولعل خير دليل على صدق هذا الرأى انه « ما من بلاد عربية كانت تحت الحكم العثمانى استطاعت أن تحكم نفسها بنفسها بعد انفصالها

عنه ، بل انتقلت من حكم العثمانيين الى حكم أجنبى آخر قبل أن تصل الى الاستقلال » . [1]

كانت طرابلس الغرب ايالة عثمانية منذ الفتح العثمانى حتى عهد محمود نديم باشا الذى تولى الحكم فى ليبيا فى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦٠ م حين استبدل اسم ايالة طرابلس الغرب باسم ولاية طرابلس الغرب وكانت التشكيلات الادارية على النحو الآتى :

* مركز الولاية : مدينة طرابلس .

* المتصرفيات التابعة لاقليم طرابلس : هى طرابلس ، الخمس ، الجبل الغربى ، فزان .

* متصرفية بنغازى ، وكان لها استقلال محدود عن طرابلس . [2]

وكانت بنغازى تخضع فقط لطرابلس فى المسائل العسكرية والبريد والجمارك والقضاء وكان لها حق الاتصال بمراسلاتها مباشرة بالآستانة .

وكان يساعد الوالى ـ بمركز الولاية ـ مجلس استشارى يدعى بمجلس الادارة الذى كان عادة يتألف من قاضى القضاة والمفتى والمكتبجى ـ السكرتير العام ـ والدفتردار ـ رئيس المالية ـ وستة أعضاء آخرين لا تصرف لهم ماهيات وينتخبهم الشعب مرة فى كل عامين وكان مجلس الادارة يدير المسائل الاقتصادية والقضاء .

وكانت ميزانية الحكومة تتمثل فى الضرائب التى تفرض على السكان للصرف منها على الادارة ، والضرائب التى كانت تحصل لحساب الحكومة العثمانية وترسل لها . وكان عماد الناحية الاقتصادية الزراعة البسيطة التى تعتمد على مياه الأمطار ومياه الآبار وقد تأثرت الزراعة بما ساد البلاد من فوضى ومظالم وثورات .

كما كانت فى ليبيا بعض الصناعات البدائية التى لم تتقدم ولم تزدهر

---

(١) مصطفى بعيو : فى تاريخ لوبيا ـ ص ٦٥ .
(٢) عزيز سامح : الاتراك العثمانيون فى شمال افريقيا ـ ص ٢٠٩ .

بسبب الضرائب التى كانت تفرض على أصحاب الحـرف ، وكانت أهم الصناعات القائمة صناعة الملابس الوطنية المصنوعة من الصوف ، كما كانت صناعة الحـرير محلية ومحدودة فى طرابلس ويقـوم بها اليهود ، هـذا الى جانب صناعة الحصر ، والذهب •

أما التجارة فقد بلغت تجارة القوافل فى ليبيا ذروتها فى عشرة أعوام ما بين عامى ١٨٧٢ ـــ ١٨٨١ م ، ثم اضمحلت بعد أن استولت فرنسا على تمبكتو بافريقيا وعلى تونس وقد قامت موانىء ليبيـا وخاصة طرابلس وبنغازى بدور هام فى التجارة البحرية ، وكانت انجلترة وفرنسا وتركيا أهم الدول فى التعامل التجارى مع ليبيا فى هذا العصر •

وكانت طبقات المجتمع الليبى تبدأ من الوالى وأركان الحكم ، فقـادة الجند فعلماء الدين ، فالتجار ، ثم أرباب الحرف ، وكانت الطبقة الأولى من العثمانيين وكان من الليبيين رجال الدين والتجار وأرباب الحرف ، كما كان هناك أقلية يهودية تعيش فى منطقة طرابلس بصفة خاصة وكان مرور الوقت وتسامح الحكام من الأسباب التى هيأت الحياة لهذه الأقلية اليهودية وجعلتها تنخرط فى سلك الشعب الليبى •

وكانت تعيش فى ليبيا أيضا جاليات من الدول الأجنبية فكانت هناك جالية بريطانية وجالية ايطاليـة ، وجالية فرنسية وجاليـة أسبانية وجالية هولندية ، وجالية يونانية ، وجالية نمساوية وألمانية ، ولكن كانت الجاليات الانجليزية ـــ ومعظم أفرادها من المالطيين ـــ والايطالية والفرنسية أكثر هذه الجاليات عددا •

هذه أحوال ليبيا ابان الحكم العثمانى الأخير ، والتى ظهر منها عـدم وجود سياسة معينة واضحة وحكيمة ، وكانت الاجراءات والتنظيمات التى يتخذها بعض الولاة لا تثمر لأنها ارتبطت بمصالح العثمانيين دون مصلحة الليبيين ولذلك لم يتمكن العثمانيون من خلق روح ولاء للدولة فى ليبيا ، بل ولا فى أى ولاية عثمانية أخرى •

وكانت أحوال برقة فى النصف الثانى من القـرن التاسع عشر خـيرا من أحوال طرابلس ويرجع السبب فى ذلك الى بعـدها عن مركز الولاية

والى ظهور النفوذ الدينى للسنوسيين منذ منتصف القرن التاسع عشر ، فى معظم أنحاء برقة ، وكان هناك اتفاق بين العثمانيين والسنوسيين يحدد مدى تدخل الادارة العثمانية لذلك استفاد أهالى برقة من هذا الاتفاق .

ولعل من المفيد هنا أن نذكر بعض المواقف التى وقفها الشعب العربى فى ليبيا تجاه الحكم العثمانى والتى تبرز دور هذا الشعب فى تأكيد عروبته وتمسكه ببناء حياته بصورة جديدة أسوة بما تم فى بعض الولايات العثمانية ـ وأهمها مصر ـ فى هذا المجال .

أولا : نشأت عند أهل ليبيا فى هذا العصر روح عربية بدل الولاء للعثمانيين « على ماروى الرحالة الأوروبيون ، فغومة يعتبر أحد الناطقين باسم القومية العربية المقاومين للاحتلال التركى » (١)

كما كان غيره أيضا فى ثورته يريد التخلص من الحكم التركى واقامة حكم عربى يتولاه أهل البلاد بأنفسهم .

ثانيا : كما أن بعض الليبيين فكروا عندما قامت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا عام ١٨٥٣ م رأوا أن « الفرصة سانحة لاعلان استقلال بلادهم عن السلطنة فاشترت بعض القبائل السلاح وطلب بعض من الزعماء مساعدة فرنسا عن طريق قنصلها ». (٢)

ولئن كانت هذه الفكرة لم تأخذ طريقها الى التنفيذ فلأن يد الليبيين لم تجتمع كلها على هذه الفكرة ثم انه حدث فى عهد السلطان عبد الحميد « أن طلبت الحكومة من الوالى تجريد الأهالى من السلاح وتفتيش الزوايا السنوسية لضبط ما عسى أن يوجد بها من أسلحة ، وكان ذلك من الاسباب التى دفعت السيد المهدى السنوسى الىالانتقال من واحة الجغبوب الىواحة الكفرة والايغال فى الصحراء » (٣) .

---

(١) نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ــ ص ٥٦ ، ٥٧
(٢) نقولا زيادة : نفس المصدر .
(٣) مصطفى بعيو : فى تاريخ لوبيا ــ ص ١٠٧ .

ثالثا : لمــا قامت الثورة التركية ــ التى قادها جمــاعة من المتعلمــين الأتراك وضــباط من الجيش ــ عام ١٩٠٨ ، وعزلوا السلطان عبد الحميد خان الثــانى ابن الســلطان عبد الحميد ، ونفــوه الى مدينة سلانيك ــ ببلاد اليونان ــ وأقاموا مكانه أخاه محمد رشاد الخامس، وألفوا حزبا اشتهر باسم حزب الاتحاد والترقى، وكان اسمه الحقيقى الشباب التركى هدف هؤلاء تجديد دولة الأتراك على النمط الأوروبى • لما قامت هذه الحركة تحمس أهل طرابلس وشعروا بقرب خلاصهم من الحكم العثمانى ، كما انتخب أهل الجبل الغربى سليمان باشا البارونى مندوبا عنهم ، وانتخبت بنغازى منــدوبين كان معروفا عنهما عداءهما لجمعية الاتحــاد والترقى وكل هــذا نوع من التحــدى قام به الشعب العربى فى ليبيا ضد السلطة العثمانية الحاكمة •

رابعا : بعد حركة حزب الاتحاد والترقى فى تركيا عملت الحكومة الجديدة على تعيين الموظفين من المتشيعين لهــا • ومعروف عن أعضاء هذه الجماعة عدم تمسكهم بمبادىء الدين الاســلامى واللغة العربية ولمــا جاء الى ليبيا بعض هؤلاء الموظفين تحلى الليبيون بالشجاعة الأدبية وطالبوا الحكومة العثمانية بسحب مثل هؤلاء الموظفين من ليبيا وقد استجابت الحكومة العثمانية لمطالب الليبيين ، ولم تكن هذه الاستجابة سوى محاولة لاسترضاء الشعب فى الولاية التى ظهرت نوايا ايطاليا فى احتلالها حتى يقاوم هذه النوايا ويتمسك ببقائه تحت السيادة العثمانية •

خامسا : أظهر الشعب شعور العداء نحو الدول الأوروبية التى احتلت أجزاء من البلاد العربية فقد ظهر استياء الشعب الليبى وسخطه على فرنسا حين احتلت تونس عام ١٨٨١ م كما أظهر سخطه كذلك حين اعتدت انجلترة على مصر واحتلتها عام ١٨٨٢ م ، وكان هذا شعورا عربيا ضد دول استعمارية تبغى الشر لبنى عمومتهم •

سادسا : كان الجهل ضــاربا أطنابه فى طول البــلاد وعرضها على اتساع

مساحتها •• ولم تأخذ البلاد تحت الحكم العثمانى بالعلم الحديث وصدق من قال « أما العلوم والمعارف العصرية فلا توجد عندهم بل لا يشمون لهـــا رائحة » [1] ومع ذلك فقد كان هناك بصيص من الثقافة الدينية التى كانت تدرس فى المساجد والزوايا لاعداد الطلاب للالتحاق بالجامع الأزهر بمصر أو جامع الزيتونة بتونس، وقد سعى المواطنون الى أن ينهلوا من المدارس الدينية وأخذوا يقطعون المسافات ليستزيدوا من العلم الدينى مؤمنين بأهمية العلم ومتمسكين بدينهم حريصين على تعليمه لأبنائهم •

سابعا : حقيقة أولت السلطات العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التعليم اهتماما محـــدودا فشجعت الأهالى على التبرع لفتح المدارس ولكنها لم تهيىء الأهالى لقبول هذه الأفكار ولذلك كان قيام التعليم فى ليبيا يستند الى اقتناع الناس بفائدة التعليم لأبنائهم ومن ثم سارعوا بالتبرع بالأموال وايقاف الأوقاف الكثيرة لانشاء المدارس على مختلف أنواعها ، للصرف منها على انشاء المبانى المدرسية ودفع مرتبات المعلمين الذين كانت تعينهم نظارة المعارف باستانبول •

ومن الجدير بالذكر ــ قبل أن ننهى حديثنا عن الحكم العثمانى لليبيا ــ أن نسجل ادراك الشعب العربى فى ليبيا لحقيقة الأوضاع المحيطة به ، فعلى الرغم من أن تركيا حاولت فى أوائل القـــرن العشرين أن تخطب ود الشعب الليبى لتضمن بقاء واستمرار ولائه وتحاول ابعاد الأطماع الأوروبية عن ممتلكاتها بصفة عامة ومن بينها ليبيا بصفة خاصة نظرا لأن الجزائر ثم تونس ، ثم مصر والسودان وقعت فريسة كلها تباعا للسيطرة الاستعمارية الأوروبية وكلها كانت ولايات تابعة لتركيا •

وقد اتضح أمام الشعب العربى فى ليبيا كذلك موقف ايطاليا ونواياها نحو البلاد ، وما اتخذته من اجراءات اقتصادية كاقراض الفلاحين الليبيين

(١) رحلة الحشائشى الى ليبيا ــ ص ١٩٠ •

الأموال الكثيرة وافتتحت لذلك مصرفا فى مدينة طرابلس ، وحاول الطليان استمالة بعض الزعمـاء الليبيين ادعاء بأن ايطاليـا هى الأقوى وأن تركيا أصبحت ضـعيفة وأدارت ظهرها للولايات العربية باهمـال اللغة العربية والدين الاسلامى وأوضح الطليان لهؤلاء الزعماء كيف أن الجزائر ثم تونس ثم مصر والسودان كلها ضاعت بسبب اهمـال الاتراك الذين لم يجردوا سيفا لصد العدوان عن هذه البلاد ، أو لاستردادها ، وكانت هذه الدعوى الايطالية مع الأسف صحيحة حتى أصبح النـاس يعتقدون أن « حكومة الآستانة — فى عهدها الأخـير — لا ترسـل الى طرابلس الا المشاغبين والخطرين على الأمن الذين تخشى وجودهم فى البلاد التركية ، وتترك لهم الحبل على الغارب ، يتصرفون فى البلاد وأهلها بما يملأ جيوبهم ، ويوفر لهم شهواتهم ولا يخافون رقيبا » . (١)

ومع ثقة الليبيين بأن تركيا لن تدافع عنهم ضد الغزو الايطالى المحتمل الا أن ثقتهم بأنفسهم كانت تسيطر على تصرفاتهم فلم يأبهوا لأى تهديد من قبل الايطاليين وهم معتصمون بالله وبدينهم الذى ازدادوا به تمسكا ، ومن ثم واجهوا الغزو الايطالى لبلادهم بصلابة أذهلت هؤلاء المستعمرين .

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٧٢ .

الفصل الثانى

التعليم التقليدى فى العصر العثمانى

- مقـــدمة .
- المســاجد .
- الربــاطات .
- الزوايـــا .
- الـكتاتيب .
- مدارس اليهــود .
- مدارس الارساليات الدينية والجاليات الأوروبية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يرتبط النظام التعليمى فى أية دولة من دول العـالم بالنظام السياسى والنظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى السائد فيها ، أى أن التنظيمات السياسية والاقتصـادية والاجتماعية فى الدولة تحـدد النظام التعليمى وتوجهه لأن التعليم تعتمد عليه الدول فى تدعيم نظمها وفى تحقيق أهدافها.

وعلى هذا فان نظام الحكم ــ ديموقراطيا أو استبداديا ــ والسياسة الاقتصادية التى تسـير عليها الدولة ــ رأسمالية كانت أو اشتراكية ــ والحياة الاجتماعية للمواطنين ــ اقطاعية أو شعبية ــ كل هذه النظم توجه التعليم فى الدولة لمصلحتها وتدعيم كيانها كل حسب نوعه ، ولذلك يأتى التعليم صورة لتلك النظم السائدة ومعبرا عنها عاملا على تحقيق أهدافها ومبادئها .

وتبعا لذلك فان التعليم فى ليبيا تأثر بما ساد البلاد من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ومن ثم فاننا عند تصـدينا لدراسة تاريخ التعليم فى ليبيا لابد لنـا وأن ندرس تاريخ البـلاد ونحدد الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى عاشتها لنرى انعكاساتها على التعليم .

ان ليبيـا دولة عربية اسلامية أكدت عروبتها واسلامها منـذ الفتح العربى الاسلامى وساعدها على ذلك موقعها الجغرافى الهام فهى تقع وسط الدول العربية الاسلامية فى شمال افريقيا ، وهى تتصل بالدول الافريقية فى وسط القارة كما أنها تشرف على البحر الأبيض المتوسط بساحل طويل يمتد لأكثر من ألفين من الكيلومترات ، وعلى الجانب المقابل من البحر المتوسط توجد قارة أوربا بتأثيراتها السياسية والاقتصادية .

واذا كان هذا الموقع له أثره البالغ فى تأكيد دور ليبيا العربى الاسلامى فان نزوح قبائل عربية اسـلامية من المشرق العربى بعـد الفتح العـربى الاسلامى لليبيا ــ الذى تم عام ٢٢ هـ الموافق عام ٦٤٣ م ــ دعم هـذا الدور فقد هاجر المسلمون وكثيرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد جم من القبائل العربية الى هذه الديار وأقاموا فيها ينشرون الاسلام واللغة العربية فى جميع مدنها ونجوعها ، وبعث الخليفة عمر بن عبد العزيز بطائفة من العلماء ليفقهوا أهل ليبيا والمغرب فى شئون دينهم والشريعة الاسلامية ، وليعلموهم اللغـة العربية التى صارت لغة رسمية للبـلاد الليبية .

كما أن طبيعة السطح والمساحة المتسـعة والتى لا تتناسب مع عـدد السكان الذين يعيشون على الأرض الليبية ، كل هذا وغيره أكد الدور العربى الاسلامى لليبيا وبالتالى انعكس على التعليم فيها. والمتتبع لتطورات الأحداث التاريخية فى ليبيـا بعد الفتح العربى يرى بوضـوح كيف سار التعليم فى هذه الأرض ملتصقا بالظروف السائدة معبرا عنها محققا لغاياتها.

فكان التعليم منـذ الفتح العربى تعليما دينيـا صرفا لتـأكيد الدين الاسلامى فى النفوس الى جانب تعليم اللغة العربية ــ لغة القـرآن ولغة الدولة الاسلامية ــ وكان هذا التعليم يتم بجهود فردية فى المساجد الـتى اتخذت منذ انشائها فى نواحى ليبيا بيوتا للعبادة وحلقات للعلم والتعليم .

وفى جميع مدن ليبيا وفى مقدمتها طرابلس ومصراته وزليتن واجدابيا ودرنة وغيرها أقيمت المسـاجد كمراكز للحكم واقامة الشـعائر الدينية ولتعليم النـاس أيضا .. وكان أول ما أنشىء فى طرابلس جامع النـاقة وهو جامع الفتح وتذكر بعض المصادر أن الذى أسسه هو عمرو بن العاص وهو يشبه جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط الاسـلامية بمصر . وبنى الأغالبة فى طرابلس فى القرن الثالث الهجرى الجامع الكبير ــ وموقعه فى المكان الموجود فيه جامع أحمد باشا الآن بسوق المشير ــ ثم بـنى الفاطميون جامع طرابلس الأعظم «الذى تم بناؤه بين القصبة وبين المدرسة

المنتصرية فى منتصف مدينة طرابلس تقريبا »(١) ، والذى كانت فيه أشهر الحلقات العلمية ، وقد اتسع التعليم فيه فى عهد الصنهاجيين ، وتعـددت فنونه فشملت العلوم الاسلامية والعربية والطبية والرياضية ، وصار هذا الجامع بمثابة جامعة ليبية قائمة بذاتها تخرج العلماء ويقصد اليها الطلاب من كل مكان ، وينال أساتذتها الشهرة العلمية الواسعة فى مختلف فروع المعرفة ، ولقد كان لبعض هؤلاء العلماء آثار علمية كبيرة ، ومن بينهم الفقيه عبد الحميد بن أبى الدنيا (٦٠٦ ــ ٦٨٤ هـ الموافق ١٢٢٧ ــ ١٣٠٥ م) وقد كان لهذا العالم الكبير منزلة عالية فى الدولة الحفصية حتى ان هذه الدولة لما أرادت نقل حلقات التعليم من جامع القيروان الى جامع الزيتونة فى تونس فى القرن السابع الهجرى لم تعول فى ذلك على عالم من العلماء غير عبد الحميد بن أبى الدنيا . وقد أنشأ مدرسة تحت اسم « المدرسة المنتصرية وهى فى مسـامتة قوس الرخام وهو واقـع بينها وبـين باب البحـر » . (٢)

وهكذا قامت المسـاجد الكبرى فى أنحاء ليبيا منـذ الفتح العربى برسالتها الثقافية والتعليمية الدينية الجليـلة . حيث كانت تقـوم بتعليم الناس صغارا وكبارا عن طريق الخطب المنبرية والمواعظ وحلقات الدرس التى تعقد بها ، والتى كانت تستهوى كبار القوم ومسنيهم بصفة خاصة . ولا ريب أن المساجد قامت بدور كبير فى هذا المجال التعليمى فى وقت لم يكن فيه مؤسسات غيرها لتقوم بهذا الجهد .

وكان للمسجد فوق ذلك كله رسـالة أخرى اذ كان مقرا للحـكم الاسلامى وللقضاء وغـير ذلك من شئون المسـلمين ، ويروى التيجانى فى رحلته ــ فى القرن ١٣ الميلادى ــ أن مسجد العشرة بطرابلس كان يجتمع فيه عشرة من أشياخ البلد للمشورة فيدبرون أمر البلد وذلك قبل تملك الموحدين لهـا ، وعرف فيما بعد بمسجد الموحدين .

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ــ ص ٩١ .
(٢) الزاوى : نفس المصدر ــ ص ٣٠٤ .

حتى اذا سيطر العثمانيون على ليبيــا وعلى غيرها من أقــطار العالم العربى خلال القرن السادس عشر ، أصبح هذا التعليم الذى كان قائما بصفة أساسية فى المساجد والكتاتيب هو التعليم الوحيد المتاح لأبنــاء هذه البلاد ، الا أنه أخذ يتأثر بذلك الطابع التقليدى الرتيب الذى ساد الحياة العربية أثناء حكم العثمانيين الذى امتد الى مطلع القرن العشرين •

وقد انحسر التعليم كذلك فى دائرة ضيقة مغلقة اذ تركز على تحفيظ الناشئة للقرآن وتأديبهم ببعض تعاليم الدين وتدريبهم على بعض مبادىء القراءة والكتابة •

ولم ينل التعليم شيئا من العناية على يد الدولة العثمانية ، الا فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، عندما تزاحمت عليها الأحداث من حولهــا آتية من أوروبا الطامعة فى ممتلكاتها ومنها ليبيــا وجاءت هذه العنــاية المتأخرة والطارئة نتيجة حركة الاصــلاح الدستورية التى حاولتها بعض العناصر التقدمية فى تركيا ذاتها فقد ضغطت أوروبا عليها وعلى ممتلكاتها ، بعد أن ملكت أسباب التفوق الفكرى والعلمى والعسكرى والاقتصادى وبعد أن حاولت بعض الولايات الخروج على سلطانها طلبا للاستقــلال مثل مصر •

ومن هنا بذلت بعض الجهود لاسترداد سيطرتها وسلطانها بعــد أن فقدته نتيجة خروج أحمد القرمانلى وخلفائه (١٧١١ ــ ١٨٣٥) عليها واعلانهم استقلالهم الذاتى بحكم ليبيــا وشملت هذه الجهود قطــاع التعليم ، غير أن هذه الجهود لم تعن أن التعليم كان محققا لمطالب البلاد ، فقد كان منفصلا عن مشكلات الناس وعن أهدافهم فى حياة وطنية وغلبت عليه الصفة التركية واتجه الى خدمة الجيش التركى والادارة التركيــة فى البــلاد •

ثم أن هذه الاصلاحات والجهود التعليمية كانت بمثابة اجــراءات طارئة وســط ظروف مضطربة فقد تعــدد الولاة فى تلك الفــترة وقصر عمر كل منهم فى الحكم ، وساءت الادارة وانتشرت المحسوبية والرشوة،

مما جعل ليبيا — كما جعل غيرها من ممتلكات الدولة العثمانية — مطمعا لاستعمار أجنبى آخر ..

مما تقدم يمكن أن نعدد الملاحظات والحقائق التالية على التعليم فى عهد الحكم العثمانى فى ليبيا :

أولا : تعرض التعليم شأنه شأن بقية نواحى حياة المواطنين للاهمال وعدم الاهتمام من قبل الولاة أو الدولة نفسها فقد ورثت البلاد بأحوالها السائدة دون محاولة جادة للتغيير أو الأخذ بأسباب التقدم والنهضة فصدق عليها القول بأن الدولة العثمانية « لم تفعل شيئا من أجل نشر التعليم فى ليبيا حتى عام ١٨٨٧ م ، واستمرت المؤسسات التعليمية الموجودة فى كلا الاقليمين برقة وطرابلس ، وهى الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد الرئيسية »[1] تؤدى رسالتها دون أى محاولة من جانب سلطات الحكم العثمانى للتغيير أو التطوير .

وقد كانت فرص التعليم الحديث حتى نهاية العهد العثمانى محدودة جدا بحيث لا يصل اليها الا عدد قليل جدا من أبناء المدن الكبيرة كطرابلس وبنغازى ، حسب ما جاء فى تقرير مندوب الحكومة الايطالية الذى قدمه الى المجلس الخاص بدراسة المشكلة الليبية فى هيئة الأمم المتحدة والذى طبع فى أحد تقارير الهيئة عام ١٩٥٠ م فان عدد التلاميذ من الذكور والاناث والعرب والأتراك واليهود فى المدارس النظامية النظرية والمهنية والعسكرية فى العام الدراسى ١٩١٠|١٩١١ م لم يزد عن ١٥٠٠ تلميذ وتلميذة فى طرابلس وعلى عدد أقل من هذا بكثير فى بنغازى . يضاف الى هذا العدد عدد آخر من أبناء العرب واليهود والجاليات الأجنبية كانوا مسجلين ف مدارس

(1) Annual Report of the United Nations commissioner in Libya. P. 84.

الارساليات الايطالية والفرنسية وفى المدارس اليهودية بالنسبة لأبناء اليهود • والاحصاءات التى أوردها المندوب الايطالى فى تقريره عن التعليم فى العهد العثمانى تفيد أن مجموع التلاميذ فى مدارس الارساليات والأقليات الايطالية فى ذلك العهد كان ٢٥٨٩ تلميذا وتلميذة فى عام ١٩١٠|١٩١١ م •

وهذه الاحصاءات تدل دلالة واضحة على أن التعليم العام الحديث لم يحرز تقدما ملموسا فى العهد العثمانى ففرصه كانت قليلة لدرجة لا تذكر واهتمام الناس به كان ضعيفا جدا لأنهم كانوا حديثى عهد به ولأنهم لم يكونوا يدركون بعد صلته بتحقيق الرفاهية الفردية والاجتماعية ، وبالتالى فان أهميته لم تتضح بعد فى أذهانهم •

هذا الى جانب أنه كان من سياسة الباب العالى عدم تقديم أية مساعدة مادية الى أية ولاية لا تمكنها مواردها المالية من الصرف على نشر التعليم بين أبنائها فكانت الدولة العثمانية تهتم أولا وقبل كل شىء بتحصيل الأموال المفروضة على الولاية وارسالها الى دار الخلافة دليلا على تبعية الولاية لها ، أما الصرف على التعليم فى الولاية وعلى غير التعليم فلم يكن له من مورد سوى ما يجود به الخيرون هذا فى وقت كانت فيه موارد ليبيا المالية قليلة والدخل القومى لأبنائها ليس كبيرا ولا وفيرا • كما تجلى عدم الاهتمام بالتعليم فى ليبيا فى العهد العثمانى فى عدم وجود موظف مسئول بالولاية عن قطاع التعليم فيها واستمر الوضع على هذا النحو حتى عام ١٨٩٩ حينما أرسلت الدولة العثمانية « الى طرابلس موظف مسئول يحمل لقب المشرف العام أو المدير العام للتعليم ليهتم بنشر التعليم حيثما تتوفر الظروف [1] » • حيث ان الباب العالى فى ذلك

(1) Annual Report of the United Nations Commissioner in Libya, P. 84.

العام « طلب من نظارة المعارف الجليلة ارسال مأمور للمعارف فى أول الأمر مقتدر ومستقيم عارف باللسان المحلى وواقف على معاملات تشكيل المكاتب الابتدائية وتنظيمها على الطراز الجديد لكى يقع التأمل والانهاء فى تأسيس المكاتب اللازمة مثلما فى سائر الممالك المحروسة السلطانية وفى نشر المعارف وتعميمها شيئا فشيئا على أن تؤخذ فى مقابل مخصصاتها واردات الأوقاف المندرسة [1]وسائر عائدات المعارف » [2]

ثانيا : يهدف أى احتلال الى فرض لغته على أصحاب وأهل البلاد الأصليين وبالمثل فان الوجود العثمانى فى البلاد العربية بلا استثناء سعى هذا السعى وعمل له جاهدا سواء فى مجال التعليم أو فى مجالات الحياة الاخرى .

فقد كان التعليم فى المدارس التى أنشأتها الدولة العثمانية فى البلاد العربية كان يجرى باللغة التركية بوجه عام ، وكانت قواعد اللغة العربية تدرس فى هذه المدارس بقدر ما كانت تدرس فى المدارس المؤسسة فى الولايات التركية الأخرى لانها كانت من جملة القواعد المستعملة فى اللغة التركية ، فكان لابد من معرفتها لفهم الأدب التركى واتقان الانشاء باللغة التركية وهذه الحالة كانت « تحول دون استفادة الشعب فى البلاد العربية من هذه المؤسسات التعليمية استفادة كبيرة لأن الانتساب اليها كان ينحصر تقريبا — لهذا السبب بأولاد الموظفين من جهة وبأولاد الوجوه الذين يتصلون بدوائر الحكومة اتصالا وثيقا من جهة أخرى » . [3]

---

(١) الأوقاف المندرسة هى الاوقاف التى ليس لها شىء معين تحبس عليه وتنفق عليه ايراداتها .

(٢) جريدة طرابلس الغرب العدد ٨٩٧ السنة التاسعة والعشرون ٢٢ يوليو سنة ١٨٩٩ م .

(٣) حولية الثقافة العربية — جامعة الدول العربية — السنة الاولى١٩٤٨م و ١٩٤٩ م .

وفى ليبيا سارت الأمور بنفس الطريق الذى سارت فيه فى بقية الولايات العثمانية من حيث فرض اللغة التركية على الناس فى المدارس وفى التعامل مع سلطات الحكم فى الولاية وكان يقوم بتعليم اللغة التركية بالمدارس التى أنشئت فى ليبيا فى العهد العثمانى ضباط من الجيش العثمانى المتقاعدون ولكن تتكفل الولاية بدفع مرتباتهم الشهرية فقد أرسل الوالى من طرابلس عام ١٨٥٠ م الى دار الخلافة باستانبول يطلب تعيين اثنين من العسكريين الأتراك المتقاعدين فى طرابلس « لتعليم اللغة التركية للتلاميذ حتى يمكن التفاهم معهم على أن تدفع لهم نظارة المعارف — فى استانبول — مبلغ ٣٠٠ قرش لكل منهم شهريا »(١) ولكن دار الخلافة أجابت على هذا الطلب بأن تدبر الولاية هذه النقود اللازمة للمعلمين من تبرعات الناس ومن أوقافهم .

ولقد كان فرض استعمال اللغة التركية فى المعاملات الرسمية الحكومية على الأهالى مثار شكوى الناس وتبرمهم من تعطيل مصالحهم بسبب عدم معرفتهم باللغة التركية وأمامنا رسالة أرسلها موظف ليبى يشغل وظيفة مدير لناحية تاجوراء بطرابلس فى فبراير عام ١٨٩٩ م الى الوالى بطرابلس يقول فيها بالحرف « ان بعض الأوامر التى ترد على العاجز بالقلم التركى لم يصر فهمها تفصيلا أرجو من عالى مقامكم ان وافق الرأى الصائب الأمر بكتابة ما ذكر بالقلم العربى ، سواء ان كانت من المكتوبجية — السكرتارية — أو من قلم المحاسبة لكى يتضح لنا ما يصير به التعريف » (٢)

وهذه الرسالة التى جاءت على لسان موظف معين من قبل

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) رسالة من مدير ناحية تاجورة رمضان الشريف الى والى الولاية .

الوالى العثمانى وبعـد مرور ٣٥٠ ثلاثمائة وخمسين سنة على بداية الحكم العثمانى لليبيا لأصدق دليل على تمسك الليبيين العرب بلغة العروبة وعلى نفورهم من اللغة التركية لغة المحتلين التى رغم بقاء العثمانيين فى ليبيا طوال هذه المدة الا أنها لم تجد طريقهـا الى ألسنة أهل البـلاد ولم يتحقق ما كانت الدولة العثمانية تسعى اليه فى ليبيا وغيرها من البـلاد العربيـة لمحو القومية العربية واعتزاز العرب بعروبتهم وأن تنسيهم جنسيتهم العربية لتحل محلها الجنسية العثمانية واللغة التركية والعـادات والتقاليـد التركيـة .

وكانت الدولة العثمانية شديدة الحرص على تأكيـد عثمنة البلاد الخاضعة لها ومن أصدق الدلائل على ذلك المنشور الذى أصدرته نظارة المعارف باستانبول تحرم على كل من لا يحمـل الجنسية العثمانية أن يقوم بوظيفة المعلم فى المدارس وقد أعطى المنشور مهلة لتنفيذ هذا الشرط بأن جعل « آخر موعـد هو عطلة هذه السنة ــ ١٩١٠ م ليستعد الجميع » (١) لتنفيذه .

كما أن المواطنين الليبيين كانوا حريصين على تعليم أولادهم ويتبرعون لاقامة المدارس ولكن كان ينقصهم وجـود المعلمين العرب المسلمين الذين يطمئنون لهم فى تربية أبنائهم ولذلك كثيرا ما نجد فى دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رسائل مرسلة من الأهالى ومن القائمقامين الى الوالى ومدير المعـارف بطرابلس بطلب تعيين معلم يعرف اللغة العربية ومن هذه الرسائل رسالة من قائمقام غدامس تفيد أنه قد تم بناء مدرسة فى تلك الناحية « على نفقة الأهالى ولكن ينقص وجود المعلم ونرجو أن يكون عارفا للغة العربية » (٢)

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ثالثـا : كان العثمانيون أهل حرب وادارة أكثر من كونهم أهل ثقافة وحضارة ، فتركوا حياة الناس دون اهتمام أو اصــلاح حتى غلب عليها التقليد دون التجديد وحتى قيدتها التقاليد المتوارثة وبعد التعليم وغيره من الخدمات عن أن يكون موضع تقــدير من الولاة ، حيث انصب جهد الادارة والحــكم على تحصيل الضرائب والاتاوات وارهاق الناس بها . [1]

وهكذا عاش التعليم فى ندرته وقلته أهليــا حرا ، شــعبيا لا حكوميا غير موجه لا يعبر الا عن جهود بعض الولاة وأهل البر والاحسان ابتغاء مرضاة الله فنجد بعض الولاة يستحثون الناس على التبرع لفتح المدارس ــ لتعليم الأطفال ، وهــذا مثال يدل على اهتمام بعض الولاة بهذا الأمر ، اذ نجد الوالى على رضا باشا الجزايرلى ــ وهو جزائرى الأصــل ــ يصدر منشورا عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٤ م يحث الناس فى ليبيــا على التبرع لفتح مدرســة ــ اصلاحية ــ لتعليم الأطفــال الأحداث والمشردين واليتامى تعليما عامــا ومهنيا « فيتخلقون بمحاسن الأخــلاق ويتعلمون القــرآن وأمور دينهم والصنائع الرائجة فى البلد فتكثر الصنائع وتروج فيعمهم وسائر سكانها النفع ، ولكل منهم أمد محدود وبما يراه المعلمون من النجابة فى الطفل يكون وضعه فى تلك الصنعة التى يروا نجابته فيهــا وعليهم أن يجيدوا فى التربية ويبالغوا فى التعليم وعلى الحكومة الانفاق والاكساء مدة التعليم وعلى الأطفال أن يعمل كل منهم فى مقابلة ذلك وله نصيب من الأجرة تقدر فى مقابلة عمله تعطى له بعضها ليصرفها وبعضها يحفظ له الى أن يتم تلك المــدة فيأخذ اجازة بعد الامتحان ويتسلم ماانضبط له فيجده رأس مال فى يده يحضر به آلات الصنعة ويستعين به على استعمالها » [2]

---

(١) تطور التعليم فى ليبيا ــ من تقارير وزارة التربية والتعليم ..
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

هذا مثال على جهود بعض الولاة فى مجـال نشر التعليم وهو فى هذا يعتمد على تبرع الأهالى حاثا اياهم على بذل الأموال فى سبيل الله مثيرا فيهم الشفقة على الأطفال غير القادرين ومحفزا لهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحض على فعـل الخير والتصدق لأعمـال البر .. وفتح المدارس فعـل خير ومن أعمال البر ..

كما نشرت جـريدة طرابلس الغـرب — وهى الجـريدة الرسمية الناطقة بلسان الولاية — على مدى السنوات الأخيرة للوجود العثمانى بليبيا ما يفيد بتبرعات الأهالى لفتح المدارس فى أنحاء البلاد فنشرت مثلا فى فبراير سنة ١٨٨١ توضح أهمية اصلاح المكاتب الابتدائية فى الولاية على الأصول الجديدة التى ثبتت محاسنها عند التجربة « كما هو جار فى دار السعادة » وتشكر الوالى على اعتنائه بهذه المكاتب وتطلب من الأهـالى التبرع ، وقد استجاب الأهالى خصوصا « أرباب الترقى من الأهالى باجراء تشويقات وترغيبات لا حد لها ولا نهاية لاخوانهم الوطنيين الذين لم يقدروا بعد أن يطلعوا ويقفوا على قيمـة جوهر العلم والمعارف التى تساوى الدنيا قدرا .. وبادر أهل الثروة فى كل طرف لفتح جمعيات اعانة بينهم وجمعوا نقـودا كثيرة وبنوا وأنشأوا مكاتب جديدة لأجل أن تكتسب أولادهم وقرة أعينهم العلوم والمعارف واستخدموا من طرفهم معلمـين مستعدين وجلبوا من دار السـعادة كتب ورسـائل مفيـدة نافعـة .. » (١)

كما بعث أهالى النواحى الأربعة بطرابلس التماسا لمديـر معارف الولاية بمركز الولاية يطلبون منه الموافقة على « فتح واصلاح المدارس لتعليم الصبيان على مقتضى الحال ، على أن

---

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ٤٦٣ السنة الثالثة عشرة .

تجمع تبرعات تبنى بها المدارس ، وعلى ادارة معـارف الولاية تدبير المعلم اللازم » [1] وهذا دليل جديد على اهتمام الناس بتعليم أبنائهم وأنهـم مستعدون لانشـاء المبانى المدرسية ولا يطلبون من الحكم القائم الا اختيار المعلم الكفء والأهـالى يدفعون نفقاته الشهرية أيضا .. وهم بهذا يطلبون موافقـة الوالى فقط ومدير معارفه ..

وكانت الجرائد تنشر أسماء الأهالى المتبرعين لانشاء المساجد والمدارس لحث بقية المواطنين الليبيين على التبرع ودفع الأموال لبناء المدارس والمؤسسات التى تقـدم خدمات للناس والتى لا تجد من الحكم العثمانى اهتماما لبنائها ، فقد نشرت جريدة الجوائب فى عددها رقم ١٠٦٦ تحت عنوان حوادث طرابلس الغرب شكر « للحاج رمضان أفندى ميزران من التجار المحليين لكونه بنى وأنشأ جامعا شريفا ومدرستين ومكتبا لأجل تعليم أطفال المسلمين القرآن العظيم الشأن وسبيلا بالبادية ، وثلاثة صهاريج داخل البلدة ـــ طرابلس ـــ ووقف لها عقارات» [2] وتعتبر مدرسة ميزران « من أشهر المدارس الموجودة بداخـل مدينـة طرابلس ، وقـد كانت ومازالت مهاجرا لطلاب العلم وحفاظ القرآن ، ومن المرغبات فيها أن لها أوقافا ينتفع منهـا الطلاب والمدرسون » [3]

وكان يحدث عندما يتم انشاء المدارس أن يقام احتفـال اما لوضع حجـر الأساس أو لافتتاح المدرسة فقد « أخبرت وكالة متصرفية الجبل عطفا على اشعار ناحية ككـلة أنه جرى الآن الاحتفـال بوضـع أساس مكتب ابتـدائى استحصلت

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) جريدة طرابلس الغرب العدد ٤٦٣ فبراير ١٨٨١ م السنة الثالثة عشرة .
(٣) الزاوى : معجم البلدان الليبية ـ ص ٣٠٥ .

المساعدة فى بنائه سابقا فى الناحية المذكورة بالاعانة التى جمعها أولو الحمية »(١) . وقد ناشدت الصحيفة التى نشرت هـذا الخبر فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٠ م بقية النواحى أن تحذو حذو ككلة وغيرها ..

ومن الوسائل التى كانت متبعة أيضا لجمع التبرعات لبناء المدارس والصرف على الموجود منها اقامة المهرجانات ، فقـد « نظم مهرجان ثانى أيام العيد فى حديقة اختيرت بطرابلس علقت بهـا الزينات وصدحت بها الموسيقى — قامت بهـا الفرقـة العسكرية — وأقيمت بها الألعاب والمصارعة والرقص وقدمت فيها المأكولات وكان لها رسم دخول جمع منه مبـلغ عظيم لمساعدة المكاتب الخصوصية فى أدائها لرسالة التعليم » (٢)

كذلك كان يصرف على انشاء المدارس والصرف عليهـا ما كان يوقفه أهل الخير والثراء من المواطنين ولكن الحال لم يكن فى صورته السليمة اذ أن الأهالى ضجوا بالشكوى من أن الأموال الموقوفة لا توجه الى المجالات الموقوفة عليها ، مما جعل عضوى مجلس « المبعوثان (٣) » — عن ليبيا — فى استانبول يتقدمان بمذكرة لمجلس المبعوثان سنة ١٨٧٦ م تقول « تقـام بطرابلس مدارس أهلية لنشر المعارف ، ويوقف عليها الأوقاف الخيرية ولكن المدارس والمـكاتب ليس بهـا الحد الادنى من الموظفين وقد أنجبت الكثير من العلماء ، ولكن موظفى الأوقاف لا يصرفون الأموال الموقوفة على التعليم مما أدى الى فتـور

---

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ١٣٣٧ السنة الاربعون .
(٢) جريدة طرابلس الغرب العـدد ١١٣٩ السنة الخامسـة والثلاثون — ٢٤ نوفمبر ١٩٠٥ م .
(٣) مجلس المبعوثان هو برلمـان الدولة العثمانية الذى يضم مندوبين عن الولايات الخاضعة للدولة العثمانية .

الطلاب عن العلم وتشتتوا ، وأقفلت أكثر هذه المدارس » (١)

واستمرت المذكرة فى توضيح الأمـر بأن طلبت أن تظـل الأوقاف التى أوقفت من قبل أهل الخير محبوسة على المدارس والمساجد ، ويجب ألا تصرف فى غير الأوجه الموقوفة عليهـا ولا ترسل الى وزارة الأوقاف باستانبول وتضيف المذكرة بتقديم الرجاء فى عدم استمرار هـذه الحال فى المستقبل وأن تصرف ايرادات الأوقاف فيما خصصه الواقفون .. وقد وافق مجلس المبعوثان على هذه الطلبات وأحالها الى الصدر الاعظم لاتخـاذ الاجراءات اللازمة مع ولاية طرابلس .

وتبعا لهذا فقد صدر قانون ينظم صرف ايرادات الأوقاف التى يمكن بيعها أو تدر ايرادا متصلا على انشاء المساجد ثم المكاتب الابتدائية ثم المستشفيات ويسير النظام على النحو التالى :

أ ـــ تشكل لجنة الأوقاف من القاضى الشرعى ومن المفتى ومن مدير الأوقاف ومن عضو أو عضوين من المجلس البلدى أو مجلس الادارة .

ب ـــ تسجل مساحة الأراضى غير المفيدة أو غير المستغلة .

جـ ـــ تستغل هـذه الأراضى فى بنـاء ما يدر أموالا من المشروعات .

د ـــ تحدد اللجنة كم يلـزم الأوقاف الخربة من أمـوال لتصليحها ..

هـ ـــ تقرر اللجنة وتختار أماكن بناء المدارس أو المساجد أو المستشفيات (٢)

رابعـا : كان فى البـلاد العثمانية بوجه عام وفى الولايات العربية بوجه

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

خاص صنفان آخران من المعاهد التعليمية : المدارس الطائفية والمدارس الاجنبية ، وكانت أحوال هذين الصنفين من المدارس تختلف اختلافا كليا عن المدارس الرسمية .. ان السياسة الداخلية المتبعة فى الدولة العثمانية كانت تعتبر كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين ـ جماعة قائمة بنفسها وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة فى كل ما يمت بصلة الى الشئون الدينية والمذهبية .

وعلى هذا كانت المدارس الدينية ـ المسيحية والاسرائيلية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة وتهتم باللغة العربية ، وتتأثر فى الوقت نفسه بالمدارس الاجنبية التى تشاكلها فى الدين والمذهب وهذه المدارس الأجنبية تنتسب الى مختلف الدول الغربية وتعلم لغة الدولة التى تنتسب اليها وتعتنى فى الوقت نفسه باللغة العربية لغة أهل البلاد العربية بغية اجتذاب أبناء العرب من ناحية والتأثير فيهم من جهة أخرى ـ كما تسعى الى نشر ثقافة الدول التى تنتسب اليها والى توسيع نفوذها فى البلاد العربية .

وفى ليبيا كانت « دروس الدين الأساسية تعطى للجماعات اليهودية فى مدارس التلمود الملحقة بالمعابد ، وفى سنة ١٨٠٤ م أنشأ المؤتمر اليهودى العالمى مدرسة فى طرابلس حيث كانت تدرس فيها اللغتان العبرية والفرنسية حتى سنة ١٩١١ حيث أضيفت اللغة الايطالية » (١)

هذا الى جانب انشاء كنائس ومدارس ملحقة بها لخدمة الجماعات الأوروبية المسيحية التى تمثل الطليان والمالطيين واليونانيين والأمريكان .. وكانت لهذه الجماعات امتيازات

---

(1) Annual Report of the United Nations Commissioner in Libya, P. 85.

مقررة من قبــل مركز الخــلافة فى استانبول ولهذا فقد باشرت الجمــاعات التبشيرية المســيحية ومدارس الجاليات نشاطهــا التعليمى الذى لم يكن هدفه قاصرا على تعليم الأطفال بل كان لها أهداف استعمارية خطيرة تمارسها فى ظل ما تلقاه من حماية رسمية وامتيازات قانونية •

خامسا : كانت المعاهد التعليمية القائمة فى مختلف أنحاء الدولة العثمانية — وفى جميع البلاد العربية ومن بينها ليبيا — حتى أواخــر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كلهــا من نوع المدارس الدينية التقليدية :

أولا — معاهــد تعليمية خاصة بالصغار تهدف الى تعليم مبادىء الدين والقرآن •

ثانيا — معاهد تعليمية خاصة بالكبار تهــدف الى تعليم العلوم الدينية والشرعية المختلفة مع العلوم الآلية الضرورية لها والموصلة اليها •

وكان الصنف الآول من هــذه المعاهد التعليمية يعرف فى معظم البلاد العربية باسم الكتاب ، وأما الصنف الثانى منهــا فكان يعرف باسم المدرسة بوجه عام ، وكانت هذه المعــاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة منتشرة فى جميع أنحاء البلاد وكان معظمها ملحقا بالمساجد العامة وبعضها مستقلا عنهــا فى مبانى مشيدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بها •

وكان التدريس فى هذه المعاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة يسير وفق أساليب قديمة لم تتغير وتتطور منذ قرون عديدة ، ولم تأخذ أدنى حظ من التقدم الكبير الذى كان حصل فى أوربا فى مختلف ميادين العلم والتعليم فى القرون الأخيرة ، أنها لم تساير روح العصر بل — بعكس ذلك — تقهقرت الى الوراء خلال القرون الأخيرة لأنها تجردت بالتدريج عن جميع العلوم العقلية وصارت تكاد لا تهتم بشىء غير العلوم النقلية •

ان الاحتكاك الذى أخذ يشتد بين الشرق والغـرب فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر — كان من الطبيـعى أن يلفت أنظـار المفكرين النابهين الى عـدم كفاية هـذا النوع من التعليم وأن يجعلهم يشعرون بضرورة اقتباس بعض العلوم العصرية والنظم الحديثة لمسايرة ركب الحضارة ، وكان أمام رجال الفـكر والحـكم الذين أدركوا هذه الضرورة طريقتان لا ثالثة بينهما :

أ — اصلاح المعاهد التعليمية الموجـودة — ولو بصورة تدريجية بادخال العلوم العقلية والنظم الحديثة فيها .

ب — ترك هذه المعاهد القديمة جانبا وانشاء معاهد تعليمية جديدة لتدريس العلوم العصرية وفق النظم الحديثة (١)

ان الأحـوال الاجتماعية السائدة عنـدئذ اضطرت رجال الحكم والاصلاح الى اختيـار الطريقة الثانية أى انهم تركوا المعاهد التعليمية القديمة — الصغيرة منها والكبيرة — على حالها تسير سيرتها المعتادة وأخذوا ينشئون بعض المعـاهد التعليمية الجديدة كلما شعروا بالحاجة اليها وأعدوا الوسائل اللازمة لها .

ونستطيع أن نقول اذن أن نهضة العلم والتعليم فى البـلاد العثمانية قامت على هذا الأساس : انشاء مدارس جديدة مستقلة عن المدارس القديمة ، وأما الاقدام على اصلاح المدارس القديمة واعادة تنظيمها على أسس جديدة فلم يبـدأ الا بعد مدة غير يسيرة ، وذلك بعـد أن تنوعت وتكاثرت المدارس الجـديدة وظهـرت ثمراتها للعيان ، فثبت تفوقها على المدارس القديمـة بصورة لا تترك مجالا للشك بوجه من الوجوه .

---

(١) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية . السنة الأولى ١٩٤٨/١٩٤٩ م .

ومما يلفت النظر فى هذا الصدد أن احداث وانشاء هذه المعـاهد التعليمية الجديدة لم يتم وفق الترتيب المنطقى الذى يخطر بالبال عنـد التفكير فى الأمر تفكيرا مجـردا عن الاعتبارات الاجتماعية وتقاليدها ، بل انما تم وفق الترتيب العملى الذى ينبثق عن تطورات الحياة الاجتماعية والذى يتبع تكون الشـعور بالحاجة تحت تأثـير تلك التطورات ، فان رجال الفكر والحكم فى الدولة العثمانية شعروا بالحاجة الى نوع جديد من التعليم ـــ أول ما شعروا ـــ فى ميادين الحياة العسكرية تحت قسر الوقائع الحربية وتأثيرها الفعال . (١)

ذلك لأن الحروب التى كانت تقوم بين السلطنة العثمانية ، وبعض الدول الاوروبية ـــ فى العصور الأخيرة ـــ أخذت تنتهى بهزائم فظيعة ، وتكرر هذه الهزائم وتواليها بدون انقطاع لم يترك مجالا للشك عنـد المفكرين أن السبب الأصلى فيها يعود الى تطور نظـم الحرب وتغير وسائلها فى البلاد الأوروبية وذلك حمل رجال الحكم على ادراك ضرورة اقتباس هـذه النظم واستخدام تلك الوسـائل لجعل الجيش قادرا على الصمود أمام الجيوش الأوروبية المجهزة بالأسلحة الحديثة . ان ادراك هـذه الضرورة ادراكا واضـحا كان الدافع الأصلى لانشـاء المدارس العسكرية ولذلك نجد أن المعاهد التعليمية التى أنشئت ـ فى بدء اليقظة الفكرية والسياسية فى الدولة العثمانية ـــ كانت كلها من نوع المدارس العسكرية رشدية أو اعدادية أو عالية .

وكان الغرض الأساسى من انشاء هـذه المدارس كلهـا كان تعليم الفنون العسكرية غير أن تعليم هذه الفنون العسكرية الحديثة ـــ لاسيما الفنون المتعلقة بالمدفعية والبحرية والهندسة العسكرية ـــ كان مما يحتاج الى معرفة شىء كثير من العلوم الرياضية والطبيعية ، وشىء غير قليـل من مبادىء التاريخ والجغرافيا فاضطرت المدارس العسكرية أن تأخـذ على عاتقها تعليم هذه العلوم أيضا ، ونستطيع أن نقول لذلك أن هـذه العلوم العصرية دخلت الدولة العثمانية ـــ فى بادىء الأمر ـــ عن طريق هذه المدارس العسكرية بوجه عام . (٢)

(١) حولية الثقافة العربية جامعة الدول العربيةالسنة الاولى١٩٤٨–١٩٤٩
(٢) نفس المصدر .

ان المدارس العسكرية التى أنشئت فى بادىء الأمر كانت بمثابة مدارس اختصاصية عالية ، غير أن رجال الفكر والحكم فى الدولة لاحظوا بعد مدة أن تعليم العلوم التى تتطلبها الفنون العسكرية يحتاج الى مدة أطول من المدة المقررة لهذه المدارس الاختصاصية كما أنهم أدركوا أنه من الأوفق البدء بهذا التعليم فى سن أبكر من سن الشباب التى تلائم الحياة العسكرية (١) ولهذا السبب أنشأوا المدارس الاعدادية العسكرية لتزويد الشبيبة بالمعلومات الضرورية لتلقى الفنون العسكرية فى المدارس الاختصاصية وبعد مدة أخرى لاحظوا أنه من الأوفق الشروع فى تعليم هذه العلوم فى سن أبكر من ذلك أيضا ، ولذلك أنشأوا المدارس الرشدية العسكرية لاعداد الطلاب لتلقى الدروس فى المدارس الاعدادية العسكرية .

وبهذه الصورة تكونت — فى البلاد العثمانية — منظومة كاملة وسلسلة تامة من المدارس العسكرية يبدأ الطالب دراسته فى المدارس الرشدية العسكرية — التى تقوم مقام النصف الأخير من المدارس الابتدائية المعتادة فى سائر البلاد — ثم ينتقل منها الى المدارس الاعدادية العسكرية — التى تقوم مقام المدارس الثانوية — وفى الاخير يدخل المدارس العسكرية الاختصاصية — التى تقوم مقام المدارس العالية أو الكليات الجامعية — ان مدارس الحربية والبحرية والمدفعية والهندسة العسكرية والطبيعة العسكرية كانت المرحلة الأخيرة من مراحل هذا التعليم العسكرى المتسلسل الطويل .

ثم ان « المدارس العسكرية العليا أنشئت فى عاصمة الدولة وحدها ، وأما الاعداديات والرشديات العسكرية فقد وزعت على الولايات ، فكان الطلاب يتمون الدراسة الرشدية والاعدادية فى مراكز الولايات التى ينتسبون اليها — وبعد ذلك ينتقلون الى عاصمة الدولة لاتمام دراستهم العسكرية العالية فى المعاهد القائمة فيها » (٢) . وقد أخذت الولايات

---

(١) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الأولى ٤٨/١٩٤٩م
(٢) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الأولى ٤٨/١٩٤٩م

العربيــة التابعة للدولة العثمانية نصيبا لا بأس به من هــذه المدارس العسكرية الرشدية والاعدادية فاستطاعت أن ترسل عــددا من أبنائهــا الى عاصمة السلطنة لاتمام دراساتهم العسكرية العالية فيها .

وأما المؤسسات التعليمية التى لا تتسم بسمة العسكرية والتى كانت توصف بصفة الملكية أى المدنية فانها لم تنشأ الا بعد مثيلاتها العسكرية بمدة تارة تتأخر فترة قصيرة عن شبيهاتها وتارة أخرى تتأخر فترة طويلة ، فمدرسة الهندسة العسكرية مثلا أنشئت قبل مدرسة الهندسة المدنيــة التى كانت تســمى « مهندسخانة برى همايونى »[1] ومدرســة الطب العسكرية أنشئت قبــل الطب المدنى التى « أنشئت عام ١٨٧٧ م تحت اسم مكتب الطب الملكى »[2] . كما أن المدارس الاعدادية العسكرية سبقت المدارس الاعدادية الملــكية « التى تشرف عليها هيئــة أو ادارة التعليم العام التى تشكلت عام ١٨٧٢ »[3]

ومما يلفت النظر فى هذا المضمار أن المدارس المدنية أيضا أنشئت لأول مرة على شكل مدارس متخصصة تهدف الى تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مختلف مصالح الدولة وأما مدارس التعليم العام ، فلم تنشأ الا بعد انشاء أنواع عديدة من هذه المدارس المتخصصة .

وفى العقد الأخير من القرن التاســع عشر كانت تشكيلات المدارس المدنية قد اكتملت واستقرت على النحو التالى :

أ ـــ مدارس ابتدائية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

ب ـــ مدارس رشــدية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

جـ ـــ مدارس اعدادية : وهى نوعان : المــدارس الاعــدادية فى الألوية ومدة الدراســة بها خمس سنوات . والمدارس الاعــدادية فى الولايات ومدة الدراسة بها سبع سنوات .

---

(١) ، (٢) ، (٣) سالنامة نظارة معــارف عمومية . تاريخ نظارة المعــارف (تركى) .

د — « دار للمعلمين فى استانبول عام١٨٦٨، ودار للمعلمات للمكاتب الرشدية للاناث عـام ١٨٦٩ م » [1] • ومدارس صناعيـة وزراعية ، وتأسست كذلك « مدرسة تجارة ، ومدرســة للبنات للصنايع النفيسة كانتا ملحقتين بنظارة التجارة والأشغال ثم ألحقتا بنظارة المعـارف كان ذلك عام ١٨٨٥ م » (٢) •

هـ — وفى عام « ١٨٧٥ م تغير اسـم مديرية المعـارف الى نظارة المعارف استانبول وفى عام ١٨٨٤ م تشكلت ادارة للتعليم العام وفى عام ١٨٨٧ م تأسست دائرة للتأليف والترجمة ، كما تأسست فى عام ١٨٨٨ م دار للشفقة — مدرسة لليتامى — وفى عام ١٨٨٨ م أيضا أنشئت مدرسة للأطفال البكم والعميان » (٣) •

و — وفوق كل ذلك طائفة من المدارس العالية : مدرسة الطب ، مدرسة الحقوق ، مدرسة الادارة والسياسة (المعروفة باسـم المـكتب الملكى الشاهانى) ومدرسة للقضاة ومدرسة التجارة العليا ، ومدرســة الزراعة العليا ، دار المعلمين العليا ، مدرسة البيطرة ، مدرسة الهندسة ، مدرسة الصنايع النفيسة (الفنون الجميلة) •

وعندما تم انقلاب الدستور عام ١٩٠٨ وأخذت الحكومة تقدم على اصلاحات سريعة أدخلت على هذه التشكيلات عدة تغيرات جوهرية هى:

(أ) أدمجت المدارس الرشدية بالمدارس — المكاتب — الابتدائية وجعلت مدة الدراسة الابتدائية ست سنوات قسمت على ثلاث حلقات : أولى • متوسطة • عليـا •

(ب) حولت الصفوف الرشدية الملحقة بالمدارس الاعـدادية الى

---

(١) ، (٢) سالنامة (سنوى) نظارة معارف عمومية ــ تاريخ نظارة المعارف (تركى) •
(٣) نفس المصدر •

صفوف ابتدائية وأبلغت هذه الصفوف الى خمسة .

(جـ) أحدثت نوعا ثالثا من المدارس الاعـدادية سميت بالسلطانية جعلت مدة الدراسة فيها اثنتى عشرة سنة الخمس الأولى منها ابتدائية .

(د) ألغيت دور المعلمين القديمة واستعيض عنها بمعاهد جـديدة قائمة على أسس جديدة .

(هـ) أنشئت كلية العلوم وكليـة الآداب وجمعت هاتان الكليتان الجديدتان مع مدرسة الحقوق القديمة على شكل جامعة سميت باسـم « دار الفنون التى كانت مدة الدراسة بها ٣ سنوات وتقبل كل سنة ٢٥ طالبا كلهم نهاريون أى يقيمون خارجها »[1] .

(و) استحدثت بعض المدارس العاليـة خارج عاصـمة السلطنة فى مراكز بعض الولايات الهامة .

(ز) ألغيت المدارس الرشـدية العسكرية وتركت المهمة التى كانت تقوم بها الى المدارس الابتدائية العامة .

(ح) أنشئت كلية دينية تابعة الى دار الفنون « ومدة الدراسة بها ٤ سنوات وتقبل كل سنة ٣٠ طالبا يقيمون خارجها »[2] .

(ط) شرع فى تنظيم واصـلاح المدارس الدينية القديمة اصـلاحا جوهريا وأنشئت من المعاهد الدينية فى العاصمة مدرسة دينية عاليـة سميت باسم مدرسة دار الخلافة العلية .

(ى) أنشئت عدة دور للأيتام لايواء وتعليم أولاد شهداء الحروب الأخيرة بوجه خاص .

---

(١) سالنامة نظارة معارف عمومية : تاريخ نظارة المعارف (تركى) .
(٢) نفس المصدر .

(ك) زيدت العناية بمدارس البنات وفتحت أبواب الجامعة أمـــام الطالبـــات .

ومن المفيد هنا أن نشير الى أن نظارة المعارف العثمانية كانت تتأثر فى تشكيلاتها وتنظيماتها بالنظم الفرنسية بوجه خاص ، وكانت تهتم بنشر اللغة الفرنسية اهتماما خاصا ، وكانت هذه اللغة اجبارية فى جميـــع المدارس الرشدية والاعدادية ـــ العسكرية منها والمدنية ـــ وفى أكثر المدارس العالية فأصبحت لذلك أكثر اللغات انتشارا بين المثقفين فى جميع أنحاء الدولة العثمانية .

وعلاوة على ما تقدم يجدر بنا أن نشير الى مدرستين هامتين بالنسبة الى البلاد العربية وهما مدرسة العشائر فى عاصمة السلطنة . والكليـــة الصلاحية فى مدينة القدس ، فقد تأسست مدرسة العشائر فى استانبول « وهى مدرسة عسكرية يقيم طلابها فى القسم الداخلى ومدة الدراسة بها خمس سنوات »[1] . وكان الهدف منها جمع أولاد رؤساء العشـــائر الهامة « ويكون سنهم يتراوح بين ١٢ الى ١٦ سنة وحالتهم الصحيـــة تسمح لهم ببذل الجهد الجسمانى وتحمل تغير المناخ ، وأن يكونوا حسنى الأخلاق ، ومن عائلة أصيلة ذات حيثية من الدرجة الأولى ـــ كما ورد فى منشور أرسل لولاية طرابلس فى عام ١٩٠٦ م ـــ وأن ترسل طرابلس فى تلك السنة ٣ طلاب حصتها فى تلك السنة »(٢) . وأن يتم تعليمهـــم تعليما خاصا يؤهلهم لتولى بعض الخدمات العسكرية أو المدنية ولا حاجة الى القول أن معظم طلاب هذه المدرسة كانوا من أبناء العرب .

وأما الكلية الصلاحية فقد أسست فى مدينـــة القدس ونسبت الى صلاح الدين الأيوبى ، وكانت بمثابة مدرسة دينية عصرية عالية ، وقد

---

(١) سالنامة نظارة معارف عمومية : تاريخ نظارة المعارف (تركى) .

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

تخرج من هذه الكلية عدد غير قليل من المعلمين الذين استطاعوا أن يخدموا النهضة التعليمية العربية بعد انتهاء الحرب العالمية .

ومن كل ما تقدم اتضح شكل التنظيم التعليمى فى مقر السلطنة العثمانية الذى سار منذ بدايته تقليديا روتينيا ، وبدأ من أعلى لأسفل أى أن السلم التعليمى لم يبدأ بمراحل التعليم الدنيا الى العليا بل بدأ من العليا الى الدنيا . وكان هذا النظام التعليمى انعكاسا للأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فى الدولة العثمانية والتى استمرت على وتيرة واحدة حتى حدثت لها هزة عام ١٩٠٨ فحدث تطور فى نواحى الحياة العامة المختلفة وكان التعليم أيضا أحد الجوانب التى شملها التطور ..

اذا كان هذا قد حدث فى مقر الخلافة العثمانية ، فماذا حدث بالنسبة لليبيا ؟ أى ماذا كان نصيب ليبيا من تشكيلات التعليم السابقة الذكر ؟ .. ان الاجابة على هذه التساؤلات يمكن استعراضها فى الحقائق التالية : —

أ — كان التعليم قاصرا على الكتاتيب واستمر على هذه الحال لسنوات طويلة بعد سيطرة العثمانيين على البلاد ، بل ان بعض هذه الكتاتيب قد هجر وانقطع فيه التعليم وقد سجل أحد المفتشين عام ١٨٩١ م أغسطس الموافق رجب سنة ١٢٩٢ هـ بيانا « بالمكاتب المعمورة والخراب الموجودين بنفس طرابلس غرب جملتهم خمسة عشر مكتب موجودين ، وعند التحقيق بمعرفتنا لم نجد لهم شىء مخصص ومعين»(١)

ب — كان يقبل بالمدارس الموجودة بمقر السلطنة ولا توجد بولاية طرابلس عدد معين كل سنة لا يتجاوز بأى حال فقد كان يقبل بمدرسة العشائر ٣ طلاب من ولاية طرابلس وهكذا بالنسبة لبقية المدارس العالية ، مثل ارسال أول بعثة دراسية خارج طرابلس من خريجى أول

---

(١) دار المحفوظات التاريخية — طرابلس (المعارف) .

دفعة من المدرسة الرشدية مكونة من « ٣ طلاب عام ١٢٨٤ هـ : ١٨٨٣ م رغبـــة منهم فى الاستزادة من التعليم بالمدرســة العسكرية الشاهنية بمقر السلطنة » (١) ٠

جـ ــ كانت المدارس الموجــودة بطــرابلس عـــام ١٩٠٢ عــلى النحو الآتى : (٢)

رقم	المـــدارس	المعلمون	الـــطلاب	
			خارجى	داخلى
١	المدرسة الابتدائية للذكور	٣	١٣٢	—
٢	المدرسة الابتدائية للاناث	٣	١٦٠	—
٣	المدرسة الاعــدادية	٦	٧٠	—
٤	دار المعلمـــين	٢	٢٠	—
٥	المدرسة العسكرية	١٠	٨٠	٧٠
٦	مدرسة الفنون والصنائع	٤	—	٦٥
٧	المدارس الأخــرى	١٤	٤٩٠	—
٨	مكتب العــرفان	٧	١٠٠	—
	الجمــلة	٤٩	١٠٥٢	١٣٥

(١) دار المحفوظات التاريخية ــ طرابلس : (المعارف) .
(٢) كتاب طرابلس الغرب : تأليف محمود ناجى (تركى) .

المدارس غير العربيــة :

رقم	المــدارس	عــدد الطلاب		جمـلة
		ذكور	انـاث	
١	المدارس الفرنسية	٨٠	٧٠	١٥٠
٢	المدارس الاسرائيليــة	٦٥	٦٠	١٢٥
٣	المدارس الايطاليــة	٢٣١	٣١٠	٥٤١
٤	المدارس الايطالية العلميــة والتجارية	٤٦	—	٤٦

كما كان بمركز الولاية ــ طرابلس ــ « مدرسة رشدية عسكرية داخلى وخارجى ومدرسة اعدادية خارجيــة ، ومدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة رشدية للبنــات ومدرسة الصنائع ومكتب العرفان ــ وهو فى مستوى المدرسة الاعدادية وقــد أنشىء لينافس مدارس الجاليــات الأجنبية ــ ودار للمعلمين تأسست عام ١٩٠١م وطلابها كبار السن »(١)

وفى تقرير عن التعليم فى بنغازى عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٨٣ م يتبين منه أن المدارس التى كانت قائمة فى ذلك الجانب من الولاية هى : (٢)

(١) كتاب طرابلس الغرب ــ تأليف محمود ناجى ومحمد نورى (تركى) .

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

رقم	المدارس	عدد المدارس	مقر المدرسة	عدد التلاميذ		جملة	ملاحظات
				مداومون	غير مداومين		
١	المدرسة الرشدية	١	بنغازى	٢٥	١١٩	١٤٤	معطلة بسبب عدم وجود معلم
٢	مدرسة لتعليم القرآن والنحو	١٢	«	١٣١	٢٣٤	٣٦٥	
٣	مكاتب لتعليم القرآن	٨	«	١١٧	٣٧٨	٤٩٥	
٤	مدرسة لليهود	١	«	٦٠	—	٦٠	
٥	مدرسة للمالطيين والايطاليين الكاثوليك	٣	«	٧٥	—	٧٥	
	الجملة	٢٥		٤٠٨	٧٣١		منهم ١١٩ تلميذا يتعلمون صنعة
٦	مدرسة لتعليم القرآن والنحو والفقه	٤	العواقير				
٧	« « «	٨	المرج				
٨	« « «	٥	البراعصة والحسا				
٩	« « «	٨	درنة				
١٠	« « «	٣	القبة				
١١	« « «	٢	بومبا				
١٢	« « «	١	طبرق				
١٣	« « «	٣	أوجلة وجالو				
			[illegible]				
	الجملة	٣٤					

المساجد

استمرت المساجد فى العهـد العثمانى تؤدى رسالتها التى أنشئت من أجلها منذ الفتح العربى لليبيا ، وكما هو الحال فى بقية بلاد العـالم الاسلامى فهى المكان الذى يقصده الناس لأداء صلواتهم وهى المكان الذى يجتمع فيه الناس لمناقشة أمور دينهم ودنياهم ، وهى المكان الذى يجتمع فيه القضاة لحل المنازعات التى تقوم بين الأهالى كما هى المكان الذى يقصده طلبة العلم للتعليم والهداية •

وكان الأهالى يرسلون أطفالهم الى هـذه المساجد لقراءة القرآن الكريم على يد الفقهاء وخاصة فى فترة ما بعد الظهر ، وكان طلاب العلم فى المساجد يجلسون على الأرض فى شبه حلقات فى هذه المساجد يتوسطهم الفقيه لتعليمهم المبادىء الأولية فى القراءة والكتابة ثم يتدرج معهم فى تحفيظ آيات القرآن الكريم الى أن يحفظ الطالب القرآن كله •

وكان اليوم الذى يتم فيه الطالب حفظ القـرآن من الأيام الخالدة فى حياة كل أسرة حيث يقوم أهـل الطالب بنحر الذبائح وتقام الأفراح تكريما للطالب على تفوقه وكان بعض هؤلاء الطلبة الذين أكملوا حفظ القـرآن الكريم يشقون طريقهم فى الحيـاة على الوجه الذى يرغبونه بأنفسهم حيث تحول ظروف أسرهم المـادية دون اكمال تعليمهم فى خارج البلاد ، والبعض الآخر ممن تسمح لهم ظروف أسرهم المالية — وهم قلة — يسافرون الى مصر أو تونس للتخصص فى فروع الشريعة الاسـلامية فى الجامع الأزهر أو فى جامع الزيتونة ، ثم يرجعون الى وطنهم فيكون منهم القضاة والفقهاء والمعلمون •

وقد سار بعض الولاة العثمانيين متبعين طريق ولاة المسلمين الأول

فى بنـاء المساجد التى تخلد أسماءهم والتى تصبح عنوانا على اهتمامهم بالعلم والتعليم والدين الاسلامى فقد أنشأ مراد أغا مسجده المعروف باسمه فى ضـاحية تاجوراء القريبة من طرابلس ، وأنشـأ درغوت باشا الوالى مسجدا باسمه فى مدينة طرابلس مازال يحمل اسمه للآن ، وأنشأ أحمد باشا القرهمانلى مسجده العظيم بمدينة طرابلس أيضا ، الذى تحول الى معهد كبير وأدى خدمات جليلة للعلم ، وفى مدينة درنة أنشىء مسجد محمـد بك القره مانلى « بن محمود القره مانلى ، ومحمود هـذا هو محمود بك درنة ، ومازالت هذه الأسرة موجودة الى اليوم ومشهورة بهذا اللقب ، وهذا المسجد من أفخم المساجد ببرقة » (١) .

وقد أنجبت المساجد علماء أجلاء ، كما كان يقوم بالتعليم فيها فقهاء وعلماء أعلام ، وينـوه التيجانى فى رحلته بشيخ علماء طرابلس الامام الحافظ أبى فارس عبد العزيز بن عبد العظيم ، ويقول عنه : ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعا من العلم ذاكرا بالمذهب ذكرا لا يجاريه فيه أحد ، وكان مولده بطرابلس عام ٦٣٩ هـ » . (٢)

الرباطات

الرباط ثـكنة تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية حوله ومن الطبقات التى تعلو جوانبه وتنتهى بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان وخصوصا لمراقبة السواحل من غدرات الأعداء ، واقامة العلامات النـارية ليلا التى تتناقلها الأربطة أولا بأول وجدائل الحمام الذى يكون فى النهار خطوطا للبريد الجوى تنسق الأخبار المستعجلة وتبلغها من أقصى

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ٣١٢ .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ص ١٢٢ .

رباط بالمغرب الأقصى الى الاسكندرية .

والرباط أيضا مستشفى للمرضى يعالجهم المرابطون بالمجان كما كان دارا للمسافرين بين الأمصار الاسلامية ينزل فيه المسافرون للراحة استعدادا لمواصلة السفر ، كما أن الرباط يعتبر ثكنة عسكرية لحراسة الثغور وحمايتها من الروم فى البحر الأبيض المتوسط يوم كان الأسطول العربى الاسلامى لا يقوى على مدافعتهم .

ولكن الرباط هو أيضا وعلى وجه الخصوص مدرسة يلقى فيها المرابطون علومهم على الرجال والنساء ومعهد لصناعة الحبر والرق والكاغد (الورق) لتوزع على طلاب العلم مجانا ودار نسخ المصاحف الشريفة وكتب الحديث والفقه حيث يحبس المؤلفون مؤلفاتهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأم التى يرجع الى نصها الصحيح وتقابل عليها النصوص المنتسخة ، ويتولى المرابطون الناساخون نسخها بأعداد كثيرة لتوزيعها على طلاب العلم احتسابا ففى كل رباط مكتبة جدارية مفرغة فى طاقات من الحائط بها النسخ الأمهات والمولدة منها .

وكان بين الرباط والرباط فى شمال افريقيا على وجه الخصوص « ٦ كيلومتر ولما كانت المسافة بين سبتة فى أقصى المغرب ــ والاسكندرية ٦٠٠٠ كيلومتر كان هناك ألف رباط أى خط ماجينو أو خط سيجو فريد عربى ، هذا من الناحية الاستراتيجية ، وأما من النواحى الأخرى فقد كانت هنالك : ألف مستشفى وألف دار بريد وألف مدرسة وألف مكتبة وألف دار نشر ــ اذا صحت العبارة » .[1]

وكان الى جوار الرباط ساحة فسيحة معدة لخيول المجاهدين استعدادا لرد العدو أو مبادرته بالقتال تنفيذا لمنطوق الآية الكريمة « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . ثم على مرور الزمن تطور معنى لفظ الرباط فأصبح يطلق على المكان الذى يرابط فيه من نذروا أرواحهم

---

(١) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب ــ ص ٥٦ .

للجهاد فى سبيل الله ونصرة دينه فأصبح يطلق على البيت الذى يسكنه المتقشفون والصوفية .

فالرباط اذن جهاد النفس ، والمقيم فى الرباط مرابط مجاهد نفسه ، واجتماع أهل الرباطات على الخير وحسن المعاملة ورعاية الأوقاف واتقاء ما يفسد الأعمال ويصحح الاحوال كل ذلك يعود بالبركة على البلاد والعباد . ومن الشروط اللازم توافرها فى المرابطين قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق — الله سبحانه وتعالى — « وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الأوقاف وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات ، واجتناب الفضلات ليكون مجاهدا مرابطا » . (١)

وبهذا المعنى فان الرباط انما هو بيت للصوفيين ومنزلهم الذى يقيمون فيه ، لكل قوم منهم داره والرابط دارهم التى يمارسون فيها شعائرهم الدينية والعلمية والمعيشية واستقبال المسافرين من الشرق الى الغرب أو العكس ولا سيما فى موسم السفر الى الحج والرجوع منه فهى وسيلة لانتقال سفراء العلم ونشر آثارهم الشفاهية أو الكتابية .

وبالنسبة لليبيا فلعل رباط طرابلس هو أقدم أربطة المغرب الذى يعرف باسم رباط قصر طرابلس والذى أسسه الوالى العربى هرثمةبنأعين عام ١٨١ هـ الموافق ٧٩٨ م وتألف عقد طويل من الأربطة على طول الساحل الليبى من زوارة على الحدود مع تونس الى الاسكندرية لا يبعد الواحد عن الآخر الا ستة كيلومترات تقريبا .

ومن ناحية ثانية تتصل ليبيا بالصحراء الكبرى ، بل هى مفتاح الصحراء وحلقة اتصال بين خليج سرت وخليج غانة على المحيط الاطلسى

---

(٢) اسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام — ص ١١٣ .

وقد أدرك العرب ذلك منذ الفتح العربى لليبيا فكانت القوافل الليبية ليست قوافل اتجار بالبضائع فحسب بل قوافل تدخل الى قلب الصحراء لنشر الاسلام والثقافة الاسلامية بلغتها العربية « وهذا ما يفسر لنا وجود هذه السلسلة من المـدن الصحراوية الثقافية التى هى غدامس وغات وجنات وتنبكت وشنقيط وقاو وغيرها » . (١)

وعندما أسست طرابلس الأربطة البحرية على طول الساحل لحماية الثغور من هجمات أساطيل الأعداء أسست أيضـا الاربطة الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات الافريقيين لكن الرباط لم يكن حصنا دفاعيا أو هجوميا فقط ولم يكن منطقة أمان وسياج حراسة بل كان مركز اشعاع للعلوم العربية والاسلامية والثقافة الاسلامية العربية . فمن حيث هو معهد تعليم ودار كتب ومصنع للورق لعب دورا أساسيا فى تثقيف الافريقيين فى الدين واللغة . وسرعان ما أسست حـول الرباط مدينـة لتمكين الطلبة وأهاليهم من أسباب المعاش الكريم فصار الرباط مدينة علم .

استمر تأسيس الأربطة الصحراوية ونفاذ ثقافتها الاسلامية واشعاعها على الربوع الافريقيـة واتسعت سلسلة الرباطات من خليـج غانة على المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر أى الى مكة المكرمة ، فصار الطلاب الأفارقة ينتقلون من رباط الى رباط فى طلب العلم الى أن يبلغوا مـكة فى طلب العلم والحج فيستكملون علومهم بـمكة ويحجون ويرجعون مرابطين أساتذة مزودين بالعلم والبركة فى آن واحد .. يرجعون طريقهم من مكة الى قاو أو دكار أو غيرها يشعون اشعاعا قدسيا وعلميا .

واستمر هـذا الحال الى أوائل القرن الرابع الهجرى فظهر عندئذ أبو بكر الصنهاجى الذى اشترك مع يوسف بن تاشفين فى تأسيس دولة المرابطين التى قام بأعمالهـا السياسية يوسف بن تاشفين وقام بأعمالها العلمية أبو بكر الصنهاجى فى غانا ومحمد بن يس فى موريتانيا ، وبنى

---

(١) الـكماك : مراكز الثقافة ــ ص ٥٨ .

لها يوسف بن تاشفين جامعة مراكش .

« وهكذا بلغت أربطة الصحراء من التضخم ما جعلها طريق العلم والحج ووسيلة ادخال السودان – افريقيا – فى الاسلام وما حولها الى جامعة مراكش وما جعل المرابطين دولة اسلامية كبرى فتحت الاندلس من جديد ووحدت الأقطار المغربية وأدخلت السودان فى الاسلام ». (1)

فالحركة العلمية التى ارتبطت بالرباطات الصحراوية فى شمال افريقيا بدأت بطرابلس ثم اتجهت غربا حتى اخترقت الصحراء الى غانة ثم اتجهت شرقا الى أن ربطت بين غانا ومكة المكرمة ثم اتجهت شمالا فربطت بين غانا واشبيلية فهذا هو الدور الكبير الذى قامت به الرباطات فى ليبيا .

ومن الأمور التى تستلفت النظر أن الرباط كان معهدا دينيا قبل أى شيء فتعليمه دينى ولخلق الجو الدينى واستمراره كان يقوم بما عرف بالعادة والعمل ، فالعادة مقدار مشترك متحد بين جميع الأربطة وهى موسيقى دينية متزمتة مؤثرة حارة وجملة أناشيد تنشد خارج الرباط للدلالة على أنها مشتركة بين جميع الاربطة ، وتقع هذه الأناشيد المؤثرة بعد ايقاد الشموع وتبخير البخور فى المجامر ، وعلى القيام بحركات جماعية تتجه الى باب الرباط ، وبذلك تخلق العادة الجو الرباطى العام .

ثم يقع العمل داخل الرباط والغالب أن العمل يقع كل يوم خميس وكل يوم سبت فيجلس المنشدون حول رئيسهم وبينهم الشموع ومجار البخور فينشد أحدهم أبياتا من الشعر التصوفى المعروف بالرقائق – « لأنه يرقق القلب ويجرى الدمعة ويدعو الى الانجذاب فيأخذ الوجد حلقة المرابطين فيبكون ويصرخون ويمزقون الجيوب ويقعون على الارض فى غيبوبة تصوفية » (2) .

وقد استمرت الأربطة فى طريقها وتطورها « حتى جاءت دولة الموحدين

---

(1) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب – ص ٦٢ .
(2) نفس المصدر .

فى القرن السادس الهجرى فتفتق الرباط وصار قسمه العسكرى قلعة عسكرية ومقرا للمبيت للمسافرين وقسمه التعليمى زاوية تعلم العلم من ناحية وتعلم الطريقة من ناحية أخرى ، وبذلك حلت الزاوية محل الرباط » [1] وصار من واجباتها بث العلم والدعوة الى الاسلام فى بلاد البربر لتأكيد الاسلام فى نفوسهم واصلاحه وفى البلاد الافريقية لدخول الزنوج فى الاسلام .

وعند مجىء الحكم العثمانى لليبيا وشمال افريقيا كانت الرباطات تؤدى وظيفة ثانوية من الناحية التعليمية اذ كانت قاصرة على ايواء المسافرين وبعض العلماء الذين كانوا يفرون بعلمهم من تسلط واضطهاد بعض الحكام ومن ثم يقومون بنشر تعاليمهم لكل من يفد على هذه الأربطة فى طريقه الى الحج أو فى عودته منه ، كما أن ظهور مؤسسات أخرى تقوم بالتعليم قد أفقد الأربطة أهميتها من هذه الناحية .

الزوايا

كانت بوادى شمال أفريقيا ووسطها على سكونها وهدوئها تضطرب بألوان من الحركات الدينية والاقتصادية وكانت الزوايا الدينية التى يقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية هى أهم مراكز هذه الحركات ، اذ كانت مراكز الدعوة الى الاسلام والتمسك بمبادئه ، وكانت الزوايا التى كانت بمثابة مراكز ثقافية تقع فى الغالب على طرق التجارة التى تربط وسط افريقيا وشرقها بشمالها ، كما كانت تربط غرب القارة بشرقها . وتنتقل بواسطة هذه الطرق السلع فى قوافل دائمة الحركة .

وفى هذه الزوايا يلتقى رجال القوافل القادمون من الجنوب والعائدون

---

(٢) عثمان الكعاك :نفس المصدر ـ ص ٦٥ .

من الشمال ، يجلسون الى مشايخ الزوايا ، وينغمسون فى جوهم الدينى ويتبادلون معهم الأحاديث المختلفة عن البلاد التى جاءوا منها أو مروا بها ؛ وبذلك تظل هذه الزوايا على صلة بالعالم الخارجى .

وكانت الزوايا معروفة فى الأقطار الاسلامية من أزمنة بعيدة ، وكان جميعها على نمط واحد ، فقد كان يرأسها شيخ يعرف بالمقدم له سلطة واسعة على منتسبى الزاوية ، بيد أن « أهل هذه الزاوية فى طورهم الأول كانوا منقطعين للعبادة ومنصرفين عن شئون الدنيا ، يعرف رؤساء كل حلقة من حلقات هؤلاء الاخوان باسم الدراويش وكثرت الزوايا وتعددت بعـدد الطرائق وتنوعها »(١) وكثيرا ما كانت تقع منازعات بين هذه الزوايا تبعدها عن حركة الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى داخل الأمصار الاسلامية ، ومن ثم يكون أثرها فى الدعوة الاسلامية ضعيفا .

والزاوية كالرباط الا أنها أصغر فى الغالب وهى أكثر ما تكون فى الصحارى والأمكنة الخالية من السكان « وربما أطلقت على ناحية من نواحى المساجد الكبرى تقام فيها بعض حلقات العلم ، فقد كان فى جامع عمرو بن العاص بمصر عدة زوايا . وكانت هذه الزوايا توقف على الفقراء الصوفية ويجعلون لهـا شيخا واحدا أو أكثر من واحد ، ويحددون عدد من يباح لهم الاقامة الدائمة فيها ومن يحق لهم البقاء فيها مؤقتا مدة من الزمن »(٢) وكان يقيم التدريس فى كل زاوية فقيه أو عالم بفقه أحد الأئمة الأربعة .

قامت الزوايا بدورها التعليمى فى ليبيا فى عهد الموحدين والحفصيين وبذلك انضمت الزاوية الى الكتاب والجامع لتصبح جميعا أهم المؤسسات الثقافية فى ليبيا قبل القرن السادس عشر ، حينما ازدهرت هذه المؤسسات بفضل الأوقاف الكثيرة التى كان يوقفها أمراء الأتراك والمسلمون القادرون من أبناء الشعب الليبى .

---

(١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ــ ص ٤٨ .
(٢) د. محمد أسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ــ ص ١١٥ .

كانت الزوايا دور تعليم وضيافة وتصوف وعبادة وعمل وأماكن نسخ القرآن الكريم ولمختلف المخطوطات العربية • وكان تعليم الزوايا يعتبر أعلى مستوى فى الدرجة من تعليم الكتاتيب ويمكن موازاته بالتعليم الثانوى الحالى ، وكان خريجو الزوايا يتقلدون وظائف ويقومون بأعمال التبشير والدعوة الاسلامية فى الجبال والصحارى ويقومون أيضا بالتعليم فى الكتاتيب ويباشرون الوعظ والارشاد فى المساجد وبين رجال القبائل • ويرجع الى كثير من خريجى الزوايا الفضل فى نشر الاسلام فى قلب افريقية وفى تعليم اللغة العربية بين كثير من الافريقيين وقاموا بدور أساسى فى مواجهة الزحف الاستعمارى على القارة الافريقية •

وكان من أشهر الزوايا المنتشرة فى ليبيا عدة زوايا ارتبطت بأسماء منشئيها من الشيوخ المتصوفين وما زالت تحمل هذه الأسماء الى الآن وما زالت تقوم بدور فى تعليم الناس صغارا أو كبارا شئون الدين الاسلامى • ومن بين هذه الزوايا ما يلى :

١ — زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر فى مدينة زليتن « وهى من أشهر زوايا زليتن وتعرف بزاوية الشيخ ، ومهمتها تعليم العلم وتحفيظ القرآن ، وفيها حجر كثيرة لسكن طلبة العلم والقرآن • وقد أسست فى حياة الشيخ عبد السلام سنة ٩٠٠ هـ » • (١)

٢ — زاوية الشيخ ابراهيم المحجوب بمدينة مصراتة « وهذه الزاوية منسوبة الى الاستاذ ابراهيم المحجوب وهى احدى زوايا القطر الطرابلسى التى أسست لتعليم أبناء المسلمين القرآن ودراسة الفقه وعلوم العربية ، ثم غلب اسم زاوية المحجوب على المنطقة كلها وصارت تسمى بهذا الاسم»(٢)

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ١٦٤ .
(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٧ .

٣ — زاوية الشيخ أحمد الزروق بمدينة مصراتة .

٤ — زاوية الشيخ الدوكالى فى مسلاتة . « وهى زاوية مشهورة ببلدة الزعفران ، قرية من قرى مسلاتة ، أسست لتحفيظ أبناء المسلمين القرآن وتعليمهم العلم ، أسسها الشيخ عبد الله الدوكالى فى حياته » . (١)

٥ — زاوية الشيخ أبو راوى فى تاجوراء .

٦ — زاوية الشيخ عبد النبى الأصفر فى الجبل الغربى ، « وهى تسمى زاوية أبى ماضى وهو اسم لجبل قريب من بلدة ككلة بنيت هذه الزاوية بالقرب منه فنسبت اليه » (٢) .

٧ — زاوية القائد عمورة فى جنزور .

٨ — زاوية النعاس فى تاجوراء .

هذه أهم الزوايا التى قامت فى أنحاء متفرقة من الأراضى الليبية ، وقد تحولت هذه الزوايا الى معاهد ومدارس دينية فى الوقت الحاضر . وكانت الزوايا بمثابة تعليم ثانوى وكان برنامج التعليم فيها شاملا للعلوم الدينية حيث تدرس كتب الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم وعلم الفرائض والفلك والجغرافيا والتاريخ والطب ، كما تدرس العلوم الأدبية واللغوية ومن بينها علم الأدب والعروض والنحو والصرف والبلاغة .

وكان العلماء فى الزوايا يمنحون نوابغ طلابهم الاجازات العلمية التى تمثل جانبا فى التنظيم التعليمى فى ليبيا فى ذلك العهد . وقد نبغت فئات كثيرة مشهورة من العلماء من البرقاويين والطرابلسيين جيلا بعد جيل فى العلوم الاسلامية والعربية مما ساعد على ربط الدين الاسلامى

---

(١) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٦ .
(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٠ .

والتعليم الدينى بالبيئة وبالمجتمع وبالحياة وأدى الى ظهور الزوايا والمدارس الدينية التى تؤدى رسالتها فى هذا المجال ٠

ثم ظهرت الزوايا السنوسية بظهور الطريقة الصوفية التى تحمل نفس الاسم والمنتسبة الى عالم من علماء الدين من أصل جزائرى هو محمد ابن على السنوسى وكان ظهور هذه الزوايا لخدمة الطريقة التى ابتدعها صاحبها والتى رأى أنها تحقق أهدافه الدينية والدنيوية بمعنى أنه اتجه بالزوايا وبالطريقة اتجاها دينيا فى مظهره سياسيا فى حقيقته حتى صدق عليه القول بأن الطريقة السنوسية دين ودولة ٠

ومن الانصاف للحقيقة أن نذكر بعض حقائق الطريقة الصوفية المعروفة باسم السنوسية ومؤسسها قبل أن نتكلم عن الزوايا كمؤسسات تعليمية قامت بدور لا يمكن انكاره ٠ فقد كانت أحوال العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر الميلادى سيئة وتتجه الى التحلل بسبب تفتت القوى الاسلامية وانحلال وضعف الامبراطورية العثمانية التى كانت تسيطر على كل البلاد العربية الاسلامية أمام أطماع الدول الأوروبية الاستعمارية ٠

وفى مقابل هذه التحديات الاستعمارية قامت بعض الحركات الدينية فى العالم الاسلامى فى نشوة دينية عمت البلاد الاسلامية فى القرن التاسع عشر كرد فعل للتغلغل الأوروبى الاستعمارى فى أنحاء متفرقة من العالم الاسلامى ٠

فقد ظهرت الحركة الوهابية فى نجد بالجزيرة العربية ، والدعوة السنوسية فى ليبيا ، والثورة الدينية المهدية فى السودان ٠ الى جانب فكرة الجامعة الاسلامية التى تزعمها جمال الدين الأفغانى واتخذ مصر مركزا للدعوة لها ، بالاضافة الى الطرق الصوفية التى قامت فى الشمال الأفريقى مثل الطريقة التيجانية والطريقة الشاذلية ٠٠ الخ ٠

ولسنا بصدد الحديث عن الأحداث التاريخية لكل حركة من هذه الحركات ولكننا سنتناول الطريقة السنوسية كحركة دينية سياسية

اتخذت ليبيا مقرا لهـا ومستقرا وابتدعت من وسائل الاعلان والتعليم ما يمكن أن يكون نظاما تعليميا ينتسب الى هذه الحركة والى مؤسسها محمد بن على السنوسى وخلفائه من بعده •

ولد محمد على السنوسى ببـلدة مستغانم بالجزائر عام ١٢٠٢ هـ الموافق ٢٢ ــ ١٢ ــ ١٧٨٧ م على الأرجـح من أسرة أرجع أصـولها السنوسيون الى البيت النبوى الشريف وقد درس وتعلم بالجزائر ثم التحق بجامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب الأقصى • وقد عاش فى تلك الفـترة التى شهدت محاولات الاستعمار للسيطرة على أقاليم الشمال الافريقى • فقد كانت تلك الأقاليم تعيش عصر تدهور ممـا جعل الجزائر فريسة سهلة للاستعمار الفرنسى فيما بعد • اذ أنهـا كانت أولى البلاد الاسـلامية فى بلاد المغرب خضـوعا للاستعمار الأوروبى بعـد تجربة الفرنسيين الفاشلة فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى •

وقد قام محمد بن على السنوسى برحلات كثيرة فى أنحاء من العالم الاسلامى ، فقـد بدأ رحلته الأولى من فاس بالمغـرب الأقصى عـام ١٢٣٢ هـ / ١٨٢٠ م • ومر بليبيا بعد ثلاث سنوات حيث عرف أحوالها حيث كانت ولاية عثمانية لا يتعدى نفوذ الحكم العثمانى فيها السواحل والمدن ولا ينتشر التعليم فيهـا فى غيرهما ، وهو تعليم خامل ضعيف ، ثم واصل رحلته الى مصر فالحجاز ثم عاد ثانية ، وأخيرا استقر به المقام بالجبـل الأخضر فى برقة حيث أسس أول زاوية له فى ليبيـا أسماها الزاوية البيضاء وكان ذلك عام ١٢٥٧ هـ / ١٨٤٣ م •

« وببناء هذه الزاوية يبـدأ الدور الأول من الدعوة السنوسية فى ليبيا وكانت تلك الدعوة تقوم على أنه لا نجاة للعـالم الاسلامى مما يعانيه من أزمات شديدة الا بعودة أهله للاسلام الصحيح الذى كفـل لهم العزة يوم أن كانوا خير مسلمين محافظين على عقيدتهم متمسكين بتعاليمها • على هذا الأساس قام يدعو القبائل فى برقة ويبشر بينها بحركته التى تنادى بضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة ، وعدم الاكتفاء بالأذكار والأوراد والاعتماد على مجرد التلاوة والذكـر

دون العمل الجدى ومراعاة أحكام الشريعة الاسلامية فى الأعمال الخاصة والعامة كما كان العهد فى أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده » (١)

ومعنى هذا أن صاحب الدعوة السنوسية كان يرى ضرورة قيام الحكم فى البلاد الاسلامية على أسس اسلامية شرعية صحيحة فى ظل امام عادل يجمع الزعامة الدينية والزعامة السياسية جمعا فعليا ، وبذلك تصبح الطريقة دينا ودولة ويصبح هو رجل دين وسياسة وحكم ..

مركز الحياة فى السنوسية هو الزاوية التى كانت تعتبر معهد علم ومركز اصلاح ومحكمة للتقاضى وفض الخصومات ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتربية الرجال واعداد الدعاة للطريقة وحارسا لحفظ البلاد من غارات الأعداء حيث كانت كل زاوية تضم مسجدا الصلاة ومدرسة قرآنية كما يلحق بها مضيفة خاصة لاستقبال الضيوف للقيام بواجب الضيافة طيلة ثلاثة أيام كما جرى به العرف عند العرب من أهل البلاد من غارات الأعداء حيث كانت كل زاوية تضم مسجدا للصلاة للأساتذة والطلاب والاخوان والمريدين والخدم وعائلاتهم .

وعندما كان صاحب الحركة يبعث بأحد الشيوخ لانشاء زاوية جديدة كان ينتظر من ذلك الشيخ أن يجعل من الزاوية وأراضيها وسكانها جالية حية منتجة ، وتتم عملية انشاء الزاوية بتخصيص قطعة من أرض القبيلة التى تنشأ الزاوية فى وطنها تخصص لمصلحة الزاوية ثم تقام الأبنية اللازمة للزاوية على أن يقوم الرجال بأنفسهم بالعمل .

والأرض المحيطة بالزاوية كان يقوم بالعناية بها واستثمارها الاخوان سواء أكانوا من أهل القبيلة نفسها أم من غيرهم ولو انها كانت تعتبر ملكا للقبيلة التى تقوم الزاوية فى وطنها ومن هنا كانت الزاوية مركزا للوحدة القبلية وهذه قيمتها السياسية .

ومع أن الاخوان كانت تخصص لهم قطع من أراضى الزاوية

---

(١) مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى — ص ٣٦ .

يستغلونها فانه لم يكن باستطاعتهم التصرف فيها بالبيع ، وأما واردات الزاوية فكان يخصص جانب منها للصرف على مركز الزاوية والباقى يرسل الى مركز الدعوة السنوسية فىالزاوية البيضاء أو زاوية الجغبوب.

وشيخ الزاوية كان يعينه رئيس الدعوة والطريقة السنوسية وكان يراعى فى اختياره رغبات أهل القبيلة نفسها ، على أن لا يتعارض ذلك مع رأى صاحب الطريقة ، لأن شيخ الزاوية هو صاحب الحل والعقد فيها فهو الذى يعلم أو يشرف على التعليم وهو الذى يحل الخصومات وهو الذى يحفظ النظام وهو الذى يعنى بالقوافل وقد يطلب منه تنظيم الدفاع عن الزاوية فى حالة الاعتداء لذلك كان مركزه هاما وكان يجب أن يتمتع باحترام الجميع ليتمكن من القيام بهذه المهمات ويضطلع بأعباء المسئوليات الجسام .

ومما يسترعى الانتباه هو مواقع هذه الزوايا العديدة ، وخاصة فى برقة حيث أن صاحب الطريقة اهتم بأن تكون الزوايا فى مواقع ذات قيمة تجارية وادارية وحربية ومن هنا نرى أن هذه الزوايا تقوم عند ملتقى الطرق وفى أماكن يسهل الدفاع عنها طبيعيا ويمكن منها الاشراف على رقعة من الأرض تجاورها . « ومن الانصاف للحقيقة والتاريخ أن الفضل كل الفضل فى امداد الدعوة السنوسية بأسباب الحياة والقوة انما يرجع الى البرقاويين لأنهم كانوا يمدون القائمين بها بزكاة مزروعاتهم وحيواناتهم وبتبرعاتهم وصدقاتهم وهداياهم ، وهى من الكثرة بحيث وجد فيها القائمون بهذه الدعوة ما فيه الكفاية وفوق الكفاية (١) .

وبحكم هذا الوضع تم ربط الزوايا برباط متصل بالمراسلات والمتابعة . وكل من ينتسب لهذه الزوايا كانوا يعرفون بالاخوان « وهم من أخذوا الطريقة السنوسية وتمسكوا بوردها » (٢) وهؤلاء الاخوان ينقسمون الى ثلاثة أقسام أو طبقات هى :

١) طبقة العلماء التى تقوم بالقاء الدروس العلمية فى المعهد الجغبوبى

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ١٠٦ .
(٢) رحلة الحشائشى الى ليبيا — ص ١٧٤ .

وتتكون من هذه الطبقة هيئة استشارية تعرف باسم (مجلس الاخوان) ومقر هذه الهيئة بالقرب من الامام السنوسى .

٢) طبقة مشايخ الزوايا وغالبهم يكون من الطبقة الأولى .

٣) الطبقة الاحتياطية وهى التى تتكون عادة من صغار خريجى المعهد السنوسى ومن حفظة القرآن ومن مهاجرى البلاد الاسلامية وممن يتجردون عن أعمالهم الخاصة للالتحاق بخدمة صاحب الطريقة ، وتقوم هذه الطبقة الثالثة بأعمال ذات بال ولها أهميتها فى الحقل الاجتماعى ، وكان العضو من هذه الطبقة يوفد الى الخارج حاملا رسالة الحركة السنوسية ، ويوفد البعض منهم لاجراء الصلح بين المختصمين والبعض منهم يقوم بجلب المؤن والبضائع من الزوايا السنوسية أو من الأسواق الخارجية والبعض منهم يقوم بأعمال شيخ أى زاوية عندما يكون شيخها خارج عمله » (١)

وقد انتشرت الزوايا فى طول البلاد وعرضها طوال الفترة التى عاشها محمد بن على السنوسى فى ليبيا والتى بلغت حوالى عشر سنوات وبلغ عدد هذه الزوايا ٢١ زاوية معظمها فى الواحات جعل رئاستها فى الزاوية البيضاء الأم حيث كان يقيم السنوسى أغلب الأوقات حتى سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م . وقد اتجهت جهوده فى الفترة الأولى من نشاطه بليبيا الى بناء زوايا وتشييد مراكز للتغلغل فى القبائل ودعوتهم اليها والى التعليم بها وبذلك أصبح لكل قبيلة زاوية أو أكثر يرسلون اليها أولادهم لحفظ القرآن وتعليم مبادىء العلوم الدينية واللغوية والمتفوقون منهم يواصلون الدراسة العالية بالزاوية البيضاء الأم ، الى أن تم انشاء زاوية الجغبوب سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م وانتقلت الرئاسة العامة اليها . وكانت « الحكومة المصرية قد أباحت للسيد السنوسى أن يبنى بالجغبوب — التى هى من أملاكها — زاوية اكراما له لأنه دينى ويريد نشر الدعوة

---

(١) محمد الطيب الاشهب : عمر المختار — ص ٣٥ .

الاسلامية فى تلك الصحارى البعيدة عن مراكز العلم والثقافة ، وقد أعانته الحكومة المصرية اذ ذاك على بناء الزاوية » (١) •

يعتبر انشاء زاوية الجغبوب تطورا هائلا فى تاريخ الحركة السنوسية وتاريخ التعليم الدينى فى ليبيا • وتقع مدينة الجغبوب على الحدود الشرقية من ليبيا مع مصر ، وكانت واحة غير ذات بال حتى اختارها السنوسى مقرا لرئاسة الزوايا وقيادة الحركة وبث الدعوة السنوسية ، وهذا المكان ملتقى القوافل وممر للمسافرين • وقد سميت « زاوية الأستاذ نسبة الى الأستاذ السيد محمد بن على السنوسى ، وهى واحة صغيرة تقع الى الجنوب من طبرق بنحو ٢٨ كيلومتر وتقع على حدود سيوة الغربية ، وتحيط بها صحراء قاحلة قاتلة » (٢) •

وجاء انشاء زاوية الجغبوب بمثابة المعهد العالى الذى يلتحق به الاخوان السنوسيون لاعدادهم اعدادا عاليا وتخريج العلماء الأكفاء منهم واعداد الدعاة وكانت هذه الزاوية مزودة بمكتبة شاملة كما كان يقوم بالتدريس فى هذه الزاوية مجموعة من العلماء المتضلعين فى الفقه واللغة والعلوم العقلية والنقلية « تحت اشراف السنوسى نفسه الذى يضع برامج التعليم ويقرها » (٣) •

كان يشرف على ادارة الزاوية الفرعية كل من :

١) شيخ الزاوية : ويعين من قبل صاحب الحركة السنوسية نفسه •

٢) وكيل الزاوية : ويدير الزاوية فى غياب الشيخ •

٣) مجلس ادارة الزاوية : ويضم شيوخ وأعيان القبيلة والأراضى المجاورة •

وشيخ الزاوية هو المسئول عن الزاوية ومجلس ادارتها ، وفى اقامة الشعائر الدينية بها وتسيير حركة التعليم فيها والاشراف على كل شىء من فض المنازعات والفصل فى الخصومات •

---

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ـ ص ١٠٦ •
(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٠٣ •
(٣) محمد الطيب الاشهب : برقة العربية ـ ص ٤٦ •

وكانت موارد الصرف على الزوايا تتكون من :

١) الهبات والتبرعات والأوقاف .

٢) الشراء من أموال الأوقاف .

٣) احياء الأراضى البور واصلاح الآبار الخربة وتجديدها .

وتنظم لائحة التعليمات للزوايا انشاءها على النحو التالى : —

١) تبنى الزوايا على ربوة عالية مختارة تشرف على ما حولها ، وتعتبر قطعة الأرض التى تقام عليها والمساحة المتفق عليها من جهاتها الأربعة وقفا .

٢) تقوم القبيلة أو القبائل صاحبة الشأن ببناء المسجد والمدرسة وبيت الشيخ .

٣) الحرم المتفق على تخطيطه حول الزاوية يكون حرما آمنا لمن دخله واستجار به ولا يجوز فيه أى لون من ألوان العبث أو الاعتداء أو التهديد به .

٤) كسوة شيخ الزاوية وثمن سلاحه وفرسه ونفقات زواجه تكون من موارد الزاوية .

٥) لشيخ الزاوية الحق فى تعيين معلم الصبية والمؤذن للصلاة ، وعدد من العمال والخدم حسب الضرورة وتكون أجورهم من موارد الزاوية .

٦) وجوب احضار الطعام للضيوف وأن يحتفظ الشيخ بما يكفى لنفقات الزاوية سنويا من مجموع الواردات وارسال الباقى الى المركز الرئيسى ولشيخ الزاوية أن يحتفظ بالعشر من هذه الواردات للنفقة على أسرته وأقاربه ، حيث يحرم عليهم أن يكونوا ضيوفا على الزاوية .

٧) لكل زاوية منطقة لها حدود تنتهى بسلطتها عندها .

٨) على شيوخ الزوايا الاجتماع الدورى فى مؤتمرات لمدارسة شئون زواياهم .

وكان التعليم فى ظل الطريقة السنوسية فى الزوايا — كما أعلنها السنوسية يسير على النحو التالى :

أولا : « التنفيذ العملى لأحكام الاسلام ومبادئه : عن طريق تربية المريدين والاخوان واعداد الدعاة وتدريبهم على حمل السلاح وحياة التقشف ليكونوا جنودا قادرين على الدفاع عن العقيدة، كما قام هذا النظام بالتنشئة العملية على التزام الفضيلة واجتناب الرذيلة »(1). حيث كانت الزوايا وما يحيط بها حرما مقدسا لا يجرؤ أى انسان على انتهاك حرمته أو العبث حوله أو ارتكاب أى محظور فيه الى جانب القدوة الحسنة التى يجدها المواطنون فى الزوايا والمشرفين عليها .. وكان هذا التدريب يشمل شئون الدين كما يشمل شئون الدنيا بالدعوة لفلاحة الأرض والفروسية والتدرب على حمل السلاح وغيرها والمشاركة فى ذلك كله .

ثانيا : اتباع نظام تعليمى يسير على النحو التالى :

(١) مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادىء الدين واللغة .

(٢) مسجدا لأداء الفرائض ووعظ الناس واجتماع الاخوان للذكر وتلاوة القرآن الكريم جماعة — وهو ما يسمى بالحزب — وقراءة الأوراد دون شطح أو تمايل وانما بأدب وخشوع .

(٣) يلتحق الطلاب المتازون من حفظة القرآن الكريم بالزوايا التى تعتبر معاهد علم عليا مثل الزاوية البيضاء وزاوية الجغبوب ويلحق بهذه الزوايا مكتبة كبيرة ينتفع بها المدرسون والطلاب.

(٤) كانت العلوم التى تدرس فى الزوايا تشمل العلوم الاسلامية من تفسير للقرآن الكريم وحديث وفقه وأصول فقه والفرائض والتصوف والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والأدب والعروض وغيرها كما كان يتم تدريب الطلاب على تعلم بعض الحرف والصناعات مثل صناعة البارود والأسلحة .

---

(1) محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير — ص ٣٠ .

(٥) كانت زاوية الجغبوب جامعة دينية عالية يقوم بالتدريس فيها أقدر العلماء وأشهرهم .

من هـذا الاستعراض للحركة السنوسية ونظام الزوايا السنوسية يمكن استخلاص بعض الحقائق التالية :

أولا : استفاد محمد بن على السنوسى فى دعوته من أخطاء أصحاب الحركات الدينية السابقة له فلم يلجأ منذ البداية للعنف — كما فعل الوهابيون — ولكنه اتخذ الدين شعارا ووسيلة يحقق بها أهدافه المعلنة وغير المعلنة .

ثانيـا : اختار مواقع زواياه بصـورة تجعل منها قلاعا دفاعيـة وحصونا حربية ذات اكتفاء ذاتى مما يوضح هدفه الحقيقى ويكشف عن نواياه الساعية الى تأسيس دولة يترأسها هو .

ثالثـا : كان النظام الذى اتبعه فى زواياه يجعل من كل الاخوان والقبائل الموجودة فى أراضى الزوايا يدينون بالولاء لصاحب الطريقـة ، وكان نجاحه فى فض الخـلافات بين القبائل أول دعائم نجـاح هذا النظام .

رابعـا : كان السنوسى يطمع فى انتشار نفوذه فى غير ليبيا ، لذلك رأيناه أنشأ زوايا كثيرة كان منها « ٦ زوايا بالحجاز ، ٩ زوايا بمصر ، ١ زاوية بتونس » (١) .

خامسا : كان التعليم الذى ابتدعه فى زواياه ذا طابع تقليدى كما كان الحـال فى السابق ، ولم يستفد من العلم الحديث وأسـلوب التعليم العصرى الذى وجد له طريقا الى بعض البلاد العربيـة وأولهـا مصر .

سادسا : لم يكن للتعليم فى الطريقة السنوسية سلم تعليمى يتدرج فيـه الطلاب من أولى درجاته ، وهذا عيب واضح طالما نبحث عن دور الزاوية التعليمى .

---

(١) محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير — ص ٢٣ .

الكتاتيب

ورث الحكم التركى فى ليبيا فى مجال التعليم نظاما تعليميا كان قائما منذ زمن طويل ومنتشرا فى أنحاء البلاد الاسلامية ، هذا النظـام هو ما يعرف باسم الكتاتيب وهى أولى درجات السلم التعليمى الدينى ، حيث تفضى هـــذه الكتاتيب الى الزوايا أو ما قد يســمى بالمدارس القرآنية ، ثم يمضى المتعلم بعد هذه الزوايا الى الحلقات التى تنعقد حول بعض الشيوخ فى بعض المساجد والمعاهد ، ومن أراد الاستزادة يرحل الى الجامع الأزهر فى مصر أو الى جامع الزيتونة بتونس ليبلغ من العلم المبلغ الذى يؤهله لتولى بعض مناصب التدريس أو القضاء •

ويتبين من هذا أن الكتاتيب تبدأ مع الطفل أولى مراحــل تعلمــه فيتعلم القراءة والكتابة « وحتى هذه كانت بدائية جدا ، وكان التعليم مستندا الى القرآن الكريم »(١) • وكانت هذه الكتاتيب منتشرة فى كثير من المدن والقرى حيث يتوفر عدد من السكان وكان يقوم بالتعليم فى هذه الكتاتيب معلم يعرف باسم الفقيه أو « الخوجه الذى كان يتقاضى عن عمله ما يأتيــه به تلاميــذه كل يــوم خميس »(٢) •• من أشــياء مادية عينيــة •

وكان التلاميذ ينتظمون فى الكتاتيب طالما توفر هذا المعلم أو الفقيه الذى كان هو بدوره يعمل على جمع مجموعة من الأطفال وكل من هؤلاء الصبية « يحضر معه لوحا من (الاردواز) حيث يسجلون عليها آيات من القرآن الكريم ، وكانوا يجلسون على حصير مفروش على الأرض • وباشارة من الفقيه — الذى يحفظ النظام بعصا طويلة من الجريد التى يستخدمها غالبا — يردد الأطفال بصورة جماعية فى نغمة غنائية رتيبــة مقاطع من الكتاب الدينى المقدس » (٣) • أى القرآن الكريم ••

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania, P. 9.
(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 84.
(3) Steele Greige : History of Education in Tripolitania, P. 9.

لم يهتم الحكم التركى عندما سيطر على ليبيا بهذا النوع من التعليم شأنه شأن الأنواع الأخرى من التعليم ، وكل ما كان يقوم به الحكم فى الولاية هو تسجيل هذه الكتاتيب وحتى عملية التسجيل اقتصرت فقط على المدن الرئيسية كطرابلس وبنغازى أما الكتاتيب فى القرى والمناطق الأخرى البعيدة عن طرابلس وبنغازى فلم يلتفت اليها ولا حتى بتسجيل أعدادها .

وأمامنا احصائية بعدد الكتاتيب بمدينة بنغازى فقط تبين أن عدد هذه الكتاتيب عام ١٢٨٤ هـ ١٨٨٣ م — أى فى السنوات الأخيرة من الحكم التركى — بلغ ٨ كتاتيب فقط عدد تلاميذها غير مستقر ، وهذا يؤكد أن هذه الكتاتيب كانت تقوم بخدمتها التعليمية بجهود فردية أهلية يتولى التلاميذ أنفسهم وأهلوهم الصرف على عملية تعليمهم التى لم تكن تتعدى دفع أو تقديم أشياء مادية أو عينية للفقيه الذى كان يجعل من منزله أو من المسجد مقرا لتعليم هؤلاء التلاميذ ..

وقد حاول الوالى المقيم بمركز الولاية — أى طرابلس — أن يستحث ناظر المعارف فى استانبول لتقديم المساعدة لهذه الكتاتيب ، فكانت الرسالة التى بعث بها فى أغسطس ١٨٩١ م الموافق رجب ١٢٩٢هـ متضمنة بيانا بالكتاتيب « المعمورة والخراب الموجودين بنفس طرابلس الغرب والتى يبلغ عددها ١٥ كتابا » (١) .. وتبين من هذه الرسالة وهذا البيان ما يلى : —

عدد

١) يوجد ٦ كتابا معمورة ويقرأ فيها الصبيان أى يتم فيها التعليم .
٢) يوجد ٣ كتابا معمورة ولا يقرأ فيها الصبية أى خالية من التعليم
٣) يوجد ٤ كتابا خراب ويقرأ فيها الصبية أى يتم فيها التعليم .
٤) يوجد ٢ كتابا خراب ولا يقرأ فيها الصبية أى خالية من التعليم .

ومعنى هذا أن الكتاتيب الموجودة بنفس مدينة طرابلس الغرب والبالغ عددها ١٥ كتابا لم تكن كلها صالحة لعملية التعليم ولكن كان بعضها لا يصلح كمكان للتعليم كما أن بعضها الصالح ليتم فيها التعليم لم ينضم اليه الصبية وبقى خاليا .

(١) دار المحفوظات التاريخية : طرابلس (المعارف) .

وقد جاء فى رسالة الوالى الى ناظر المعارف باستانبول قوله « وعند التحقيق على المكاتب المذكورين بمعرفتنا لم نجد لهم شيئا من الاشياء مخصص ومعين ، ولأجل ذلك صار تحرير وتمهير هـذه المضبطة المبين بأعلاها المكاتب المذكورة ، وتقديمها الى حضرة نظارتكم وفى هذا الباب الأمر لمن له الأمر » (١)٠

ولكن الدولة فى استانبول كانت سياستها واضحة فى هذا المجال ، فهى لا تساعد على تنفيذ أية مشروعات ولا تقدم أية خدمات لأية ولاية من ولاياتها طالما أن هذه المساعدات أو المشروعات تكلفها أية نفقة ولو كانت بسيطة ذلك أنها ترغب أولا فى الاطمئنان على وصول المبلغ المقرر على الولاية الى مركز الخلافة ، وأما المشروعات التعليمية وغيرها فيجب أن تقوم بجهود أهليـة من سكان الولاية أنفسهم وباشراف فقـط من السلطة العثمانية الحاكمة ٠

ويؤيد هذا الرأى ما جاء فى تقرير بعثة الأمم المتحدة فى ليبيـا من أن تركيا « لم تفعل شيئا من أجل نشر التعليم وتركت الكتاتيب المنتشرة فى كلا الاقليمين برقة وطرابلس تقوم وحدها بدورها التقليدى » (٢) ٠

وكان التعليم فى هذه الكتاتيب وفى المساجد يتم على يد « العلمـاء الدينيين ، وكان قاصرا فقط عـلى تدريس اللغـة العربيـة والدين الاسلامى » (٣) ٠

ومما يلفت النظر أن بعض الكتاتيب وخصوصا فى المدن كانت تقوم بجوار المساجد أو فى نفس المبنى الذى يتخـذ مسجدا ومرد ذلك أن المسجد فى الدول الاسلامية ومنذ الفتح العربى الاسلامى كان مقرا للحكم ولتأدية شعائر الدين وللقضاء بين الناس كما كان مكانا للوعظ والارشاد ومدارسة الكتاب المقدس والأحاديث النبوية ٠

---

(١) دار المحفوظات التاريخية ـ طرابلس : (المعارف) ٠

(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 84.

(3) S. Greige : A Short History of Education in Tripolitania, P. 7.

ولمـا كانت الكتاتيب تقـوم أساسا على تعليم الصبية وتحفيظهم القرآن الكريم ومبادىء اللغة العربية قراءة وكتابة للاستعانة بها فى قراءة الآيات وكتابتها كما أن الفقيه الذى يقوم بتعليم الصبية كان يشـغل فى الغالب وظيفة قارىء القرآن الكريم فى المسجد أو الذى يقـوم بامامـة المسلمين فى الصلاة بالمسجد .. لذلك وجدت الكتاتيب فى الغالب بجوار المسجد أو فى نفس مبنى المسجد ليستطيع الفقيه ممارسة عمـله فى كلا الجانبين .. فى المسجد حيث يؤدى وظيفته المكلف بها بالنسبة للشعائر الدينيـة ، ومع الصبية حيث يقوم بتحفيظ التلاميـذ القرآن الـكريم واللغـة العربيـة .

ولم يكن الكتاب مدرسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمـة أو بنفس الصورة التى عليها المدرسة الآن لأن التلاميذ كانوا ينتظمون فى هـذا الكتاب تلقائيا وبصورة غير منظمة ، بمعنى أن الصبى يلتحق بالـكتاب متى أرسله أبوه فى أى وقت من العـام وفى أى عمر زمنى ، ويجتمع الصبية فى قاعة واحدة أمام الفقيه وكل منهم يحفظ المقرر له من قبـل الفقيه . لذلك قل أن يتفق الصبية مع بعضهم فى مقرر واحد ..

وكان كل صبى يحفظ القرآن الكريم كامـلا أى يحيط بالمصحف الشريف احاطة تامة ينتهى التحاقه بالكتاب ليبدأ مرحلة جديدة من حياته التعليمية ولم يكن هناك حد معين يحفظ فيه الصبى القرآن الكريم أى لم يكن هناك عدد من السنوات المقررة ولذلك كانت عملية الحفظ هذه تستند الى مجهود كل صبى ومقدرته الخاصة .

ولم تكن عملية التعليم فى الكتاتيب تقوم على أى أساس علمى أو تربوى ذلك أن الفقيه كان يقوم فقط بتعليم الصبية كيفية النطق بالآيات ثم يكلفهم بحفظ بعض الآيات ليقوم كل منهم بتسميع ما حفظ أمام الفقيه فى اليوم التالى دون أهمية لفهم المعنى أى كان الحفظ يتم آليا .

مدارس اليهود

كان يعيش فى أنحاء البلاد الاسلامية العثمانية طوائف دينية تعيش كأقليات داخل الدولة العثمانية الاسلامية • وكانت السياسة الداخلية المتبعة فى الدولة العثمانية تعتبر كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية — من غير المسلمين — جماعة قائمة بنفسها وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة فى كل ما يمت بصلة الى الشئون الدينية والمذهبية •

« وقد اعتبرت الدولة العثمانية شئون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فخولت جميع الطوائف المسيحية والاسرائيلية حق تأسيس المدارس وادارتها أيضا ، ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد تعليمية خاصة بها وتدير هذه المعاهد والمدارس كما يروق لها » (١) •

وكانت هذه المعاهد والمدارس الطائفية فى بادىء الأمر — من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تطورت بعد ذلك بسرعة وتحولت الى معاهد تعليمية عصرية بمعنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج خاصة بها تختلف باختلاف الأديان التى تدين بها الجماعات ولا تمت بصلة الى مناهج المدارس والمكاتب التى كانت موجودة فى هذا العصر ، بل ان هذه المعاهد والمدارس الطائفية كانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أو من البلاد الأجنبية نفسها وذلك حسب العلاقات الدينية أو المذهبية التى كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الأجنبية •

وكانت الحقوق والامتيازات الممنوحة لهذه الطوائف الدينية فى التعليم تشمل أيضا لغة التعليم فكان يحق لكل طائفة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها ، ولهذا عاشت الطوائف الدينية وخاصة اليهود فى

---

(١) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الاولى١٩٤٩/٤٨م

أنحاء الدولة العثمانية فى ظل هذه الامتيازات كقوة متماسكة محافظة على نفسها من الزوال أو الذوبان داخل المجتمع الاسلامى فى الدولة العثمانية •

ومما يلفت النظر بالنسبة لهذه السياسة التى اتبعتها الدولة العثمانية نحو الطوائف الدينية وخاصة اليهود والمسيحيين أن استفادت هذه الطوائف من الامتيازات الممنوحة لها — فى مجال التعليم الذى هو موضوعنا — فظهرت المدارس الحديثة عند هذه الطوائف بينما حرم منه المسلمون الذين حرموا أصلا من الامتيازات المسموح بها لهذه الطوائف الدينية ، ولذلك فقد سبقت هذه الطوائف ، سبقت الدولة العثمانية الاسلامية فى كل أطرافها فى ظهور المدارس العصرية ، بينما تخلفت الدولة عن تطوير تعليمها لرعاياها من المسلمين وحرمتهم من الأخذ بالتعليم الحديث فى أقطارهم •

وكان فى ليبيا — كما كان فى غيرها من الأقطار الاسلامية — طائفة يهودية تعيش متمتعة بامتيازاتها فى مجال التعليم وفى غيره من المجالات ، فأنشأت هذه الطائفة التى كانت تتركز بصفة خاصة فى طرابلس — المدارس — بمساعدة المؤتمر اليهودى العالمى فتم انشاء أول مدرسة حديثة فى مدينة طرابلس عام ١٨٠٤ م حيث كانت تدرس فيها اللغة العبرية والفرنسية حتى عام ١٩١١ م ثم أضيفت اللغة الايطالية •

وقد أنشأ بعض رؤساء الطائفة الاسرائيلية بمدينة طرابلس « عام ١٨٧٦ م مدرسة لتدريب الشبان على الأعمال التجارية » (١) هذا الى جانب أن دروس الدين الاسرائيلى كانت تعطى للجماعات اليهودية فى مدارس تسمى مدارس التلمود ملحقة بمعابد اليهود •

وكانت بعض مدارس اليهود تقام بجهود اليهود الموجودين فى ليبيا أو من قبل الاتحاد العالمى الاسرائيلى ومقره باريس كما هو الحال فى المدرسة التى تأسست عام ١٩٠١ م تحت اسم « اليانس اسرائيليت (الاتحاد العالمى الاسرائيلى Alliance Israelite Universelle) وهى مقسمة الى

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

قسمين ، قسم للذكور وقسم للاناث وكان المنهج يحتوى على دراسة اللغة العبرية واللغة العربية ، واللغة الفرنسية ، واللغة الايطالية وتاريخ وعقائد بنى اسرائيل ، والجغرافيا والحساب وأصول مسك الدفاتر والأعمال اليدوية .. وكان يصرف للطلاب فيها ملابس مجانية مرتين فى السنة ومن يحوز شهادته بتفوق من الطلاب يرسل لاتمام تعليمه فى تونس أو فرنسا ، وقد خصص الاتحاد العالمى الاسرائيلى للصرف على هذه المدرسة ١٦٥٠٠ فرنك فرنسى سنويا ، أى ما يوازى ٨٢٥ جنيه ذهب بواقع الجنيه يساوى ٢٠ فرنك » (١) .

وكان فتح المدرسة يمر بعدة مراحل أو خطوات اذ يتقدم الشخص أو الجهة بطلب لفتح مدرسة الى الوالى المقيم بمركز الولاية وهو طرابلس ، الذى يحوله بدوره الى مدير معارف الولاية الذى يحوله الى مدير البوليس ثم الى مهندس البلدية ثم يحول لمجلس ادارة الولاية الذى يوافق ثم يحول الى مدير المعارف الذى يصدر الترخيص بفتح المدرسة .

ولدينا وثائق عدة عن هذا الموضوع عبارة عن تراخيص بفتح مدارس لليهود فى ليبيا منها طلب « فى عام١٨٩٢ من أحد اليهود للحصول على ترخيص بفتح مدرسة لتعليم أبناء اليهود داخل المعبد التلمود وتفسير التوراه » (٢) . وطلب فى عام ١٩٠١ م من أحد اليهود أيضا يطلب رخصة لتعليم أبناء اليهود فى معبدهم باللغة العبرية (٣) . وطلب من الاتحاد العالمى الاسرائيلى « فى ٤ فبراير ١٩٠١ م الى الوالى لفتح مدرسة اسرائيلية » (٤) « كما أن أمامنا وثيقة بأسماء المعلمين اليهود الذين يعملون بمدرسة مكونة من خمسة صفوف مفتوحة عام ١٨٩٦ م تدرس فيها التوراه والزبور باللغة العبرية ، والقراءة والاملاء والحساب باللغة العربية ، وتاريخ أنبياء بنى اسرائيل باللغة التركية » (٥) .

وفى احصائية عن التعليم أوردها محمود ناجى فى كتابه طرابلس الغرب (٦) ترجع الى عام ١٩٠٢ تبين أن عدد التلاميذ فى المدارس

(١) محمود ناجى : طرابلس الغرب (تركي) .
(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) المحفوظات التاريخية بطرابلس ـ المعارف .
(٦) محمود ناجى : نفس المصدر .

اليهودية بطرابلس بلغ ٦٥ طالبا و ٦٠ طالبة فى تلك السنة وهذه الوثيقة تبين أن اليهود اهتموا بتعليم بناتهم وأنهم يهتمون بعملية التعليم المنتج أى الذى يجعل من اليهودى صاحب مصدر كبير للدخل والثروة ولذلك كانت طائفة اليهود فى ليبيا أول طائفة تفتح مدرسة لتعليم أبنائها الأعمال التجارية .

ومن دراستنا للتعليم فى مدارس اليهود نجد أنهم كانوا أول من أدرك أهمية الاتصال بأوربا ، فبينما كان العرب المسلمون فى ليبيا مفروضا عليهم العزلة وعدم اتاحة فرص الاتصال بالأوروبيين نجد اليهود يعلمون أبناءهم أهم اللغات الأوروبية وبعض العلوم الحديثة التى تتيح لهم الاستفادة من التقدم الأوروبى ولذلك لا نعجب أن رأينا يهود ليبيا هم حلقة الاتصال بين الليبيين وأوروبا .

مدارس الارساليات الدينية والجاليات الأوروبية

استفادت الدول الأجنبية من الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية لها فى كل ممتلكاتها ، وأخذت كل دولة من الدول الأوروبية تتطلع الى بسط نفوذها على جزء أو أجزاء من الأقاليم الخاضعة للحكم العثمانى وكان التعليم هو أسلوب من أساليب هذه الدول لنشر ثقافتها ونفوذها ومن ثم تضمن ولاء الأبناء الذين يأخذون من هذه الثقافات بقدر . وكانت هذه وسيلة الدول الأوروبية الطامعة فى بسط سيطرتها .

وقد لعبت المدارس الأجنبية فى العهد العثمانى دورا خطيرا فى البلاد العربية فقد تأسست هذه المدارس فى بادىء الأمر — على أيدى الارساليات الدينية وكانت كل واحدة من هذه الارساليات تعتمد على حماية دولة من الدول الأجنبية وتصبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم العلوم المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى بغية اجتذاب أبناء الشعب العربى وتسهيل التأثير فيهم .

غير أن تأثير هذه المدارس الأجنبية لم يكن ينحصر فى الطلاب الذين ينتمون اليها ويدرسون فيها بل انه كثيرا ما كان يتعدى ذلك الى المدارس الطائفية والدينية لأن المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالمعلمين والكتب المدرسية وكانت تواصل التأثير الى درجة توجيه مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيها أيضا وهكذا أصبحت المدارس الأجنبية من الآلات السياسية الفعالة التى تستخدمها الدول لنشر لغتها فى البلاد وبسط نفوذها على أهلها •

وبالنسبة لليبيا فقد توافد على مدنها الساحلية بصفة خاصة جماعات من الأوروبيين تتألف غالبا من المالطيين والايطاليين واليونانيين •• الخ ، « وحيثما كان من الممكن انشاء كنيسة صغيرة ، فان الاخوان المبشرين — وهم فى الغالب الايطاليون — ينشئون مدارس لتعليم الأطفال الطقوس المسيحية وتعليمهم كيف يقرأون ويكتبون وفى هذه المدارس فانهم يتعلمون اللغة الايطالية وبعض أساسيات التعليم العام » (١) •

وكانت الجالية الايطالية فى ليبيا أكثر الجاليات الأوروبية عددا وأسرع الى الاهتمام بشئون تعليم أبنائهم واعتمدوا فى البداية على نشاط الارساليات الدينية وعندما ازداد عدد الايطاليين المهاجرين الى ليبيا وزاد بالتالى اهتمام الحكومة الايطالية بليبيا كمطمع استعمارى افتتحت من المدارس ما يواجه الزيادة فى عدد الايطاليين المستقرين فى ليبيا وتشجيعا لهم على الاستقرار وتسهيلا للمغامرين الطليان على النزوح من ايطاليا والاقامة فى ليبيا •

ويمكن أن نؤرخ لبداية التعليم الايطالى فى ليبيا « فى عام ١٨١٠ م عندما استقر المبشرون الفرنسسكان بطرابلس وافتتحوا مدرسة ابتدائية صغيرة للأطفال المسيحيين القليلين فى البلاد آنذاك وقد التحق بها أيضا عدد قليل من أطفال الليبيين » (٢) •

---

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.
(2) S. Greige : A short History of Education in Tripolitania P. 8.

وفى عام ١٨٤٦ استطاعت بعثة أخوات الراعى الصالح الكاثوليكية انشاء مدرسة للبنات اجتذبن فيها « بنات من الديانات الثلاث المسيحية والاسلام واليهودية ونجحن فى تكوين مجموعة من البنات بلغن ٦٠ تلميذة تعلمهن باللغة الايطالية — وهى اللغة المستعملة غالبا عند الأوروبيين بطرابلس — وكانت هذه المدرسة تمول من قبل الارسالية الفرنسسكانية » (١) • وكانت مديرة هذه المدرسة فرنسية الأصل من « بلدة بجوار مرسيليا تسمى كابيليت Capelette وتعلم المدرسة الموسيقى التى تقوم بها معلمة راهبة بلغارية » (٢) • ولم يقف الامر عند هذا الحد اذ أن ازدياد الجاليات الأوروبية المسيحية فى ليبيا قد أدى الى اجراءين : كان الاجراء الأول هو استخدام بعض القسس الذين يعملون ضمن البعثات التبشيرية الكاثوليكية فى ليبيا وتفرغهم من العمل الدينى لاعدادهم وقيامهم بالتدريس فى مدارس البعثات •

وكان الاجراء الثانى هو انشاء مدارس تقام لغرض التعليم ، ولذلك فقد عقد « مجموعة من الآباء الايطاليين اجتماعا بطرابلس فى عام ١٨٧٦ ودعوا البروفيسور جانيتو باجى Gianetto Paggi للحضور الى طرابلس من ليفورنو Livorno لفتح مدرسة ابتدائية للبنين » (٣) لتعليم أبنائهم والاشراف على تنظيم تعليمهم فى طرابلس بدلا من ارسالهم الى ايطاليا •

وفى عام ١٨٨١ وصل الى طرابلس الآباء الفرنسسكان من اخوان مارس Marist Brothers وأنشأوا مدرسة للبنين « بجوار المبنى الذى كان يستخدم سجنا للرقيق الذين كانوا يجلبون بواسطة القراصنة وكان التعليم يتم باللغة الايطالية والفرنسية ، وقد كان من بين تلاميذ هذه المدرسة عدد من أبناء الضباط الأتراك ، الذين كان عددهم كبير تناقص بعد أن بدأت الصحافة « فى طرابلس — الحديث عن احتمالات احتلال طرابلس بواسطة فرنسا أو ايطاليا » (٤) •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.
(2) S. Greige : Ibid, P. 10.
(3) S. Greige : Ibid, P. 10
(4) Ibid, P. 10.

وفى عام ١٨٨٣ عندما زاد عدد تلاميذ المدرسة الابتدائية الايطاليين الذين كان يشرف على تعليمهم البروفيسور باجى منذ عام ١٨٧٦ م ، أبلغ القنصل الايطالى فى طرابلس مواطنيه أن وزارة الخارجية الايطالية سترعى هذه المدرسة وتقدم لها الحماية والتدعيم اللازمين لتؤدى رسالتها كما تريد المطامع الاستعمارية الايطالية ، وكانت هذه خطوة أولى تبعتها خطوات أخرى فى عام ١٨٨٨ م بوضع المدرسة الابتدائية للبنين تحت الاشراف المباشر للحكومة الايطالية ومعنى هذا مسئولية الحكومة الايطالية عن توفير المناهج والمعلمين ورسم السياسة المخططة .

وفى نفس العام أى عام ١٨٨٨ أنشأت الحكومة الايطالية فى طرابلس مدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة روضة أطفال كما أنشأت مدرسة ثانوية فنية (صناعية وتجارية) بدأت فى تلك السنة بعدد من الطلاب بلغ ١٦ طالبا ، واستمرت هذه المدرسة الفنية تقبل التلاميذ البنين فقط ولكن فى عام ١٩٠٧ افتتح قسم فى هذه المدرسة للبنات .

ولم يقتصر وجود المدارس الايطالية على طرابلس وحدها اذ أنشئت مدارس ايطالية فى الخمس وبنغازى ودرنة أيضا قامت الحكومة الايطالية بانشاء بعضها بينما تم انشاء البعض الآخر من أموال جمعت من المستوطنين الطليان المهاجرين الى ليبيا والراغبين فى تعليم أبنائهم فى أماكن اقامتهم الجديدة بدلا من تكبد نفقات ارسالهم الى الوطن الأم — ايطاليا — وقد شجعت الحكومة الايطالية هذه الجهود لانها تتفق مع مخططها الاستعمارى .

ولم تقف جهود الطليان فى سبيل تعليم أبنائهم وأبناء الجاليات الأوروبية الأخرى عند هذا الحد بل حاولت اجتذاب الليبيين العرب المسلمين الى هذه المدارس الايطالية ، ففتحت المدارس التى تتضمن مناهجها تعليم اللغة العربية واللغة الفرنسية الى جانب اللغة الايطالية وذلك عام ١٩٠٤ « حيث بلغ عدد الطلاب العرب المقيدين بالصف الأول — من هذه المدرسة ٤٥ تلميذا وقد استاءت الحكومة التركية لهذا المشروع الطموح ، وأخذت تبذل كل ما تستطيع لكى تثنى العرب

الليبيين عن الالتحاق بهـذه المدارس » (١) • ومن بين الاجراءات التى اتبعتها حكومة الولاية لأبناء الليبيين والضباط الأتراك عن الحاق أبنائهم بالمـدارس الايطالية وقوف رجال الشرطة بمركز الولاية أمـام هـذه المدارس الى جانب « انشاء مكتب العرفان الذى فتح لينافس ويتفوق على المدارس الأجنبية فى الولاية » (٢)•

وقد تم انشاء عدة انواع من المدارس الايطالية أيضا منها : « مدرسة جيراشى Geraci عـام ١٨٧٤ بمدينة طرابلس ومدرسـة أخـوات ماروللى Marulli عام ١٨٧٨ / ١٨٧٩ م بمدينة طرابلس أيضـا ، وفى بنغازى تأسست سنة ١٨٨٥ م مدرسة Rossoni — Piccolo Vincenza وفى عام ١٩٠٣ أسس المجلس الوطنى للبعثات التبشـيرية الايطالية فى الخارج ملجأ لليتامى فى طرابلس وأنشأ كذلك مستوصفا بنفس مدينة طرابلس » (٣) •

وفى العام الدراسى ١٩١٠ / ١٩١١ م وهو العام السابق للاحتـلال الايطالى للأراضى الليبية ، كانت المدارس الايطالية فى ليبيا على النحو الآتى : (٤)

أولا : المدارس التى كانت تحت اشراف الحكومة الايطالية :

أ — بمدينة طرابلس :

كانت بها المدارس الآتيـة :

١) مدرسة أولية — ابتدائية — للبنين مع أقسام اضافية مسائية تأسست عام ١٨٧٦ وكان بها ١٣ معلما فى تلك السنة •

٢) مدرسة ابتدائية للبنات مع أقسام اضافيـة للتدريب المهنى تأسست بمدينة طرابلس أيضا عام ١٨٧٨ م وكان عـدد المعلمين بها ١٢ معلما •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

(٢) محمود ناجى : طرابلس الغرب (تركى)

(3) Ibid, P. 85.

(4) Ibid, P. 86.

٣) مدرسة فنية تأسست عام ١٨٨٨ مع قسم طبى ومعمل للتحليل ملحق بها ، وعدد المعلمين بها ٩ وكان عدد التلاميذ بها عام ١٩١٠ م ٦٣ تلميذا ٥٧ ولدا ، و ٦ بنات ، وهذا العدد كان يضم الجنسيات الآتيـــة : ٢٠ طالبـا من الأتراك ، و ٦ من الفرنسيين ، ٤ طلاب انجليز و ٤ طلاب مالطيين ، و ٣ ألمـان ، و ٣ طلاب يونانيين و ٢٣ ايطاليين •

ب ـــ بمدينـة الخمس :

١) مدرسة ابتدائية تأسست عام ١٨٩٠ بجهود الطليان كجالية ثم تحولت عـام ١٩٠٢ م الى مدرسـة تشرف عليهـا الحكومة الايطالية ويعمل بها ٥ معلمين وفى المساء تتحول الى مدرسة لتعليم الكبار غير المتعلمين •

جـ ـــ فى بنغـازى :

١) مدرسة ابتدائية للبنين تأسست عام ١٨٨٨ م وبهـا قسم طبى وقسم مسائى للكبار غير المتعلمين ويعمل بهـا ١٠ معلمـين •

وهذه المدارس الحكومية التى تشرف عليهـا الحـكومة الايطالية تتبع المناهج المتبعـة بالمدارس القائمة فى ايطاليـا • « مع اضافة اللغة العربية فى المدرسة الثانوية ، واللغة الفرنسية واللغة العربية فى المدارس الابتدائية للبنين والبنات وفى عــام ١٩١٠/١٩١١ م كان عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الايطاليـة بليبيا ٨٤٠ تلميذا يكلفون الحكومة الايطالية ٥٢٧٥٤ ليرة سنويا، أكثر من ١٦٠٠٠ ليرة منها تخصص للمدرسة الثانوية وحدها »(١)

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania. 1948 P. 10.

ثانيـا : المدارس التى تقوم على المساعدات : (١)

أ ـــ بمدينة طرابلس :

١) مدرســة للأطفال الأيتــام أسسها المجلس التبشيرى الوطنى الايطالى ، وتديرها الأخوات الفرنسسكانيات .

٢) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة الكاثوليكية وتدار بواسطة الاخوان الفرنسسكان .

٣) مدرسة ابتدائيـــة للبنات تابعة للبعثة الكاثوليكية وتديرها أخوات القديس يوسف .

ب ـــ فى مدينة الخمس :

١) مدرســة ابتدائيــة للبنات تابعــة للمجلس التبشيرى الوطنى الايطالى ، وتديرها الأخوات الفرنسسكانيات .

جـ ـــ فى بنغازى :

١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للارسالية الكاثوليكيــة ويديرها الآباء الفرنسسكان .

٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للارسالية الكاثوليكيــة وتديرها أخوات القديس يوسف .

د ـــ فى درنة :

١) مدرسة ابتدائية تابعة للارسالية الكاثوليكية للبنــين ويديرها الآباء الفرنسسكان .

٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للارسالية الكاثوليكيــة وتديرها الأخوات الفرنسسكانيات .

وكانت القوة الأوروبية الوحيدة الأخرى فى فتح المدارس فى ليبيـا هى فرنسا ، فقــد كانت المدارس الفرنسية فى ليبيـ

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 86.

« تصرف عليها الجمعيـة الكاثوليكية فى فرنسا ١٨ ألف فرنك فى السنة » (١) . وكانت المدرسة الابتدائية الفرنسية « تضم ٢٠٠ تلميذ و ٤٠٠ تلميذة وكانت اللغة الايطاليـة لغـة تعليم اجبارية بالمدرسة الفرنسية التى كانت تعتبر اللغة الفرنسية هى اللغة الأولى ، والايطالية هى اللغة الثانية واللغة العربيـة هى اللغة الثالثة . بينما فى المدارس الايطالية كانت تعلم أيضا اللغة الفرنسية » (٢) . وكان ذلك عام ١٩١١ م .

وقد أورد كتاب طرابلس الغرب احصائيـة عن التعليم الأجنبى فى ليبيا فى عام ١٩٠٢ م « جاء فيها أنه كان بالمدارس الفرنسية — فى تلك السنة ١٥٠ تلميذا : ٨٠ ولدا و ٧٠ بنتـا وبالمدارس الايطالية ٥٤١ تلميذا : ٢٣١ تلميذا و ٣١٠ تلميذات فى المدارس الابتدائية بينما كان بالمدرسة الفنية ٤٦ طالبا » (٣)
وفيما يلى احصائية عن التعليم الايطالى فى العهد العثمانى (٤)

(١) محمود ناجى : كتاب طرابلس الغرب (تركى) .
(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania 1948, P. 10.
(٣) محمود ناجى : نفس المصدر .
(4) S. Greige : Ibid, P. 12.

السنة	مجموع التلاميذ	مدارس الأطفال	المدارس الابتدائية للبنين		مدارس البنات	المدارس الثانوية الصناعية التجارية		
			صباحي	مسائي	الابتدائية	الجملة	ايطاليون	آخرون
١٨٧٦	٦٠	—	٦٠	—	—	—	—	—
١٨٨٣	٩٠	—	٩٠	—	—	—	—	—
١٨٨٨	١٦	—	—	—	—	١٦	١٠	٦
١٨٨٩	٥٥١	—	١٦٢	١٨٠	١٦٢	١٧	٨	٩
١٨٩٠	٥٤٥	١٢٦	٢٨٤	١١٣	؟	٢٠	١٢	٨
١٨٩١	١٤٦	١٢٤	؟	؟	؟	٢٢	١٢	١٠
١٨٩٢	٢٥٤	٢٢٨	؟	؟	؟	٢٦	١٤	١٢
١٨٩٣	١٥٢	١١٧	؟	؟	؟	٣٥	١٥	٢٠
١٨٩٤	٦٤٨	١٢١	١٧٨	١٥٧	١٥٠	٤٢	٢٤	١٨
١٨٩٥	٥٧٧	١٦٥	١٥٢	؟	٢١٠	٥٠	٢٥	٢٥
١٨٩٦	٦٠٧	١٨١	١٥٢	؟	٢٢٤	٥٠	١٩	٣١
١٨٩٧	٦٢٥	١٧٧	١٦٠	؟	٢٣٦	٥٢	٢٣	٢٩
١٨٩٨	٨٨٠	٢٠٧	١٥٤	١٨٥	٢٨٤	٥٠	١٩	٣١
١٨٩٩	٥٣٢	٢٠٧	؟	؟	٢٨٧	٣٨	١٦	٢٢

المدارس الثانوية الصناعية التجارية			مدارس البنات	المدارس الابتدائية للبنين		مدارس الأطفال	مجموع التلاميذ	السنة
آخرون	ايطاليون	الجملة	الابتدائية	مسائى	صباحى			
٢٥	١٦	٤١	٣٢٢	١٣٩	١٦٠	٢٠٨	٨٦٠	١٩٠٠
٢٧	١٧	٤٤	٣٠٢	١٦٦	١٩٨	٢٦٩	٩٧٩	١٩٠١
٣٢	١٤	٤٦	٣١٠	٥٧	٢٤٧	٢٠٨	٨٦٨	١٩٠٢
٢٧	١٦	٤٣	٢٨٠	٨٨	٣٢٦	٢٥٨	٩٩٥	١٩٠٣
٣٢	٢٠	٥٢	٣٠١	١٤٨	٣٦٤	٢٣٥	١١٠٠	١٩٠٤
٣٤	١٤	٤٨	٢٨٩	١٤٨	٣٣٨	٢٦٨	١٠٩١	١٩٠٥
٣٢	١٥	٤٧	٣٠٦	١٩٨	٣٩٤	٢٥٨	١٢٠٣	١٩٠٦
٣٦	١٩	٥٥	٣٤٠	١٢٥	٣٨٥	٢١٣	١١١٨	١٩٠٧
٣٢	٢٣	٥٦	٣٤٠	٢٤١	٤٥٣	٢٣٩	١٣٢٩	١٩٠٨
٤٦	٢٥	٧١	٣٤٨	٣٣٥	٤٦٣	٢٥٢	١٤٦٩	١٩٠٩
٤٠	٢٣	٦٣	٣٤٨	٢٠٨	٤٣٣	٢٧٥	١٣٢٧	١٩١٠

ومن مناقشة الاحصائية السابقة التى تبين تطور التعليم الايطالى فى ليبيا ابان الحكم العثمانى تتضح الحقائق التالية :

أولا : وجود سلم تعليمى بمراحله المتعددة من رياض الأطفال الى التعليم الابتدائى ، فالتعليم الثانوى ، ومعنى هذا أن أبناء الجاليات الايطالية بصفة خاصة والجاليات الأوروبية وبعض الضباط الأتراك بصفة عامة كانوا يجدون لأبنائهم مراحل التعليم الأساسية والتى يقتضى وجودها حيث هم ليتمكنوا من الاشراف على أبنائهم وتوجيههم .

ثانيا : وجدت مدارس للبنين ومدارس للبنات فى التعليم الابتدائى مما يؤكد رغبة الايطاليين فى توفير فرص التعليم أمام بناتهم أيضا أسوة بأبنائهم وهذه الرغبة مرتبطة بالخطة المرسومة لاستيطانهم فى الأرض الليبية .

ثالثا : وجود مدرسة ثانوية فنية (صناعية وتجارية) فى السلم التعليمى الايطالى دليل على شعور الطليان بأهمية الناحية الفنية والمالية فى السيطرة وبسط النفوذ والمسك بعصب الحياة فى الأرض الجديدة التى يطمحون الى استغلالها واستعمارها لمصلحتهم هم.

رابعا : فتحت أبواب المدرسة الثانوية والمدرسة الفنية لغير الايطاليين الذين أشير اليهم فى الاحصائية بلفظة (آخرون) وكان معظمهم من المالطيين واليهود ، وكان قلة من أبناء الضباط الأتراك وبعض الليبيين — المتأثرين والمبهورين بالتنظيم التعليمى الايطالى — يدخلون المدرسة الثانوية الايطالية .

خامسا : تطور التعليم الايطالى فى ليبيا فى أثناء الحكم العثمانى للبلاد تطورا سريعا يتمشى مع الزيادة المطردة فى عدد الوافدين الطليان الى ليبيا بل ان هذا التطور يدل على التوافد السريع والدائم من الأفراد الايطاليين والأسر الايطالية التى تجد التشجيع من الحكومة الايطالية ليتسنى لها فى النهاية تحقيق أهدافها .

سادسا : تدل السنة الأخيرة فى الاحصائية على تزايد عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة زيادة واضحة .

ونسوق احصائية بعدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الايطاليـة عام ١٩١١ م وهو العام الذى احتلت فيه ايطاليا الاراضى الليبية (١) :

المدرسة	التلاميذ			المعلمون
	بنين	بنات	المجموع	
طرابلس :				
١) مدرسة فنية بها متحف للحرف ومعمل للتحاليل وقسم طبى ملحق بها	٦٣	—	٦٣	١٠
٢) مدرسة ابتدائية للبنين	١٢٧	—	١٢٧	١٣ }
٣) مدرسة ليلية للكبار		—	١٤٨	
٤) مدرسة ابتدائية للبنات بها قسم اضافى للتدريب المهنى	—	٣٤٨	٣٤٨	١٢
٥) روضة أطفال	١٣٥	١٢٥	٢٦٠	٤
٦) ملجأ للأيتام تابع للمجلس الايطالى الوطنى التبشيرى	١١	١١	٢٢	—
٧) مدرسة ابتدائية تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكية للبنين يديرها الاخوان الفرنسكان	١٦٦	—	١٦٦	—
٨) مدرسة اخوات القديس يوسف	—	٣٥٣	٣٥٣	—

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 86.

المدرســة	التــلاميذ			المعلمون
	بــنين	بــنات	المجموع	
الخمس :				
١) مدرسة ابتدائية للبنين الــكبار	٦٠	—	٦٠	٥ }
٢) مدرسة تعليم الأميــين بها متحف للحــرف	٩٢	—	٩٢	
٣) مدرسة للبنــات تابعة للمجــلس الايــطالى الوطنى التبشيرى	—	٧٥	٧٥	—
بنغــازى :				
١) مدرسة ابتدائية للبنين مع قسم طبى	١٦٠	—	١٦٠	١٠ }
٢) مدرسة ليلية للكبار	١٣٠	—	١٣٠	
٣) مدرسة ابتدائية للبنات	—	١٦٦	١٦٦	٢
٤) مدرسة بنات الكاثوليك الفرنسسكان	١٤٠	—	١٤٠	—
٥) مدرسة بنات تابعــة للارسالية الكاثوليكية تديرها أخوات القديس يوسف •	—	١٣١	١٣١	—
٦) معهد مكافحة الرقيق	٢٩	٢٢	٥١	—

المكان	المدرسة	التلاميذ			المعلمون
		بنين	بنات	المجموع	
درنة	١ ـ مدرسة الارسالية الكاثوليكية الفرنسسكانية للبنين .	٤٧	—	٤٧	—
	٢ ـ مدرسة الارسالية الكاثوليكية الفرنسسكانية للبنات .	—	٥٠	٥٠	—
	المجموع	١٣٠٨	١٢٨١	٢٥٨٩	٥٦

وبمناقشة الاحصائية السابقة تتضح لنا الحقائق التالية :

أولا : هذه الاحصائية تشمل المدارس الحكومية ـ أى المدارس التى تشرف عليها الحكومة الايطالية ـ كما تشمل مدارس الارساليات التبشيرية .

ثانيا : عدد التلاميذ لا يزيد عن عدد التلميذات الا بمقدار بسيط مما يؤكد الاهتمام بتعليم البنت على قدم المساواة مع الولد .

ثالثا : بمقارنة أعداد المعلمين بالمدارس المختلفة يتبين أنه لايوجد تناسب بين عدد التلاميذ وعدد المعلمين فعدد المعلمين أقل مما يلزم لاعداد التلاميذ .

رابعا : غير مسجل بالاحصائية عدد المعلمين العاملين بمدارس الارساليات التبشيرية الكاثوليكية وذلك لأن القسس ـ الرهبان والراهبات ـ يتولون عملية التعليم فى هذه المدارس .

خامسا: يتبين من الاحصائية أن عدد التلاميذ تفصيليا على النحو الآتى :

أ) المدارس الحكومية :

١ ـ التلاميذ ٩١٥ تلميذا .

٢ ـ التلميذات ٦٣٩ تلميذة .

ب) مدارس الارساليات الكاثوليكية :

١ ـ البنون ٣٩٣ تلميذا .

٢ ـ البنات ٦٤٢ تلميذة .

ومن ذلك يتبين أن مدارس الارساليات كانت تستوعب أعدادا من البنات أكثر من أعداد البنين وذلك بما تنشئه تلك المدارس من أقسام لتدريب البنات على اكتساب مهنة أو المعيشة فى كنف هذه المدارس فى دار الأيتام أو غيرها من دور العبادة .

سادسا : وجود مدارس لتعليم الكبار فى الاحصائية لايدل على رغبة حقيقية فى تعليم الأميين من الليبيين ولكن هـذه السياسة مظهر خارجى القصد منه النفاذ الى كسب مودة الليبيين والتأثير فيهم .

الفصل الثالث

المدارس الوطنية الحديثة في العصر العثماني

- المدارس الابتـدائية .
- المدارس الرشـدية .
- المدارس الاعـدادية .
- التعليم الفنى والمهنى :

  ١ - مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية .
  ٢ - المدرسة الزراعية .
  ٣ - دار المعلمـين .
- مؤسسات تعليمية اخرى .
- تعليم البنـات .
- التعليم العـالى .
- الاشراف على التعليم .

المدارس "الوطنية" الحديثة في العصر العثماني

نطلق هذا التعبير ــ تعبير المدارس الوطنية ــ على المدارس التى يلتحق بها أبناء الليبيين والتى أنشئت فى العهد العثمانى وسميت باسم المدرسة ، اذ المعروف أن التعليم الحديث لم يعرف طريقه الى ليبيــا ــ بل ولا الى كثير من الولايات العثمانية ــ الا فى أواخر القرن التاسع عشر .

وكما سبق القول فان المدارس المدنية غير العسكرية التى أنشئت فى مقر الخلافة والسلطنة العثمانية وفى الولايات كان الهــدف من انشائها تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مختلف مصالح الدولة . وقد اقتصر انشــاء المدارس فى الولايات ــ ومنها بالطبع ليبيــا ــ على المدارس الابتــدائية والرشدية والاعدادية بينما حرمت من المدارس العليــا التى وجدت فقط وبصفة خاصة فى مقر السلطنة .

وفى العقد الأخير من القرن التاسع عشر أصبحت تشكيلات المدارس المدنية ــ الملكية ــ على النحو الآتى :

١ ــ مدارس ابتدائية : ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

٢ ــ مدارس رشدية : ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات أيضا .

٣ ــ مدارس اعدادية : ومدة الدراسة بها خمس سنوات .

٤ ــ وجدت مدارس زراعية وصناعية ودور المعلمين .

٥ ــ أنشئت فى مقر السلطنة المدارس العليا الآتية : مدرسة الطب ، مدرسة الحقوق ، مدرسة الادارةوالسياسة ــ المعروفة باسم المدرسة الملكية الشاهانية ــ مدرسة القضاة ، مدرسة التجارة العليا ، مدرسة الزراعة العليا ، دار المعلمين العليا ، مدرسة البيطرة ، مدرسة الهندسة ، مدرسة الصنائع النفيسة (الفنون الجميلة) .

وبالنسبة للتعليم فى ليبيا ، فقد وجدت مدارس ابتدائية ومدارس رشدية ومدارس اعدادية ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى سنة ١٩٠١ حينما أنشئت دار للمعلمين وعام ١٩٠٩ أنشئت مدرسة زراعية بينما حرمت ليبيا من التعليم العالى • وسنناقش كل مرحلة ونوع من هذه المراحل والأنواع •

المدارس الابتدائية :

كان انشاء هذه المدارس بجهود شعبية خيرية من تبرعات الأهالى الراغبين فى تعليم أبنائهم على « الأصول الجديدة التى ثبتت محاسنها لدى التجربة ـ كما هو جار فى دار السعادة ، واستخدموا من طرفهم معلمين مستعدين وجلبوا من دار السعادة ـ الآستانة ـ كتب ورسائل مفيدة ، وأنشأوا مكاتب ـ مدارس ـ ابتدائية جديدة » (١) •

وكانت هذه المدارس تتكون من ثلاثة صفوف بمعنى أن مدة الدراسة بها ثلاث سنوات يدرس فيها التلاميذ « اللغة العربية ، واللغة التركية ، والدين الاسلامى ، والتاريخ التركى ، والرياضيات ، والجغرافيا » (٢) • وكانت هذه المدارس تحت اشراف ادارة الولاية

التى لم تكن تتحمل أية نفقات ، وكان على كل مدينة أو ناحية فى أنحاء ليبيا ترغب فى انشاء مدرسة لتعليم أبنائها أن تجمع التبرعات ويقام المبنى ثم يرفع الأهالى طلبا للوالى ليأذن بفتح المدرسة مع تعهدهم بدفع راتب المعلم الذى يختاره الوالى للقيام بهذه المهمة ، ويقام احتفال لافتتاح هذه المدرسة • وقد حفلت جريدة طرابلس الغرب ، وهى جريدة الولاية الرسمية بأخبار افتتاح المدارس ـ المكاتب ـ الابتدائية ، وهى تستحث الأهالى على فتح المدارس من أموالهم « ترقية للمعارف التى هى روح

---

(١) جريدة طرابلس الغرب ـ العدد ٤٦٣ السنة ١٣ ـ ١ فبراير ١٨٨١ م.
(٢) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 9.

الدولة والملـة ، ونرغب من الملحقات الأخرى أيضا أن تقدر قدر المعارف ولزومها فتنتبه لهـا » (١) .

ولم يكن عدد هذه المدارس كثيرا فى البداية اذ اقتصر على مـدن طرابلس وبنغازى ولكن بعد أن تم انقلاب الدستور عام ١٩٠٨ وأخذت الحكومة العثمانية تقـدم على اصلاحات سريعة وضعت تنظيمات وكانت هذه التنظيمات متأثرة بنظم التعليم المتبعة فى فرنسا ، ووضعت تعليمات تتبع فى مراحل التعليم المختلفة تنظم قبول التلاميـذ وتحدد مواصفات المعلمين ومسئولياتهم والمكافآت المقررة لهم والجزاءات المفروضة عليهم والتدابير الصحية اللازمة .

ونسجل فيما يلى شروط العمل والدراسة بالمدارس الابتدائية صادرة عن نظارة المعارف بمقر السلطنة على أن تطبق فى جميع ولايات الدولة العثمانية ، وهذه الشروط صادرة باللغة التركية عام ١٩٠٨|١٣٢٧ هـ (٢)

مادة (١) يقبل التلاميذ من سن ٧ — ١١ سنة ويمكن الاستثناء لمدة ٣ سنوات فى القرى المحرومة من المدارس .

مادة (٢) اذا لم يكن المعلم — الذى يقـوم بالتدريس فى المدرسـة الابتدائية — حاصلا على شـهادة دار المعلمين الابتدائيـة وعنده كفاءة يصير اختباره من قبل لجنة من مدرسى المدارس (الثانوية) الاعـدادية ، فاذا ثبتت أهليتـه لهـذا العمل يتم تعيينه .

مادة (٣) يتحمل المعلم مسئولية تربية تلاميذه متعاونا مع زملائه .

مادة (٤) المعلمون الذين يتم تعيينهم بالمدارس الابتدائية يجب أن يحملوا شهادة دار المعلمين أو شهادة الكفاءة مع شهادة حسن الحال (سير وسلوك) .

مادة (٥) يربى المعلمون تلاميذهم على الطاعـة لأولى الأمر والوالدين والمعلمين والكبار ، ومواطنيهم من بنى جنسهم وأن يحببوهم

---

(١) جريدة طرابلس الغرب : العدد ١٣٣٧ السنة ٤٠ ، ٢٦ سبتمبر ١٩١٠م
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : (وثيقة تركية) المعارف .

فى الوطن وفى زملائهم وأن ينهوهم عن الاساءة الى بعضهم البعض ولا يختلطوا مع غير الصالحين من الناس • وهـذا بقصد حصول سعادة الوطن متى تحلوا بحسن الأخلاق ، ولذلك يجب على المعلمين اعطاء تلاميذهم دروسا فى الأخلاق عدة مرات كل أسبوع واعطائهم أيضا العلم والمعرفة لمنافـع الدنيا والآخرة ، وأن يوضح لهم فضل العلم وضرر الجهل وأن يتم كل ذلك بشكل وطريقة تناسب عقول التلاميذ •

مادة (٦) المدرسة ليست بمنزل سكن ولهذا يمنع النوم فيها •

مادة (٧) المعلمون مسئولون عن المبنى المدرسى ، واذا حدث تصـدع بالمبنى عليهم اخبار المسئولين قبل أن يزيد الخطر •

مادة (٨) على المعلم ألا يعطى تلاميذه دروسا خارج المنهج المقرر ولا أكثر مما يطيقونه ••

مادة (٩) كل مدرسة تعلق على بابها الخارجى لوحة عليها اسم المدرسة بخط واضح •

مادة (١٠) يحافظ المعلم على الوقت المحدد للتدريس ، عند الحضـور والانصراف •

مادة (١١) يحضر المعلمون الى المدرسة كل يوم باستثناء أيام العطلات قبـل التلاميذ ويخرجون بعـد آخر تلميذ ، واذا لم يكن هناك عذر قهرى لا يترك المعلم المدرسة ولا يقابل أصدقاءه أثناء العمل ••

مادة (١٢) لا يجوز للمعلمين والمستخدمين ترك مقـر العمـل لزيـارة الأقارب ، أو « تبـديل الهواء » الا بعـد الحصول على ترخيص بذلك من مدير المعارف •

مادة (١٣) غير مسموح للمعلم الاشتغال بالتجارة أو غـير ذلك خارج المدرسة ، ومسموح له فقط بالاشتراك فى الانتخاب •

مادة (١٤) يجب على المعلمين أن يتواجدوا فى فصول الدراسة قبل بدء الحصة وألا يغادروا الفصول قبـل انتهاء الدرس وعليهـم الاشراف على التلاميذ أثناء الاستراحة •

مادة (١٥) على المعلمين والمستخدمين فى المدرسة ألا يخالطوا التلاميذ فى غير الأمور التى تخص وظائفهم ولا يقوموا بحركات غير لائقة وأن لا يدخنوا داخل الفصول ، وألا ينحى المعلم الجاكتة والكرافتة بل لابد من اللباس الكامل .

مادة (١٦) كل مدرسة يوجد بها سبع سجلات : الأول للأشياء الثابتة الدائمة مثل مصاحف القرآن الكريم ، الخرائط ، المقاعد المفروشات ، الأدوات العلمية ، والثانى دفتر تسجيل التلاميذ وبه معلومات عن كل تلميذ . والسجل الثالث لتسجيل الغياب وترسل خلاصة الغياب (حضور وغياب) الى مدير المعارف كل شهر. والسجل الرابع لتسجيل مصادر الواردات والمصروفات الخاصة بالمدرسة . والسجل الخامس مسودة لتسجيل صور الرسائل وتاريخها ورقمها . والسجل السادس يسجل فيه المفتش ملاحظاته وتوجيهاته . والسجل السابع سجل صحى للتلاميذ .

مادة (١٧) يبعث المعلمون كل ثلاثة شهور تقريرا ضافيا عن أحوال المدرسة عموما — الى مدير المعارف — وفى آخر العام الدراسى تملأ الجداول بالاحصائيات المطلوبة وترسل .

مادة (١٨) فى المدن والقصبات (وهى القرى الكبيرة أو المدن الصغيرة) اذا كانت مدارس الاناث قريبة من مدارس البنين يمنع اختلاط الجنسين حتى فى وقت الراحة ، ويجب أن يكون لكل جنس مدرسة وفى القرى يكون للمدرسة مدخلان أحدهما للبنين والآخر للبنات .

مادة (١٩) يحافظ المعلم على حسن المعاملة والمساواة بين تلاميذه ولا يفرق بينهم فى المعاملة .

مادة (٢٠) ممنوع قطعيا لأى سبب من الأسباب ضرب التلاميذ أو تعذيبهم جسميا وألا يلجأ المعلم للغضب الزائد عن الحد وألا يستخدم الألفاظ غير اللائقة وألا يلجأ لتكدير التلاميذ وكل معلم يقوم بذلك يرسل للمحاكم .

مادة (٢١) غير مصرح للمعلم ترك المدرسة فى أوقات العمل لقضاء مصالح شخصية .

مادة (٢٢) يمنع وضع أشياء التخويف وآلات الضرب مثل تابوت الموتى والفلقة والعصى فى المدرسة ولو كان للتخويف .

مادة (٢٣) لا يقبل بالمدرسة من تعدى السن القانونية .

مادة (٢٤) التلاميذ الذين يقبلون بالمدارس يجب ألا يكونوا مصابين بأمراض معدية وأن يكون معهم بطاقات تلقيح ضد الجدرى معتمدة من طبيب ومعهم تذكرة عثمانية (شهادة الميلاد) ثم يقيدوا فى سجل المدرسة .

مادة (٢٥) عند انتقال التلميذ من مدرسة الى أخرى أثناء العام الدراسى يعطى علم وخبر (شهادة) يفيد بالصف والدرجات .. الخ

مادة (٢٦) على التلاميذ المقيدين فى المدرسة مداومة الحضور والسعى للتحصيل .

مادة (٢٧) يمنع على التلاميذ أن يكون معهم آلات جارحة مثل السكاكين أو سجاير أو ملعوبات .

مكافآت وجزاءات

مادة (٢٨) العقاب البدنى البسيط مسموح به كالوقوف على الأرجل أو التكليف بواجبات مدرسية ، وينذر التلاميذ باخطار ثم توبيخ أو حضورهم يوم الجمعة الى المدرسة لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات لقراءة دروسهم تحت اشراف أحد المعلمين .

مادة (٢٩) يرسل انذار لكل من يهمل أو يعمل ما يضحك التلاميذ ويكررها .

مادة (٣٠) يوبخ التلاميذ الذين لا يحترمون المعلمين ومستخدمي المدرسة أما الذين يسبون أو يضربون زملاءهم فى المدرسة فيحرمون من أجازة يوم الجمعة ويحرمون من مكافآت التشجيع التى حصلوا عليها قبلا وهى عبارة عن شهادات ورقية مكتوبة بثلاث درجات : عفارم — تحسين — امتياز ، وتعطى

للتلاميذ فى المواد والسلوك ، أو يمحى اسمه من لوحة الافتخار (الشرف) .

مادة (٣١) عند وقوع جريمة بين التلاميذ يبلغ المعلم الأمر فى الحال لولى الأمر ومجلس التدريس والشرطة .

مادة (٣٢) الاخطار أو الانذار عبارة عن نصيحة بعدم التكرار ، والتوبيخ بتعديد السيئات وتذنيب التلميذ بوقوفه على رجليه ، وحرمانه من أجازة يوم الجمعة بأن يكتب ساعتين فى المدرسة يوم الجمعة من ٧٫٣٠ — ٩٫٣٠ .

مادة (٣٣) فى الامتحان النهائى من يمرض من التلاميذ أو يكون لديه عذر مقبول ولم يحضر الامتحان كله أو قسما منه عليه مراجعة المدرسة حتى بعد شهر لاجراء امتحان خاص له .

مادة (٣٤) التلميذ الذى يتغيب بلا عذر ٣ أيام فى الشهر والذى لا يتمم الواجبات المدرسية والذى هو دائما مختلف مع زملائه والذى لا يحافظ على نظافة ملابسه وكتبه ، ترد منه كل المكافآت ، ويحرم منها ..

مادة (٣٥) كل تلميذ مداوم على الحضور ومجتهد ومتعاون مع زملائه يعطى شهادة عفارم أو تحسين أو امتياز .. وكل ٤ عفارم = تحسين ، وكل ٢ تحسين = امتياز ، وكل ٢ امتياز تؤهله لكتابة اسمه فى لوحة الافتخار وهذه الشهادات مطبوعة ، أما لوحة الافتخار فتوضع فى مكان مناسب من المدرسة ويكتب عليها أسماء المستحقين بخط واضح .

تدابير صحية

لا تباع فواكه أو دندرمه أو ماء مبرد بالثلج فى المدارس ، ويسمح للتلاميذ بالتنزه فى الأيام التى يكون هواؤها جيدا تحت اشراف المعلم ، وتكنس المدرسة وتنظف كل يوم وتفتح نوافذ الفصل لتغيير الهواء ويعلم التلاميذ عادة عدم البصق على الأرض والتلاميذ الذين يصابون بأمراض معدية يرسلون الى منازلهم ولا يعودون للمدرسة الا بعد انتهاء العدوى

ويمنع اخوته أيضا من دخول المدرسة ويرسل التلميذ الى منزله مع أحد بوابى المدرسة ويعطى علم (رسالة) لطبيب البلدية •

وظائف البوابين

يقومون بأعمال النظافة واشعال المدفأة ولا يسمح البواب لأحد بدخول المدرسة الا لمن كان يعمل بها أو من ادارة المعارف •

مادة أخيرة : المعلمون مجبرون لتنفيذ هذه المواد جميعها لأن المفتش عند زيارته للمدرسة فى وقت معين أو مفاجىء يسائل المعلم ويعاتبه على اهمال أى ناحية •

وكانت هذه التعليمات احدى التنظيمات التى لجأت اليها الحكومة العثمانية فى مجال التعليم ، ولم تستطع هذه التعليمات ولا التنظيمات التعليمية الأخرى أن تعيش طويلا فى ليبيا ، اذ أن الاحتلال الايطالى للأراضى الليبية الذى جرى عام ١٩١١ أى بعد ٣ سنوات من بداية النهضة التعليمية فى ولايات الدولة العثمانية ، قد أوقف أو جمد كل نشاط تعليمى تقريبا ••

وبالنسبة للمدارس الابتدائية فقد كانت مدة الدراسة بها ٣ سنوات، الا أنه كان يوجد صف احتياطى يسبق هذه السنوات الثلاث مهمة هذا الصف الاحتياطى هى تهيئة التلاميذ للانتظام فى الصف الأول بالمدرسة الابتدائية ، أى أنه بمثابة مدرسة من صف واحد لسنة دراسية واحدة أو مدرسة روضة أطفال يسبق المدرسة الابتدائية •

وفيما يلى خطط الدراسة بالمدارس الابتدائية مؤرخة فى العام الدراسى ١٣٢٥ ـ ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٧/١٩٠٨ م (١) •

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : (المعارف) .

خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين :

المـواد	الصف الاحتياطى	الصف الاول	الصف الثـانى	الصف الثـالث
ألف باء	١٢	—	—	—
حســاب	٦	٣	٣	٢
حسن خط	٦	١	١	١
قرآن كريم	—	٦	٥	٦
علم حال (دين)	—	٣	٣	٢
قــراءة	—	٦	٤	٣
امـــلاء	—	٥	٣	٢
تجويد	—	—	٢	—
تاريخ	—	—	٢	٢
جغرافيــا	—	—	١	١
مختصر صرف ونحو	—	—	—	٣
معلومات مدنية واخلاقيــة	—	—	—	١
معلومات فنيــة وصحيــة	—	—	—	١
المجمــوع	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤

خـطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنــات :

المـــواد	الصـف الاحتياطى	الصـف الأول	الصـف الثانى	الصـف الثالث
ألف بـاء	١٢	—	—	—
حسـاب	٦	٣	٣	٢
حسن خـط	٦	١	١	١
أعمـال يدوية	٢	٢	٢	٢
قـرآن كريم	—	٦	٥	٦
عـلم حال « دين »	—	٣	٣	٢
قـراءة	—	٦	٤	٣
امـــلاء	—	٥	٣	٢
تجـويد	—	—	٢	—
تـاريخ	—	—	٢	٢
جغرافيـا	—	—	١	١
مختصر صرف ونحو	—	—	—	٣
معلومات مدنية وأخلاقية	—	—	—	١
معلومات فنية وصحية	—	—	—	١
المجمـوع	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦

ويلاحظ أن المدرسة التى لا يتوافر بها حجرة للصف الاحتياطى يعلم تلاميذها ألف باء والحساب الذهنى والكتـابة والأعمال اليدوية لمـدة خمسة شهور ثم يدخلون الصف الأول ، أما اذا توفرت حجرة يدخـل تلاميذ الصف الاحتياطى المدرسة وينتظمون طول العام .

كما أنه بالنسبة لمدارس البنات يتعلمن خارج ساعات الدروس المقررة الموسيقى ، وينشدن يوميا لمدة ربع ساعة قبل انصرافهن أناشيد وطنية ودينيـة ملحنـة .

المدارس الرشـدية :

كان هذا النوع من المدارس الحديثة فى العهد العثمانى بليبيا مرحلة تعليمية ثانية بعد المدارس الابتدائية . وكانت أول مدرسة من هذا النوع تأسست عام ١٨٥٧ م / ١٢٧٤ هـ فى عهد ولاية الوالى العثمانى أحمـد عزت باشا الأولى . وقد أسس من هـذا النوع الرشدى « مدرستان : واحـدة فى طرابلس والأخرى فى بنغازى » (١) وكانت هـذه المدرسة عسكرية .

وهـذه المدارس الرشدية بدأت أولا عسكرية ثم أنشئت مدارس رشدية مدنية « ملكية » وهى تقبل التلاميذ من سن ٨ الى ١٢ سنة . أى أنها توازى السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية الحالية وأوائل الاعدادية حيث يكون التلميذ قد رشد أى وعى عملية التعليم التى يخضع لها ، ومن ثم يصير توجيهه التوجيه السليم .

وكانت المدارس الرشدية العسكرية تابعة للقيادة العسكرية فى مركز الولاية ـــ مدينة طرابلس ـــ وكل معلميها من ضباط حامية الولاية . وبعض الطلاب يقيمون بالمدارس ــ قسم داخلى ــ والبعض الآخر تلاميذ خارجيون أى يقيمون مع ذويهم فى منازلهم .

---

(١) دار المحفوظات التاريخية : طرابلس (المعارف) .

وشروط دخول المدارس الرشدية العسكرية كما يلى :

مادة (١) اتمام الدراسة بالمدارس — المكاتب — الابتدائية •

مادة (٢) التلاميذ الذين يقبلون بالقسم الداخلى يكونون من العرب فقط من ملحقات الولاية ومن أهالى بنغازى وأن يكون عمرهم من ٨ الى ١٢ سنة عند قبولهم •

مادة (٣) يصير قبول التلاميذ بالقسم الداخلى بالمدرسة بعد موافقة الأبوين وبعلم الأب وأن يكون الأب فى قبيلته من أصحاب الشرف والحيثية وأن يكون التلميذ حسن الأخلاق ويثبت ذلك بشهادة من مجلس ادارة القضاء أو المتصرفية المقيم فيها •

مادة (٤) أن يكون التلميذ حافظا وقارئا للقرآن الكريم ودارسا بكفاءة للقراءة والكتابة •

مادة (٥) التلاميذ الراغبون فى الالتحاق بهذه المدرسة عليهم مراجعة ادارة المدرسة اعتبارا من أول شهر شوال الى آخر شهر ذى القعدة •

مادة (٦) التلاميذ الذين تنطبق عليهم الشروط ، اذا كانوا منتظمين بالمدارس الرشدية المدنية ويرغبون الالتحاق بالمدرسة الرشدية العسكرية وكانوا يعرفون القراءة والكتابة والكلام باللغة التركية يجرى لهم اختبار شخصى من طرف لجنة للتحقق من تركيتهم واذا تبينت لياقتهم يمكن القبول حتى عمر ١٤ سنة •

مادة (٧) التلاميذ المقبولون لابد أن يكون معهم تقرير طبى بخلوهم من الأمراض •

مادة (٨) التلميذ الذى يقيم بالقسم الداخلى ويرسب عامين ينضم للجندية لمدة ٤ سنوات فيحرم من أن يصبح ضابطا ويصير

جنديا كعقاب له على رسوبه » (١) .

وكان خريجو المدرسة الرشدية العسكرية بطرابلس يذهبون — بعد انتهاء مدة دراستهم بنجاح فى طرابلس — الى استانبول للالتحاق بالمدرسة العسكرية الشاهانية . وكان التلميذ فى هذه المدرسة الرشدية العسكرية بطرابلس يتقاضى مكافأة سنوية ومدة الدراسة بهذه المدرسة ٣ سنوات .

وكانت خطة الدراسة بهذه المدرسة الرشدية العسكرية كما يلى :

يدرس تلاميذ الصف الأول الموضوعات الآتيــة :

« صرف عــربى

قواعــد فــارسى

امــــلاء تــركى

لغـــة فرنسـية

حسن خط فرنسى

حسن خط تــركى

تاريخ الاســـلام

الرسم بالقلم الرصاص

ويدرس تلاميذ الصف الثانى المواد التالية :

نحـــو عـــربى

حســـــــــاب

مختصر الجغرافيـا

أدب

لغـــة فرنسـية

تاريخ الاســـلام

امــــــــــلاء

حسن خط تــركى

حسن خط فرنساوى

---

(١) دار المحفوظات التاريخية — طرابلس : (المعارف) .

رسم بالقلم الأسود
ويدرس تلاميذ الصف الثالث المواد الآتيــة :

نحــــو عـــــربى
مكمــل حســـــاب
أصول مسك الدفاتر
مختصر الهندســـــة
جغرافيـــا عمـــومى
نحـــــو عثمـــــانى
قواعــــد عثمـــانى
فرنســــــــــــاوى
تاريــخ الاســــلام
امـــــلاء تـــــركى
رســــــــــــــم
أدب
حسن خط فرنسى
عقــائد » (١) •

وهذه الموضوعات أو المواد توضح تأثير التنظيم التعليمى الفرنسى فى التعليم العثمانى ، كما توضح رغبة الحكم العثمانى فى عثمنة الولايات التى يحكمها • فقد امتــلأت الدروس باللغة التركية من نحـــو وقواعد واملاء وخط تركى ، وهكذا دائما شأن المسيطرين على مقدرات الشعوب يفرضون لغتهم وثقافتهم حتى يضمنوا ولاءهم لسيطرة الحكم •

كما أن شروط الدخول لهذه المدارس يسير على نفس النمط وذلك باختبار التلاميذ المتقدمين للتحقق من معرفتهم للغـــة التركية مما يصبح على كل تلميذ يرغب دخول هذه المدارس أن يجيد اللغة التركية قــراءة وكتابة وحديثا ، كما أن هذه المدارس لا تقبل الا تلاميذا من مستوى

---

(١) دار المحفوظات التاريخية ـ طرابلس (المعارف) .

اجتماعى واقتصادى مرتفع ولا تقبل أبناء الشعب الليبى العربى دون استثناء ثم لكى تضمن ولاء هؤلاء التلاميذ الذين سيصيرون ضباطا كانت سلطات الحكم تشجعهم على استكمال دراستهم بالمدرسة العسكرية الشاهانية باستانبول •

أما المدارس الرشدية المدنية « الملكية » فقد تأسست فى ليبيا كما تأسست فى غيرها من ولايات الدولة العثمانية ، استجابة للحاجة الماسة الى اتباع منهج تعليمى جديد يتفق وروح العصر والالمام ببعض العلوم العصرية التى لم تكن المعاهد القديمة تعنى بها ، ثم تعليم اللغة التركية التى كانت لغة الادارة فى تلك البلاد ، وقد أنشىء من هذا النوع خمس مدارس فقط فى كل الأراضى الليبية واحدة فى طرابلس والثانية فى مدينة الخمس ، والثالثة فى مدينة بنغازى والرابعة فى درنة ، أما الخامسة فكانت « بمركز عاصمة فزان وهى مدينة مرزق ، والتى كان يقوم بالتعليم فيها مدرس من بلدة ديمتوقة من بلاد الأناضول معين من قبل نظارة المعارف بالآستانة بمعاش شهرى قدره ١٥٠٠ قرش ، وقد تم انشاء مدرسة مرزق هذه عام ١٨٧٧ م / ١٢٩٤ هـ » (١) •

وكانت لغة التعليم فى هذه المدارس اللغة التركية ، كما كان معلموها أيضا ، من العثمانيين ومن أجل هذا — الى جانب بعد البلاد الليبية عن مركز الدولة — كان التعليم فيها مضطربا ، لايكاد يمضى حتى ينقطع ويتوقف لأن المعلم — كما ذكرت كان تركيا « له معاونون يحضر من الآستانة فيظل يؤدى واجبه عامين أو ثلاثة ، ثم يعود بعدها الى بلاده فيتبطل بذهابه التعليم بالمدرسة وتكاد هذه تظل مغلقة تماما ، حتى يأتى من الآستانة معلم آخر وهكذا » (٢) •

وكانت هذه المدارس تعد طلابها ليشغلوا وظائف الدولة الادارية وعندما يؤدى الطلبة الامتحانات فى نهاية سنوات الدراسة بهذه المدارس

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •
(٢) د. محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولةليبيا الحديثة جـ ١ مجلد ثان ص٣٩٨

فانه تحق « لهم الاجازة والشهادة بأيديهم الى الأقلام والمكاتب السلطانية — دواين الحكومة — ويصلون بذلك الى الرفعة والرفاهية وينالون رأس مال التربية والسعادة » (١) .

وكان بعض هؤلاء الطلاب — الذين يتخرجون من المدارس الرشدية المدنية — يستكمل تعليمه فى الآستانة فى مدرسة خاصة أنشأها السلطان عبد الحميد يتلقى فيها أبناء الأسر الكبيرة فى بلاد الدولة تعليمهم العالى وكانت تسمى مدرسة العشائر وكانت مدرسة العشائر هذه تعد طلابها لتولى بعض المناصب العسكرية أو المدنية .

وكان منهج الدراسة بهذه المدارس الرشدية المدنية شبيها كل الشبه بمثيلتها العسكرية من حيث تعليم اللغة التركية التى كان التعليم يجرى بها بوجه عام ، وقواعد اللغة العربية التى كانت تدرس فقط لأنها كانت من ضمن القواعد المستعملة فى اللغة التركية ، فكان لابد من معرفتها لفهم الأدب التركى واتقان الانشاء باللغة التركية ، وكانت هذه الحالة تحول دون استفادة أبناء الشعب عامة من هذا النوع من التعليم استفادة كبيرة لأن الانتساب اليها كان ينحصر تقريبا — لهذا السبب — فى أولاد الموظفين من جهة وفى أولاد الأعيان الذين يتصلون بالحكم اتصالا وثيقا من جهة أخرى .

وقد تم انشاء أول مدرسة رشدية للبنات بطرابلس فى عام ١٨٩٨ م ، وتفيدنا رسالة موجهة من والى ولاية طرابلس الى قائد الفرقة العسكرية فى ٢٤ صفر سنة ١٣١٦ هـ الموافق أول يوليو سنة ١٨٩٨ م يقول فيها « بما أن فيه أمر قطعى من الارادة السنية بعدم دوام الأطفال المسلمين فى المدارس الأفرنجية ولقد علمنا أن بعض الأمراء العسكرية يبعثوا بناتهم للمدارس الأفرنجية وفى ظل حضرة الخليفة جعلنا فى مركز الولاية

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (رسالة من ناظر المعارف باستانبول الى ولاية طرابلس فى شوال ١٢٨٤ هـ — ١٨٦٧ م) المعارف .

مدرسة للبنات رشدى حديثة وأحضرنا لهم معلمات مقتدرات من استانبول ، ولذلك لم يكن هناك عذر لهؤلاء الآباء • أرجو تنبيه الأمراء بهذا الخصوص » (١) •

وتدل هذه الرسالة أن المدرسة لم تكن لتعليم بنات الشعب العربى فى ليبيا بل كانت لتعليم بنات الضباط الأتراك العاملين بالقوة العسكرية العثمانية بولاية طرابلس ، وكان عدد البنات الليبيات اللاتى تلقين التعليم بهذه المدرسة قليلا لايكاد يذكر ، وكان قاصرا على بنات الموظفين أو أعيان طرابلس والذين يتصلون بادارة الولاية •

وكانت المواد التى تدرس فى هذه المدرسة الرشدية هى : (٢)

القرآن الكريم والتجويد
علوم الدين
الأخلاق
التاريخ
حفظ الصحة
الهندسة
الادارة المنزلية
حسن الخط
عربى
جغرافيا
رسم
حساب
كتابة
فارسى
املاء وقراءة

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •

قواعد تركيـــة
نقش وخياطـــة

وكانت مدرسة البنات الرشدية الموجودة بكل من طرابلس وبنغازى تكون مع المدرسة الابتدائية للبنات مدرسة واحدة تدخل التلميذة هذه المدرسة الموحدة وتقضى فيهـا ٧ سنوات دراسية • صف احتياطى ، وثلاثة صفوف ابتدائى وثلاثة صفوف رشدى « وكان عـدد تلميذات مدرسة البنات بطرابلس عام ١٩٠٨/١٩٠٩ م ٥٤ تلميذة » (١) •

وقد حاول الحكم العثمانى فى أواخر أيامه بليبيا انشاء بعض المدارس الرشدية والابتدائية فوضع مشروعا بانشاء ٥٨ مدرسة وذلك عام ١٩١١م كان من بينها « مدرسة رشدية بمدينة مصراته عين لها معلم ثان من قبل نظارة المعارف باستانبول » (٢) وذلك فى ١٨ رمضان ١٣٢٩ هـ الموافق سبتمبر ١٩١١ م أى قبل دخول الطليان طرابلس الذى تم فى شوال من نفس السنة الهجرية أى بعد أقل من شهر •

وتعبير معلم ثان الذى ورد فى هذه الوثيقة يفيد أن لكل مدرســة كبيرة معلما أول هو القائم بعمل مدير أو ناظر لهذه المدرسة ، أما المعلم الثانى فهو المعلم الذى يتولى التدريس لفصل من فصـــول المدرسة أى بعبارة أخرى هو « معلم الفصل »• وكلا الاثنين المعلم الأول والمعلم الثانى يتم تعيينهما من قبل نظارة المعارف بمقر السلطنة وهى استانبول •

المدارس الاعدادية :

كان انشاء هذا النوع من المدارس استكمالا لمراحل التعليم فى أنحاء الدولة العثمانية ، وهذه المدارس لا توازى المدارس الاعــدادية فى وقتنا الحاضر بل انها توازى تقريبا المدارس الثانوية فى سلم التعليم الحــالى لأنها تستقبل تلاميذها من خريجى المدارس الرشدية •

(١) دا رالمحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •

وكانت أول مدرســة من النوع الاعدادى أنشئت فى طرابلس هى المدرسة التى أشار اليها ناظـر المعـارف باستانبول فى رسالته الى والى طرابلس فى رسالة له مؤرخة فى شهر شوال ١٢٨٤ هـ الموافق عام ١٨٦٧م والتى جاء فيها « وفيما هو الواقع اجـراه من طرف النظارة العموميـة الجليلة لأجل المكاتب ـــ المدارس ـــ الاعدادية التى أعطى القرار فى تأسيسها مجردا بلا كسل فهى تكون نعمة جليلةفىحقأطفال الأهالى » (١).

وكان التلاميذ الذين يستكملون الدراسة بالمدرسة الرشدية ويرغبون فى الاستزادة من التعليم يمكنهم الالتحاق بهذه المدرسة الاعدادية ويكون هؤلاء التلاميذ « الخارجين من مكاتبهم ـــ مدارسهم ـــ الرشدية قد طالعوا الدروس التى يصير تدريسها بمكاتب ـــ مدارس ـــ الرشدية ومن ثم يكون أخذهم لدائرة الانتظام فى هذه المدارس الاعدادية » (٢) .

كانت المدرسة الاعدادية تتكون من أربعة صفوف يقضى التـلاميذ « فيها ٤ سنوات دراسية يدرسون أثناءها اللغات الفرنسية والفارسـية الى جانب المواد التى تدرس بالمدارس الرشدية » (٣) وانما بتوسع وأكثر تفصيلا وهى المواد التى تعتمد أساسا على اللغة التركية واللغة العربيـة كمادة مساعدة لهـا .

ولم تكن هذه المدرسة الاعدادية الوحيدة بطرابلس تقبل كل أبناء الشعب بل كانت تقبل فقط أبناء الضباط الأتراك وأبناء الأعيان الذين كان آباؤهم يرغبون من وراء تعليم أبنائهم الى هـذا المستوى ازدياد الالتصاق بالوالى ورجال الادارة والحكم والحامية الأتراك فى ليبيا .

وفى عام ١٩٠٩ م زيدت سنوات الدراسة بالمدارس الاعدادية المنشأة فى الدولة العثمانية سنة أخرى فأصبحت مدة الدراسة خمس سنوات ، وقد استتبع ذلك تكليف لجنـة تربوية من نظارة المعـارف العموميـة باستانبول بوضع خـطة دراسية لهذه المدارس (٤) وهى كما يلى بعـد اجراء بعض التعديلات : ـــ

---

(١) ، (٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(3) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 9.
(٤) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

المـــواد	الصف الاول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
١) قرآن كريم وتجويد	٢	٢	١	–	–
٢) علوم دينية (فقه)	٢	٢	٢	١	١
٣) حســـاب	٣	٢	١	٢	٢
٤) هندســـة	–	١	٢	١	٢
٥) علم أشـــيا	٣	٣	١	٢	٢
٦) معلومات فنية (تاريخ طبيعى)	–	–	٢ حكمة طبيعية	٢	١ (كهرباء)
٧) معلومات (حفظ الصحة)	–	–	–	–	١
٨) جغرافيـــا	٢(عامة – العالم)	٢ ممالك عثمانية	٢رياضيةوطبيعية	٢بشرية وطبيعية	٢ ممالك عثمانية مفصلة خاصـة الاقتصادية
٩) تاريـــخ	٢ـ الانبياء من آدم والاســلام)	٢ (العثمانيون مختصر)	٢عمومى – أهمية التاريخ)	٢عمومى – اسلامى (السلاجقة صليبيين)	٢ (عمومى – معاصر)
١٠) لغـة عربيـة	٢ صرف	٢ صرف	٢ صرف	١ نحـو	١ نحـو
١١) لغـة تركيـة	٥	٥	٤	٣	٢
١٢) لغـة فرنسية	١	٢	٢	٤	٤
١٣) معلومات مدنيـة	١	١	١	١	–

المـــواد	الصف الاول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
١٤) معلومات اقتصادية	—	—	—	—	١
١٥) معلومات قانونيـة	—	—	—	١	١
١٦) تطبيقات : زراعـة	—	—	١	—	—
١٧) تطبيقات : أصول مسك الدفاتر	—	—	١	١	—
١٨) تطبيقات: حساب تجارى	—	—	—	١	١
١٩) تطبيقات : هندسة	—	—	—	١	١
٢٠) تطبيقات : اوراق مخابرات تجارية	—	—	—	—	١
٢١) تطبيقات: عربى (ترجمة ومحادثة)	٢	٢	٢	٢	٢
٢٢) تطبيقات : رومى	٢	٢	٢	٢	٢
٢٣) تطبيقات : بلغارى	٢	٢	٢	٢	٢
٢٤) تطبيقات : أرمنى	٢	٢	٢	٢	٢
٢٥) خط رقعة وثلث	١	١	١	١	١
٢٦) رسم وأشغال	١	١	١	١	١

ويلاحظ على هذه الخطة الموضوعة من قبل نظارة المعارف العمومية باستانبول ما يلى : —

أولا : شمول خطة الدراسة بالمدرسة الاعدادية لكثير من ألوان المعرفة والمعلومات .

ثانيا : احتواء خطة الدراسة للمجالين النظرى والعملى فى المعارف الواجب على تلميذ هذه المدرسة استيعابها .

ثالثا : هذه الخطة موضوعة لهذه المدارس الاعدادية فى جميع أنحاء الولايات العثمانية ولذلك ضمت تطبيقات يمكن اجراؤها فى بلاد الدولة العثمانية بمختلف لغاتها وجنسياتها الأصلية .

التعليم الفنى والمهنى :

نقصد بالتعليم الفنى والمهنى ذلك التعليم الذى تشمل فى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ، والمدرسة الزراعية ، ودار المعلمين التى أنشئت ثلاثتها بمدينة طرابلس ابان الحكم التركى ، وبالتحديد فى السنوات الأخيرة من هذا الحكم التركى لليبيا .

ولم يلق هذا التعليم اهتمام الحكم التركى فى ليبيا شأنه فى ذلك شأن أنواع التعليم الأخرى ، ولعل السبب الأساسى فى هذا أن هذا التعليم لم يكن ليقبل عليه أبناء الموظفين ورجال الحامية الأتراك ولا حتى أبناء الأعيان الليبيين ولذلك ظل مهملا الى أن تنبه له الأهالى بأنفسهم كما سنرى عند الحديث عن مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية .

١ — مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية :

تأسست أول مدرسة للصناعات فى عهد ولاية الوالى أحمد عزت باشا الثانية عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م ثم تأسست المدرسة الحميدية — نسبة للسلطان عبد الحميد — للفنون والصنائع الاسلامية عام ١٨٩٨ م وقد عين الوالى مديرا لها ضابطا تركيا برتبة « يوزباشى » رغم أن ايرادات ومصاريف هذه المدرسة تأتى من « الأوقاف التى أوقفها عليها أهل الخير من الليبيين ومن ضريبة الحلفا ، ومن أثمان اللاجبى — قطع

النخيل ـــ ومن عائـــدات بلدية طرابلس من ذبح الحيوانات فى المجزرة ومن ايجار أرضية الأسواق ومن ايجار الحوانيت المملوكة للمدرسة ومن بلديات الدواخل » (١) •

وقد بدأت مدرسة الفنـــون والصنائع الاسلامية بطرابلس تـــؤدى رسالتها فى عهد ولاية الوالى نامق باشا عام ١٨٩٨ / ١٨٩٩ م وكان انشاء هذه المدرسة بقصد تعليم الأبناء اليتامى والمساكين والفقراء وتدريبهـــم على حرفة من الحرف اليدوية مثل « النجارة ، أعمال المعادن ، والنسيج والسجاد ، والطباعة والتجليد » (٢) • وكانت هذه المدرسة هى المعهـــد التعليمى الوحيد الذى يعلم الصبية بنين وبنات هذه الحرف •

وقد أوضح الوالى فى منشور أصدره الى جميع أنحاء البلاد شروط القبول بهذه المدرسة والتى يمكن تلخيصها فى النقاط الأساسية التالية :

« ١) أن يكون عمر الصبى من ١١ الى ١٥ سنة عند الدخول •
٢) أن يكون يتيم الأبوين أو أحدهما •
٣) أن يكون واضحا أن الغرض من هذه المدرسة ليس اطعـــام الصبية وكسوتهم ولكن تعليمهم صنعة تفيدهم » (٣) •

وكانت المدرسة تتكون من ستة صفوف على النحو الآتى : صف احتياطى وصف أول وصف ثان ، وصف ثالث وصف رابع وصف خامس هذا الى جانب قسم للبنات « مستقل عن قسم البنين • وكان يقوم بتعليم البنات فى هذه المدرسة العدد التـــالى :

٣ معلمات للنسيج والسجاد •
١ معلمـــة للتعليم العام •
١ مشرفة » (٤) •

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(2) S. Greige : A short History of Education in Tripolitania, P. 7.
(٣) ، (٤) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ومن هذا يتبين أن البنات كن يتعلمن فقط حرفة النسيج وصناعة السجاد • وهي الحرف التي تتناسب مع طبيعة تكوينهن ، وكانت هؤلاء المعلمات معينات من قبـل نظارة المعارف باستانبول ويتقاضين مرتباتهن من ايرادات المدرسة وقد عرف عددهن من محضر تحقيق أجرى عـام ١٩٠٣ م بسبب تعـدى بواب المدرسـة على المعلمات بالضرب بسبب ضربهن لزوجته المقيمة معه فى المدرسة •

وكان تلاميذ هذه المدرسة يقيمون بها بالقسم الداخلى ولا يتكبدون أية نفقات على الاطلاق لأنها مشروع خيرى ايراداته كثيرة ووفيرة ، بل كان يعطى التلميـذ فى نهـاية الأسبوع ٥ر١ قرش (قرش ونصف) كمصاريف شخصية ، وعند تخرجه يعطى مكافأة مقدارها عشرة جنيهات وأحيانا بعض الأدوات ليبدأ حياة جديدة وفى بعض الأحيان الأخـرى كان يمنح حانوتا كامل العدة والأدوات ، ويزوج من احدى البنات الأيتام اللواتى تضمهن المدرسة ومن ثم يمكن اتمام العمل الخيرى الذى هدف اليه الواقفون على هذا المشروع الانسانى •

وكان أول مدير لمدرسـة الفنون والصنائع الاسلاميـة ضابط فى الحامية العثمانية بمركز الولاية كمـا كان مدرسوها أيضـا ضباطا فى الحامية ، فكان أحدهم مثلا يقوم « بتمرين الصبية على آلات فن التمرين العضوى ـــ البدنى ـــ وكان آخر ضابطا فى السرية الرابعة من الفيلق التاسع والخمسين من الفـرقة السلطانية ومن أرباب المعـرفة والصنعة الذين تخرجوا من مكتب صنائع دار السعادة وكانت دار نسج البسط المخصوصة بالاناث التى تحت نظـارة صبيحة خانم المجلوبة والمدعوة بصورة مخصوصة قبـل أربع سنوات من معلمات البسط فى معمـل هركة السلطانى » (١) •

وقد ازدهرت مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس ازدهارا

---

(١) جريدة طرابلس الغرب العـدد ١١٦٧ السنة ٣٦ ، ٥ تشرين الاول عام ١٩٠٦ م •

لا بأس به خصوصا بعد عام ١٩٠٨ م ، فقد ذكر اثنان من الانجليز قاما برحلة الى طرابلس « عام ١٩١٠ أن مدرسة الفنون والصنائع تؤدى دورا تعليميا وتربويا عظيما » (١) . كما أن مكتب — مدرسة — الفنون والصنائع كان يهتم بالتلاميذ المنضمين اليها ، فمنهم من كان يعين بالمدرسة نفسها بعد تخرجه من المدرسة الصناعية باستانبول فقد أوفدت المدرسة فى « ١٠ مارس ١٩٠٩ م أربعة من خريجيها للتدريب والاستزادة من الخبرة العملية بمعامل — مصانع — هركة السلطانى » (٢) .

وكانت المدرسة تقبل تلاميذها من مختلف أنحاء البلاد الليبية ويحدد لكل متصرفية أو لواء عدد معين فى كل سنة — وقد بلغ عدد تلاميذها « فى عام ١٩١٠ فى جميع الصفوف ومن مختلف البلاد — ١٠٤ تلاميذ » (٢) . كما يؤيد ذلك أيضا رسالة مؤرخة فى « عام ١٩١١ تفيد بقبول تلميذ واحد من غريان فى المدرسة » (٣) فى تلك السنة .

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة مدرسة الفنون والصنايع الاسلامية هذه بدأت فى عهد ولاية على رضا باشا الجزايرى ، الذى أعلن منشورا الى الناس يدعوهم للتبرع لفتح مدرسة أو اصلاحية لتربية الأطفال الأحداث والمشردين واليتامى وتعليمهم مهنة تفيدهم فى حياتهم وكان ذلك عام ١٢٩٠ هـ الموافق عام ١٨٧٤ م وقد أصدر منشورا مماثلا فى العام التالى .

واذا تفحصنا التأثيرات التى تركتها مدرسة الفنون والصنايع الاسلامية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا لوجدنا أن تأثيرها قليل « لأننا ما رأينا صانعا أهليا متخرجا من هذه المدرسة يشتغل على الأسلوب العلمى بل ولا غيره ، حتى ان بعض المتخرجين منها سلكوا طريق الجندية بعد ما جابوا الطرقات أياما عديدة لقلة ذات اليد ، وعدم مساعدة مدير المدرسة لهم على اعطائهم المخصصات التى خولها لهم

(١،٢،٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

قانون المدرسة بعد احرازهم على الشهائد لتـكون رأس مال التلميـذ يباشر بها الاشتغال خارج المدرسة » (١) •

٢ ـ المدرسة الزراعيـة :

كان انشاء هـذه المدرسة تلبية للحاجة الماسة لهـذه الولاية فى أن تصبح المحصولات أكثر وفرة فى عهـد الانتعاش الذى أصاب الدولة العثمانية فى بداية القرن العشرين ولذلك تأسست هذه المدرسة بمدينـة طرابلس بضاحية قريبة من المدينة تسمى سيدى المصرى وذلك عـام ١٩٠٩ م « على يد الوالى ابراهيم باشا تكلفت مبلغ ٤٥٠٠ جنيه تركى ، وكان بعض تلاميذها يقيمون بالقسم الداخلى والبعض الآخر خارجيون وكان المنهج يشتمل على المواد الزراعية الى جانب تعليم تطبيقى مثـل استخراج الزيت وصناعة الجبن ، ورعاية الماشية » (٢) •

وكان معلمو هذه المدرسة الزراعية يأتون لها من تركيا تعينهم نظارة المعارف العمومية باستانبول كما أن أدوات هذه المدرسة كانت تستورد أيضا وكانت تحدد تلاميذها كل سنة من مختلف المتصرفيات ففى عـام ١٩١٠/١٩١١ م كتب مدير معارف الولاية « لكل المتصرفيات لترشيح الطلاب على أساس ما يلى : (٣)

١) متصرفية الخمس	عدد ٥ طلاب
٢) متصرفية الجبل	عدد ٣ طلاب
٣) متصرفية فـزان	عدد ٢ طالب
٤) متصرفية الزاوية	عدد ١ طالب
٥) متصرفية العجيلات	عدد ١ طالب
٦) متصرفية زوارة	عدد ١ طالب

---

(١) على المصراني : ابى قشة وجريدته فى طرابلس الغرب ـ ص ١٢٢ .
(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 10.
(٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

٧) متصرفية ترهونة	عدد ١ طالب
٨) متصرفية أورفلة	عدد ١ طالب
٩) متصرفية غريان	عدد ١ طالب
١٠) متصرفية العزيزية	عدد ١ طالب

هذ الى جانب التلاميذ الذين تقبلهم المدرسة من مدينتى طرابلس وبنغازى وتوابعها وهؤلاء لم تحددهم المدرسة .

٣ — دار المعلمين :

كانت دار المعلمين بطرابلس ، ودار المعلمين ببنغازى اللتان أنشئتا فى أوائل القرن العشرين من أهم أعمال مدير المعارف الجديد الذى تم تعيينه من قبل نظارة المعارف باستانبول عام ١٨٩٩ م ليكون مسئولا عن التعليم فى ولاية طرابلس الغرب — ليبيا — وصار تأسيس هذه المدرسة عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م وكانت مدة الدراسة بها سنتين دراسيتين فقط .

وكانت دار المعلمين تقبل كل طالب « يجيد القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ويعرف بعض قواعد اللغة ومبادىء الدين الاسلامى » (١) . وكان تلاميذها — لهذا السبب « كبار السن وقد تخرجت أول دفعة من دار المعلمين بطرابلس عام ١٩٠٣م وكان عدد الطلاب ٧ فقط » (٢) ولم يكن من بين شروط القبول بدار المعلمين شرط الحصول على شهادات دراسية معينة .

وعندما تقرر انشاء دار المعلمين صار الاعلان عنها حتى يتقدم الطلاب للتسجيل وقد نشرت جريدة طرابلس الغرب هذا الاعلان فى ٢٤ شعبان ١٣١٩ هـ الموافق ٢٢ تشرين الثانى سنة ١٩٠١ م من مديرية المعارف بالولاية جاء فيه ما يلى :

« بما أنه صار الشروع فى قيد الطلبة وقبولهم لدار المعلمين المؤسسة

---

(1) Annual Report of the U. N. Commissioner in Libya, P. 84.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

والمفتتحة بمركز الولاية فى هذه المدة فى ظل معارف حضرة حامى الخلافة الأعظم فكل من يطلب ذلك يقيد ويقبل ، ولبيـان هذا ابتدر لاعـلان الكيفيـة » (١) •

وكان منهج الدراسة بدار المعلمين يشتمل على المواد الدراسية الآتية: العقائد الدينية ، والرياضيات ، واللغة التركية ، واللغة العربية ، واللغة الفارسية ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والرسم ، والأشياء • وكان بالمدرسة معلم واحد وقد أسفرت النتائج التى حصلت من دار المعلمين عن ضعف مستوى الخريجين منها عن القيـام بالتدريس ، ولذلك فقد تـم تعيين هؤلاء الخريجين فى المدارس الواقعة خارج المدن ، الابتدائية ، بصـفة خاصة ، وكان المعلم بدار المعلمين تركى الأصل ••

مؤسسات تعليمية اخـرى :

تتمثل أهم هذه المؤسسات التى أنشئت بطرابلس فى مدرستين هما : مدرسة أو مكتب العرفان ، وروضة الأطفال ، الى جانب مدرسة ميزران الأهليـة ••

أما مكتب ـــ مدرسة العرفان ـــ فقد أنشئت عام ١٩٠١ م بقصـد اتاحة فرصـة تعليم اعـدادى ـــ ثانوى بمفهومنا الحالى ـــ للتلاميذ المسلمين القادرين على دفع نفقات تعليمهم وهم طبعـا من أبناء ضباط الحامية التركية وأبناء الأعيان ، وكان انشاء هـذه المدرسة مقصـودا لينافس ـــ فى المسـتوى التعليمى ـــ مدارس الجاليات الأجنبيـة خصوصا المدارس الايطالية والفرنسية •

وقد ضمت مدرسة العرفان هـذه قسما رشديا الى جانب القسـم الاعدادى حيث أنها كانت مدرسة أهلية أنشئت وليس لها خطة واضحة منذ البداية ولذلك كان تأثيرها غير واضح ومما هو معروف عنها أنهـا

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ٩٦٩ السنة ٣١ •

كانت تحصل على اعانة مالية من ايرادات الولاية .. وقد تم اجراء أول امتحان لهذه المدرسة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٠٤ حيث ذكرت جريدة طرابلس الغرب فى عددها الصادر فى ١٣ جمادى الآخرة عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٢ أغسطس عام ١٩٠٤ ما يلى : « وأسمى نمـوذج من آثار التكامل والتعالى المتوالية مكتب العرفان الذى افتتح قبل ثلاث سنوات باضافة همم المعارف لحضرة ذى الدولة رجب باشا مصداق الشـجاعة مشير الفرقة العثمانية السلطانية واقترن أخيرا بالتصديق الرسـمى من نظارة المعارف الجليلة وحصلت الموفقية فى ظل ألطاف الحضرة السنية السلطانية بتأسيس وعلاوة قسمة الرشدى .. » (١) .

ومما هو جدير بالذكر أن مدرسة العرفان « كان يعمـل بها عـام ١٩٠٢ م ٧ معلمين وكان عدد تلاميذها ١٠٠ مائة تلميذ كلهم خارجيون ولا يقيمون بالقسم الداخلى » (٢) . وهذا العدد لا بأس به بعـد عام واحد من انشائها فقط .

وأما روضة الأطفال فقد تأسست عام ١٩١٠ أى فى العام الذى ينتهى فيه الحكم العثمانى فى ليبيا ليبدأ بعد عام الحكم الايطالى ، ولذلك جاء انشاؤها متأخرا وكانت تسمى حديقة الولدان بمدينة طرابلس .

تعلـيم البنـات :

لم ينل تعليم البنات فى ليبيا أثناء الحكم العثمانى اهتماما كافيا شأن كل الولايات التى كانت خاضعة للدولة العثمانية فقد عاشت البنت طوال العهد العثمانى فريسة مستسلمة للرجل خاضعة فى خنوع لارادته وسلطانه قابعة وراء حجب وأستار فكرة الحريم . تسيطر على أفكارها مفاهيم فى جملتها ساذجة يعمقها فيها جهل مطبق لا نور يبدد كثافة ظلمته .

وبالنسبة لليبيا فيمكن أن نشير الى بعض الجهود البسيطة فى مجال

---

(١) جريدة طرابلس الغرب : العدد ١٠٧٥ السنة ٣٤ .
(٢) محمود ناجى : كتاب طرابلس الغرب (تركى) .

تعليم البنت منها انشاء مدرسة رشدية للبنات عام ١٨٩٨/١٨٩٩ م كان الهدف منه — كما سبق أن ذكرت — منع بنات ضباط الحامية من الالتحاق بالمدارس الأجنبية وقد أجرى امتحان للبنات فى هذه المدرسة الرشدية « فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ الموافق يوليو سنة ١٩٠٥ م وقد سار البرنامج على النحو الآتى :

كلمة من تلميذة بالسنة الأولى
كلمة من تلميذة بالسنة الخامسة تشكر ولى النعم
سماع موسيقى على البيانو
توزيع المكافآت ثم المحليات والمبردات

وقد تخرجت طالبتان بشهادة هن : مكرم خانم بنت محمد راسخ افندى وعائشة خانم بنت محمد أغا » (١) .

ومن هذا يتبين أن هذه المدرسة لم تكن مفتوحة لتعليم بنات عامة الشعب العربى فى ليبيا ، كما أنه فى عام ١٩١٠ فى عهد ولاية ابراهيم باشا تأسست جمعية نسائية تحت اسم « جمعية النسوان العثمانية الخيرية نجمة الهلال يكون مركزها بالمدرسة الرشدية للبنات ، والغرض من تأسيسها تهيئة أمهات المستقبل لذا ترى من واجبها العمل على تعليم البنات وتربيتهن ومساعدة المحتاجين منهن ومد المساعدات المالية لزواج الفقيرات خدمة للوطن والانسانية ورياسة الجمعية للسيدة حرم والى ولاية طرابلس الغرب » (٢) .

ويحدد منشور انشاء الجمعية الذى صدر مهمة الجمعية تفصيلا بأنها تؤدى خدمتها فى مجالين : أحدهما علاجى تحت اسم الهلال الأحمر ، والثانى رعاية تحت اسم الشفقة وفى المجال الثانى تجمع الجمعية الاشتراكات والتبرعات لتصرف منها فى مساعدة المحتاجين وتعليم البنات « الادارة

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

البيتية والحقوق الزوجية ، وحفظ الصحة ، وتربية الأطفال ، والخياطة والنقش ، الطبخ ، الغسالة ، كى الملابس ، النسيج ، وصنع البسط ، رواتب المستخدمين ، التنوير ، والتدفئة » (١) • وقد عبرت حرم الوالى عن هذه الموضوعات فى حفل افتتاح الجمعية الذى تم فى شهر ربيع الأول عام ١٣٢٨ هـ الموافق أبريل عام ١٩١٠ م حيث قالت مخاطبة السيدات عضوات الجمعية « أنه بناء عليه قد أضيفت على دروس مكاتبنا الابتدائية والرشدية الموجودة من قديم للاناث بعض دروس توافق العقائد الاسلامية وآدابنا الملية مع كافة أنواع الأشغال اليدوية • وجلبت معلمة الآن من أوروبا ونرى من المناسب أن نسمى المكاتب المذكورة بمكاتب الاتحاد والترقى والاناث الابتدائية والرشدية » (٢) •

وأضافت حرم الوالى ورئيسة الجمعية قولها فى هذا الصدد الى العضوات « ونعلن لكن بمزيد المفخرة أنه تأسست تحت رياسة العاجزة جمعية غايتها الخدمة لدار الصناعة والمكاتب المراد تأسيسها اعانة للبنات الفقيرات المسكينات معنى ومادة ، وتعليمهن الخياطة وسائر الأعمال اليدوية ليستفدن بهذه الصورة من كدهن فيتداركن رأس المال اللازم وتعليم اليتيمات والفقيرات الصنائع لتكون سببا لتأمين معايشهن وقبلا لمصارف جهازهن فى المستقبل » (٣) •

ومع ذلك ورغم كل ذلك فان هذه الجمعية بمجهوداتها التى أعلن عنها لم تخدم أعدادا يعتد بها من البنات الوطنيات ، ولم يكن من بين أعضاء مجلس الادارة الستة سوى عضوتين اثنتين فقط من الليبيات وان لم تكونا من عامة الشعب ولم تستمر هذه الجمعية كثيرا اذ أن الاحتلال الايطالى تم بعد حوالى عام واحد من ممارستها لنشاطها •

التعليم العالى :

لم تنشأ فى ليبيا أية مدرسة عليا ، وانما كان من يرغب من الليبيين

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٣) جريدة طرابلس الغرب العدد ١٣١٥ السنة ٤٠ .

أبان الحكم العثمانى ــ استكمال تعليمه الدينى كان يتجه صوب مصر ليلتحق بالجامع الازهر أو تجاه تونس ليستزيد من جامع الزيتونة • ومن أراد الاستزادة من خريجى المدارس العسكرية أو الوطنية الخاضعة للاشراف المباشر من قبل حكام الولاية يتجه صوب الآستانة ليستكمل فى معاهدها العالية مالم يتوفر له فى أرض وطنه •

ونحن حين نستعرض المعاهد العالية المقامة فى الآستانة انما نستعرضها لأنها تقبل طلابا ليبيين الى جانب الطلاب الأتراك والطلاب من بقية الولايات العثمانية العربية وغير العربية ، ولكن يجب أن يكون واضحا منذ البداية أن التعليم العالى لم يكن متاحا لكل الليبيين وانما كان قاصرا فقط على القادرين منهم الى جانب الأتراك المقيمين بليبيا •

١ ــ مدرسة أبناء العشائر :

وأول مدرسة يمكن أن تتعرض لها هى مدرسة أبناء العشائر التى تأسست عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩٢ م « بمناسبة عيد جلوس السلطان المعظم لتعليم أولاد مشايخ القبائل والعشائر » (١) • والهدف منها هدف استعمارى يقوم على أساس استيعاب أبناء رؤساء القبائل والعشائر فى أنحاء الولايات العثمانية (واحتوائهم) بالنفوذ العثمانى حتى عندما يعودون الى بلادهم ويتولون السلطة يستمرون فى ولائهم للعثمانيين •

وكانت مدرسة العشائر عسكرية وداخلية ومدة الدراسة بها خمس سنوات يدرس الطلاب أثناءها المواد التالية :

الصف الأول : قرآن كريم ، ا ب (الهجاء) علوم دينية ، قراءة تركية ، املاء ، تعليم عسكرى •

الصف الثانى : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، قراءة تركية ، نحو وصرف ، املاء ، حسن خط ، تعليم عسكرى •

---

(١) كتاب سالنامة نظارة معارف عمومية (تركى) •

الصف الثالث : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، قراءة تركية ، قصص الأنبياء ، صرف تركى ، املاء ، حسن خط ، حساب ، جغرافيا ، لغة فرنسية ، حسن خط فرنسى ، تعليم عسكرى .

الصف الرابع : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، صرف عربى ، نحو تركى ، لغة فارسية ، تاريخ اسلام ، انشاء تركى ، جغرافيا ، حساب، حسن خط ، معلومات متنوعة ، رسم ، تعليم عسكرى .

الصف الخامس : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، نحو عربى ، لغة فارسية ، تاريخ عثمانى ، قواعد عثمانية ، كتابة تركية مع القراءة ، محادثة تركية ، جغرافيا ، حساب وهندسة ، حسن خط ، معلومات متنوعة ، حفظ الصحة ، أصول مسك الدفاتر ، رسم ، تعليم عسكرى » (١) .

وكانت هناك شروط لدخول هذه المدرسة يمكن أن تتبينها من منشور ناظر الداخلية فى استانبول — الذى كانت المدرسة تخضع لاشراف نظارته — الى جميع الولايات ومنشوره الى ولاية طرابلس وذلك فى شهر رجب عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م ونص المنشور كالآتى:

(١) حصة طرابلس تلك السنة ٣ طلاب من الولاية كلها .

(٢) يعطى لكل طالب مصاريف سفره لاستانبول وقدرها ٦٠٠ قرش.

(٣) ألا يكون عمر الطالب عند قبوله أقل من ١٢ سنة وألا يكون أكثر من ١٦ سنة .

(٤) أن تكون صحة الطالب جيدة تتحمل التربية الجسمية وتحمل تبدلات الجو ، وأن يكون قد فحص طبيا ومعه شهادة بذلك قبل سفره من طرابلس .

---

(١) كتاب سالنامة نظارة معارف عمومية (تركى) .

(٥) أن يكون الطلاب حسنى الأخلاق والتربية ومن عائلة أصيلة وحيثية (برنجى درجة) ومن العرب الرحل وساكنى الخيام ومن أولاد العرب المعروفين ويجب الاعتناء بهذا البند قبل كل شيء لأن الطلاب الذين لا يتصفون بهذه الصفات لا يمكن قبولهم بهذه المدرسة لأنه صدر فرمان عالى لظل الله فى الأرض (السلطان) يؤكد ذلك .

(٦) يرسل هؤلاء الطلاب مع أحد رجال الشرطة الأمناء ويعتمد عليه لتوصيلهم الى استانبول .

(٧) الطالب الذى لا تتوفر فيه هذه الشروط ويصل استانبول يعاد ثانية ويتحمل المسئول عن ارساله مصاريف ذهابه وعودته » (١) .

وأما بقية المدارس أو المعاهد العالية فيمكن أن نستعرضها بايجاز فيما يلى : —

٢ — المكتب الملكى (المدنى) الشاهانى :

وقد تأسس عام ١٢٧٥ هـ الموافق ١٨٥٨ م لاعداد القائمقامين والمديرين ومدة الدراسة به ثلاث سنوات بعد المدرسة الاعدادية ويقبل ٤٠ طالبا كل سنة معفون من الخدمة العسكرية .

٣ — المكتب السلطانى :

وقد أنشىء عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م لتعليم المسلمين وغير المسلمين وهو داخلى وخارجى ومدة الدراسة به ٣ سنوات ابتدائى ، ٣ سنوات متوسط ، و ٣ سنوات عالى ، وبه قسم فرنسى .

٤ — مكتب الطب :

وقد تأسس عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م أيضا وهو خارجى ويدخله الطلاب الحاصلون على شهادة المدارس الاعدادية (الثانوية) أو

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ما يعادلها ويؤدى الطالب امتحان قبول وكانت مدة الدراسة به ٦ سنوات لدراسة الطب و ٣ سنوات لدراسة الصيدلة .

٥ ــ دار المعلمين :

أنشئت عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م كذلك وكانت تنقسم الى ثلاث مراحل : مرحلة ابتدائية ومدة الدراسة بها عامان دراسيان ، ومرحلة رشدية ومدة الدراسة بها عامان أيضا ، ومرحلة عالية وتنقسم قسمين : شعبة للآداب ومدة الدراسة بها سنتان وشعبة للفنون ومدة الدراسة أيضا سنتان .

٦ ــ دار المعلمات :

تأسست عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م لاعداد معلمات للمكاتب الرشدية للاناث ومدة الدراسة بها ٣ سنوات .

٧ ــ مكتب الحقوق :

وقد أنشىء عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م للحصول على موظفين للعدلية ووكلاء دعاوى (محامين) وكانت مدة الدراسة ٤ سنوات .

٨ ــ مكتب التجارة :

تأسس عام ١٣٠٢ هـ الموافق ١٨٨٥ م وكان مرتبطا بنظارة التجارة والأشغال ، ثم ألحق بنظارة المعارف فى نفس السنة وكانت مدة الدراسة ٣ سنوات .

٩ ــ دار الفنون (الجامعة) :

وقد تأسست عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م « وتقبل كل سنة ٣٠ طالبا ومدة الدراسة بها حسب شعبها ، فشعبة العلوم الدينية ٤ سنوات ، وشعبة العلوم الرياضية والطبيعية ٣ سنوات وشعبة الآداب ٣ سنوات » .

١٠ ــ المدارس العسكرية :

وهى تشمل : مكتب حربية شاهانية ، ومكتب

---

(١) كتاب سالنامة نظارة معارف عمومية (تركى) .

فنون طبيـــة شاهانية ، ومهندسخانة برى همايونى ، ومكتب حربيـــة شاهانية اعدادية ، ومكتب اعـــدادى طبى شاهانى ، ومكاتب رشـــدية عسكرية ومكتب بحرية شاهانية ومكتب بحرية ماكنة عمليات ، ومكتب رشدى بحرية ، ومنشأ كتاب عسكرى .

وهـــذه المكاتب العسكرية أو المدارس العسكرية لم يكن بهـــا من الليبيين الا عدد لا يكاد يذكر لأن ولاية طرابلس الغرب لم تكن فى نظر المسئولين العثمانيين ولاية مهمة تدر دخلا على السلطنة ولذلك لم ينل أبناؤها حظهم من التعليم الواجب من الحكم العثمانى .

ومع ذلك فان هذه المعاهد العسكرية كانت تعتبر بالمقارنة مع بقيـــة المعاهد العليا الموجودة بمقر الدولة وعاصمة الخلافة . كانت تعتبر أكثر المجالات المتوفرة لأبناء الشعب العربى فى ليبيا ، حيث كانت الحـــكومة التركية تشجع الليبيين وغيرهم من العرب فى بقية الولايات العربية — على التعليم العسكرى حتى يكونوا جنـــودها المخلصين الذين يدينـــون بالولاء لها ، ولاحاجة لنا الى القول بأن هؤلاء الذين كانوا يتمون تعليمهم فى المدارس العسكرية أو غيرها باستانبول كانوا من أبناء الأعيان المتصلين برجال الحكم الأتراك فى مركز الولاية .

ومن الجدير بالذكـــر أن المدارس العسكرية كانت تتأثر بالثقـــافات الأجنبية فى برامجها فقد كانت المدارس الحربية مثلا تهتم باللغة الألمانية والتنظيم الألمانى بصفة خاصة ، بينما كانت المدارس والمعاهد البحـــرية تجعل اللغة الانجليزية والنظام العسكرى البحرى الانجليزى موضـــع عناية خاصة . ومع ذلك فقد كان للغة الفرنسية مكان بارز فى برامـــج المدارس العسكرية بصفة عامة .

الاشراف على التعليم :

رأينا من استعراض مراحل التعليم فى ليبيـــا فى العهد العثمانى أن الشعب العربى فى ليبيا كان يبذل من جهـــوده وأمواله الشىء الكثير من

أجل بنــاء المدارس وتهيئتها لتعليم أبنائه وكان دور الحــكام الأتراك هو عملية الاشراف فقط واختيار المعلمين لتضمن ولاء المواطنين وسيرهم فى الخط الذى تراه الحكومة العثمانية •

وقد سبق أن ذكرت أن الوالى كان يشرف على التعليم الى عــام ١٨٩٩ م حين عين من قبل نظارة المعارف باستانبول موظف مسئول عن التعليم فى ليبيا سمى مدير المعارف ثم تشكل مجلس لمعارف الولاية عام ١٩٠٩ م وكان تشكيله على النحو الآتى :

١) الــوالى	رئيســا
٢) مدير المعــارف	وكيــلا
٣) ٤ من أعضاء مجلس الادارة	أعضــاء
٤) مدير دار المعلمين	عضــوا
٥) معلمان من المدارس الرشدية	أعضــاء
٦) معلمان من المدارس الابتدائية	أعضــاء
٧) ٢ من المفتشين يختارهم مدير المعارف أعضاء » [١]	

وعضوية هذا المجلس فخرية أى بدون أجر نظير العضوية فيما عدا الأعضاء الذين يفدون من الأقاليم لحضور الاجتماعات فيحصلون على مكافأة مبيت • وهذا المجلس يجتمع مرتين فى السنة وتستمر الجلســة الواحدة منعقدة لمدة شهر ، ويصير اجتماعه بناء على أمر من الوالى ، وللوالى الحق فى ضم من يراه من المختصين لحضور الجلسات •

وكان لــكل متصرفية مجلس تعليم يتكون على النحو التالى :

١) معلم المدرسة الابتدائيــة	عضــو
٢) باشكاتب المحكمة الشرعية	عضــو
٣) محاسب البنك الــزراعى	عضــو
٤) مديـــــر المـــــال	عضــو
٥) مفتى القضــــــــاء	عضــو

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) •

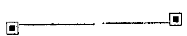
التعليم فى فــزان :

لم يكن هناك اهتمام بهذا الاقليم يوازى الاهتمام بكل من طرابلس وبرقة ، وذلك بسبب فقر فزان وبسبب أنه صحراوى تماما « وأن سكانه مختلطين جنسيا : جــزء منهم مستقر ، وجــزء آخر رحــل ، ومستوى معيشتهم منخفض بسبب النقص الواضح فى مصادر الثروة بالاقليم» (١)

وتبعا لذلك وبالنسبة لبعــد الاقليم وخشونة الحيــاة فيه فقد كان التعليم به قليل الشأن حيث لم يتعــد بعض الكتاتيب التى تقوم بتعليم المبادىء الأولية فى المعرفة ، ولذلك يمكن أن نقول أن « الغالبية العظمى من السكان ظلوا أميين ، وأن التعليم الذى نالته الأقلية القليلة الباقيــة لا يتعدى أبدا معرفة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب » (٢) .

واذا كانت بعض المدارس قد قامت فى مرزق وسبها فقد كانت هذه المدارس أولية ، ولم تكن تستمر بها الدراسة طويلا ثم تغلق بسبب عدم توفر المعلمين « وحيث العائلات غير مستقرة ولو بصفة جزئية لعــــلاج النقص فى هيئــة التدريس » (٣) . ولذلك فان هــذه المدارس سرعان ما تغلق أبوابها بعد وقت قصير من افتتاح الدراسة بها . بالاضــافة الى أن الحياة فى الاقليم لم تكن تشــجع على استقرار المعلمين غير الفزانيين لمــدة طويلة .

وبسبب عدم استقرار الدراسة فى مدارس فزان ، وعــدم استمرار العمل بها لفترة طويلة لم تتوفر احصائيات دقيقة عن عدد المدارس وعدد التلاميذ المنتظمين بها ، ولا عدد المعلمين الذين كانوا يعملون بها .



(1) U.N. : General Assembly ... ... document A/1387, P. 3.
(2) Ibid P. 20.
(3) Ibid P. 21.

الباب الثاني

العصر الايطالي

١٩١١ — ١٩٤٣ م

الفصل الرابع

العصر الايـطالي الأول

١٩١١ — ١٩٢٣ م

- احتـلال ايطاليـا للأراضي الليبيـة .
- مقاومة الليبيين للغـزو الايـطالي .
- التعليم في هـذا العصر :

— مقـــدمة .

أولا ـ التعليم الوطني او المدارس العربية .
ثانيا ـ المدارس العربيـة الايطاليـة .
ثالثا ـ التعليم في المدارس الايطاليـة .
رابعا ـ مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية .

احتــلال ايطاليــا للأراضى الليبيــة :

وقع الغزو الايطالى للأراضى الليبية فى أوائل أكتوبر من عام ١٩١١ م ولم يكن هذا الغزو عفويا أو جاء مفاجئا لكل المهتمين بأمر ليبيــا سواء كان هؤلاء الأتراك الذين كانوا يبسطون سيادتهم على ليبيا أو كانت الدول الأوروبية المتسابقة لاستعمار أراضى فيما وراء البحار ، أو حتى الشعب الليبى الذى عاش المأساة من بداية تدبيرها حتى وقوعها ومن ثم قاومها .

لم يكن الغزو الايطالى لليبيا اذن شيئا بعيد الاحتمال فى ظروف كالتى عاشتها ليبيا تحت الحــكم العثمانى وفى ظروف دولية هيأت لايطاليا هذه المغامرة الاستعمارية البغيضة ، ولكن كان لهــذا الغزو مقدمات ساعدت عليه وأدت الى حدوثه فى النهاية وتتمثل هذه المقدمات فيما يلى :

أولا : سياسة الحكم العثمانى فى ليبيــا .
ثانيا : التسابق الاســتعمارى الأوروبى وأطماع ايطاليــا فى أفريقيا .
فلنناقش كل جانب نقاشــا موضوعيا مدعما بالأدلة والحقائق الدامغــة .

أولا :

لقد أصبح واضحا مسئولية الحكم العثمانى عن حدوث الاحتــلال الايطالى لليبيا منذ سيطر العثمانيون على مقدرات الأمور فى هذه البــلاد وخصوصا فى القرن التاسع عشر فلم تلق الولاية أى عناية أو اهتمام من جانب السلطات الحكومية فى الآستانة التى لم تعامل ليبيا معاملة الولايات العثمانية الأخرى التى كانت تتمتع بامتيازات خاصة تجعلها صاحبة حكومة محلية واستقلال داخلى ــ كما كانت الحال فى الجزائر وتونس ومصر ــ بل كانت الحكومة العثمانية تعتبر ليبيــا مستعمرة بمعنى الكلمة .

وكانت هذه النظرة من جانب الحكومة العثمانية تجاه ليبيا تتمثل فيما اتخذته هذه الحكومة من اجراءات مثــل جباية الضرائب من الأهلين عن طريق القسوة والظلم ، ومثل اهمال الشئون الصحية والتعليمية فى البلاد ،

كما أن الحكومة العثمانية لم تهتم بانشاء جيش محلي من الليبيين ولم تعمل على توفير وسائل الدفاع عن البلاد بشكل يساعدها على مقاومة أى غزو لأراضيها •

ومهما قيل عن أن الحكومة العثمانية كانت تعانى انقسامات داخلية أو تواجه حركات استقلالية من قبل بعض الوطنيين فى الولايات المترامية البعيدة عن مركز الدولة ومقرها ، فانها أى الحكومة العثمانية كانت تعتبر ولاية ليبيا من الولايات التى لا تفيد الدولة فائدة مالية يعتد بها ، ولذلك فمن الواجب الاقتصاد فى الانفاق على هذه الولاية • بل يجب عدم اراقة دم جندى تركى واحد فى سبيل حماية هذه الولاية أو الدفاع عنها ضد مطامع الدول الأجنبية •

وحقيقة أن الحكومة العثمانية كانت سلطتها وسيادتها تشمل كل الأراضى الليبية اسميا الا أن السلطة الفعلية لم تتعد الساحل • وحقيقة أخرى تؤكد أن معظم سكان ليبيا يعيشون على الساحل أى فى المدن والقرى الموجودة فى الشريط الساحلى الأكثر خصبا وتوفيرا للحياة • الا أن المناطق الداخلية كانت محكومة بأهل البلاد عن طريق زعماء القبائل فى طرابلس وفزان وعن طريق السنوسيين فى برقة ، مع اعتراف اسمى بالتبعية لتركيا •

لقد حاولت الطريقة السنوسية اقامة دولة فى برقة يكون جوهرها الدين الاسلامى حتى يمكنها جمع القبائل المتنافرة وقد نجحت فى ذلك نجاحا لم يبارها فيه أى طريقة أخرى من الطرق الصوفية الدينية المنتشرة فى أنحاء البلاد الاسلامية وعندما تهيأ لها هذا التجمع المرتبط بنظامها الدينى والسياسى المتمثل فى الزوايا والاخوان ، حاولت أن تحصل على اعتراف رسمى بها وكان أول اعتراف بها من قبل السلطان عبد المجيد الأول عام ١٨٥٦ م أعفى أملاك الزوايا السنوسية من الضرائب ، وسمح للسنوسية بجمع ضرائب دينية من أتباعها ثم اعتبار الزوايا حمى يلجأ الناس اليه •

ولم يكن هذا اعترافا باستقلال داخلى لأنه فى المناطق التى توجد فيها الزوايا السنوسية كان يوجد قائمقامون ومديرون من قبل الدولة العثمانية ويرتفع العلم التركى حتى فى الجغبوب والكفرة مقر السنوسية وتقـام الدعوة للخليفة العثمانى على المنـابر فى المساجد ويعترف السنوسـيون بالخلافة العثمانية . ولكن هذا الاعتراف كان يؤمن تحصـيل الضرائب من داخل البلاد لصالح الحكومة العثمانية ، كما أنه يضمن استتباب الأمن فى أنحاء هذه البلاد المحاطة بأطماع استعمارية نتيجة للتوغل الأوروبى فى أفريقيا .

الا أن الدولة العثمانية لم تكن تشجع ما كانت تقوم به السنوسية من وقوف ضد تقدم الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر ولأجزاء منغرب افريقيا ــ نحو وسط أفريقيا الى الحدود الليبية ذلك أن فرنسا بعد أن احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ م وتونس عام ١٨٨١ م وبعض أجزاء الساحل الغربى لافريقيا توغلت صوب وسط أفريقيا . وكان هذا فى نظر السنوسيين ــ الذين مدوا نفوذهم الدينى الى كثير من بلاد غرب ووسط أفريقيا ــ اعتداء من دولة أجنبية غير مسلمة على بلاد مسلمة ترتبط ببلادهم بروابط الدين والجوار ولذلك دخلوا فى مناوشات وحروب مع الفرنسيين لم تسفر عن نتيجة حاسمة نظرا لتفوق الفرنسيين الحربى . الا أن هذه الحرب لم تلق تأييدا من قبل الدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية على ليبيا مخافة أن تتورط فى هـذه الحرب .

حتى اذا حدثت الثورة التركية ضد السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨م ، ورأى فيها الليبيون كما رأى فيها اخوانهـم العرب فى الولايات العربية الأخرى أملا يحقق ما كانوا يبغونه من اصلاح على يد العناصر الثوريةالتى أمسكت بزمام الأمور فى الدولة . الا أن الأمل خاب عندما اتضحت نيات جمعية الاتحاد والترقى نحو الأمة العربية بفرض عمليات التتريك على هذه الولايات العربية ولمـا أظهرته هذه الجمعية من رغبة فى اهمال أمور ولاية ليبيا مما أدى فى النهاية الى وقوعها فى أيدى الايطاليين .

وقد ظهر هذا الاهمال المتعمد جليا بالنسبة لولاية ليبيا فى عدة أمور ساعدت على سهولة وقوعها فى أيدى الطليان • ويمكن أن نحدد هــذه الأمور فيما يلى :

أولا : أدارت الدولة العثمانية فى عهــد جمعية الاتحاد والترقى ظهرها للولايات العربية خصوصا فى الشمال الافريقى وبعد أن أصبحت ليبيا هى الولاية الوحيدة التى تدين بالتبعية للدولة وهى ولاية فقيرة لا تدر أموالا طائلة على الدولة صاحبة السيادة ولذلك لم تفعل شيئا ضد الأطماع الايطالية الواضحة بل ان رئيس الحكومة ابراهيم حقى باشا ــ الذى كان يعمل سفيرا لبلاده فى ايطاليــا وزوجته ايطالية ــ متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية •

ثانيا : طالب أهل الولاية أكثر من مرة بتطبيق التجنيد الاجبارى عليهم وتوفير الأسلحة لهم ، ومع أن الوالى العثمانى الفريق رجب باشا قد حاول عام ١٩٠٦ أن يدخل التدريبات العسكرية فى صفوف الأهالى الا أنه عندما عــين وزيرا للحربية بعد ثورة الاتحاديين فى تركيا توقفت هذه التدريبات بل جمعت الأسلحة من الأهالى بحجة الخوف من استعمالها للثورة ضد الدولة • ونقل ما يوجد بمخازن الولاية من أسلحة احتياطية الى استانبول •

ثالثــا : انتهز ابراهيم حقى باشا فرصة اندلاع ثورة فى اليمن ضد الدولة فسحب معظم كتائبالحامية العثمانية الموجودة بالولايةوتركت بدون قوات كافية للدفاع عنها ضد الطامعين فيها كما أن الدولة لم تهتم باصلاح الاستحكامات الحربية ومراكز الدفاع بالبلاد ولم تقم بمدها بالمدافع والذخائر اللازمة لأداء مهمتها •

رابعــا : عمدت وزارة ابراهيم حقى باشــا ـــ المتواطئة مع الطليان ـــ الى ســحب الموظفين الأكفاء والقواد العثمانيين أمثــال الفريق رجب باشا وغيره من العمل بولاية ليبيا ـــ ثم ما لبثت هــذه الوزارة أن استجابت لرغبات الطليان فسحبت من ليبيا أيضــا

واليها ابراهيم باشا بحجة أنه يسيء معاملة الطليان العاملين فى ليبيا ويعاكس نشاط بنك روما المشبوه فى طرابلس ، وبقيت ليبيا دون وال حتى حدث الغزو الايطالى لها •

خامسا : أهملت الدولة العثمانية شئون ليبيا الاقتصادية فى وقت عانت فيه البلاد القحط مما جعل الأهالى عرضة للمجاعة والمرض يفتكان بهم ، وقد مات من الناس عدد كبير دون أن تحرك الحكومة ساكنا وكانت حالة الناس السيئة هذه متعمدة من قبل الوزارة التركية حتى لا يستطيع الناس مقاومة الغزو الايطالى •

سادسا : كان بعض الولاة عونا للطليان ومشروعاتهم الاستعمارية فى ليبيا ، من أمثال هؤلاء حسن حسنى الذى عين عام ١٩٠٣ م واليا على طرابلس « وكان طوع ارادة الايطاليين ومنفذا لجميع مطالبهم ، وفى زمنه تطاولت الصحف الايطالية بالشتم على الطرابلسيين المعارضين للسياسة الايطالية ، وأخذت تغرى الحكومة الايطالية بالاسراع باحتلال طرابلس فاجتمع الناس ليؤلفوا مظاهرة يحتجون فيها على ما تنشره الصحف الايطالية فمنعهم حسنى باشا » (١) •

هذه أهم العوامل التى سهلت على الطليان غزو ليبيا واحتلالها عام ١٩١١ ، وهى عوامل تؤكد مسئولية الحكومة العثمانية مسئولية كاملة عن هذا الغزو وتثبت أن سياسة الحكم العثمانى فى ليبيا لم تكن حكيمة ولا سليمة بالنسبة لليبيين وبلادهم حتى أن الليبيين عندما حدث الغزو الايطالى لبلادهم شعروا بأن مستعمرا سلم مستعمرته — بلادهم — لمستعمر آخر وأن الخاسر فى هذه القضية هو الشعب الليبى الذى انتقل من استعمار تركى الى استعمار ايطالى •

---

(١) الزاوى : ولاة طرابلس ص ٢٧٩ .

ثانيا ــ التسابق الاستعماري الأوروبي واطماع ايطاليا في افريقيا :

تحققت الوحدة الايطالية عام ١٨٧٠ م ولم يكن قيام الوحدة الايطالية فى حد ذاته نهاية للمشكلات الاقتصادية والسياسية فى شبه الجزيرة الايطالية ذلك أنه بمجرد قيام الوحدة الايطالية اتجهت الحكومة الايطالية الى معالجة القضايا الداخلية ولكنها كانت تراقب تسابق الدول الأوروبية للحصول على مستعمرات لها وراء البحار خصوصا فى القارة الافريقية البكر ، وقد ساءها خروجها من مؤتمر برلين الذى عقد عام ١٨٧٨ م لبحث التوسع الاستعمارى الأوروبى ــ صفر اليدين دون أن تحصل على غنيمة تجعلها على قدم المساواة مع الدول الأخرى فى امتلاك المستعمرات •

وكانت افريقيا هى المجال الذى اتجهت اليه أنظار الايطاليين لامتلاك مستعمرات فيها بعد أن فشلت أو أدركت عدم قدرتها فى التوسع فى البحر الادرياتيكى وكان اهتمامها منصبا على الساحل الأفريقى المطل على البحر المتوسط على أمل استعادة مجد الامبراطورية الرومانية القديمة وكانت تونس بالذات هى مركز الاهتمام الأول • وان كانت ليبيا تنال أيضا اهتمام بعض الايطاليين كمجال حيوى للاستعمار •

وكان احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١ م ضربة موجهة لأطماع ايطاليا فى تونس مما أساء العلاقة بين فرنسا وايطاليا لدرجة جعلت الطليان يتجهون صوب دول وسط أوروبا ويتناسون العداء التقليدى مع النمسا بل ويدخلون فى تحالف مع النمسا وألمانيا كان الفضل فى ابرامه لبسمارك المستشار الألمانى الذى كان من المحبذين لفرنسا لكى تحتل تونس فتنصرف عن التفكير فى اقليمى الألزاس واللورين وقد كسب بسمارك ايطاليا الى جانبه مع النمسا فى تحالف ثلاثى •

اتجه الطليان لامتلاك أراض جديدة فى شرق أفريقيا ، وقد شجعهم الانجليز على ذلك حتى يقفوا معهم فى وجه التقدم الفرنسى الزاحف من وسط القارة نحو شرقها • فامتلكت ميناءى عصب ومصوع فيما يعرف

باقليم أريتريا وقد أغراهم ما صادفوه من نجاح فى هـذا المجال فأرادوا التوسع فى الأراضى المجاورة فاصطدموا بالأحباش الذين أنزلوا بالطليان هزيمة كبيرة فى عـدوة فى عام ١٨٩٦ م كانت نتيجتهـا انحسار النشاط الاستعمارى الايطالى فى شرق افريقيا وبقائه محصورا فى الشاطىء الشرقى دون محاولة التوسع الى الداخل •

وكان الفشل الذى منى به الطليان فى شرق القارة الافريقية سببا فى أن يعيدوا التفكير فى امتلاك أراض جديدة فى الشمال الأفريقى وخصوصا فى ولاية طرابلس الغرب وهى الولاية الوحيدة التى بقيت خاضعة للدولة العثمانية فى شمال أفريقيا • وكان مما شجعهم على هذا الاتجاه : —

أولا : أن الدول الأوروبية أرادت أن يـكون لايطاليـا مجال خارجى تنصرف اليه وتحقق فيه أطماعها ، فألمانيا والنمسا ترحبان بهذا حتى لا تطالب ايطاليا بمنطقتى ترنتينو وتريستا اللتين تحتلهمـا النمسا لتنتقص من الوحدة الايطالية، وانجلترة ترحب أيضا باتجاه ايطاليا الاستعمارى لأنها مشغولة بالمسألة المصرية ولأنها كانت تطمع فى احتـلال قبرص دون معارضـة أحد ، وكانت روسيا مشغولة بأمورها الداخلية ، أما فرنسا فقد سارعت بتأييد ايطاليا فى هذه الخطوة بعد أن تم تحسين العلاقات بينهما وتم التفاهم بينهما على أن تطلق يد فرنسا فى مراكش وتطلق يد ايطاليـا فى ليبيا • أما تركيا فلم يكن أى من الدول الأوروبية يعمـل لهـا حسابا لأنهـا كانت فى نظرهم رجـل أوروبا المريض وتتسابق الدول الأوروبية لاقتسام ممتلكاتها •

ثانيـا : المشكلات السياسية والاقتصادية والسكانية التى كانت تعانيها ايطاليا، فقد أرادت الحكومة الايطالية التخلص من الثورات التى كانت تندلع بين حين وآخر فى الأقاليم الايطالية وأدى ازدحام السكان الى البطالة والفقر والجوع ، بينما تكدست الأموال عند بعض الأثرياء • لهذا كان علاج ازدحام السكان واستثمار رؤوس الأموال الايطالية دافعا لاقدام ايطاليا على احتلال ليبيا •

ثالثـا : تصور الطليان أن الأراضى الليبية ذات خير وفير وتبشر بانتاج كبير اذا أحسن استغلالها واستندوا فى ذلك عـلى جواسيسهم ومبعوثيهم الذين كانوا يجوبون البلاد بحجة البحث العـلمى ولكنهم كانـوا يبعثون بتقاريرهم الى حكومتهم عن أحـوال البلاد • شجعت الحكومة الايطالية على اشاعة صورة مشرقـة ومبالغ فيها للأراضى الليبية وانتاجها بين الايطاليين لينزح منهم الكثيرون الى ليبيا لتعميرها كما كانوا يطلقون عليهم •

رابعـا : وجود سياسيين ايطاليين يرسمون سياسة ايطاليـا الاستعمارية ويتحمسون لها أمثال السنيور كرسبى Crispi رئيس الوزارة الايطالية فى المدة من ١٨٨٧ الى ١٨٩١ م ثم عودته للحكم من ١٨٩٣ الى ١٨٩٦ م حيث سقط بسبب الفشل فى الحرب ضـد الحبشة ومثل « السنيور جوليتى Giolitti الذى تولى الوزارة من عام ١٨٩٢ الى عام ١٨٩٣ م ثم عاد للحكم مرة أخرى عام ١٩١١ م حيث تم الغزو الايطالى لليبيا فى عهد وزارته » (١) •

خامسا : شعور الايطاليين بالنقص لتخلفهم عن تكوين مستعمرات لهـم فى الوقت الذى تسابقت فيه الدول الأوروبية على امتلاك أراض جديدة فيما وراء البحار وقد ساعد شعور الايطاليين بالنقص هذا وبأنهم لا يزالون فى مصاف الدول الصغيرة على انـدفاع الايطاليين فى مغامرتهم لغزو ليبيـا واحتلالها • ومنذ تحددت أطماع ايطاليا فى الأراضى الليبية اتبعت الحكومات الايطاليـة المتعاقبة على الحكم من الأساليب الملتوية ما يساعدها فى النهاية على هذه البلاد • ومن هذه الاساليب :

أولا : التأثير فى موقف الدولة العثمانية عن طريق التأكيد العلنى بأن لا مطمع لايطاليا فى ليبيا سوى أن يسـودها الأمن ليمارس الايطاليون نشاطهم المشروع فيها ، وعن طريق شراء أصوات رجال الدولة العثمانية

---

(١) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ــ ص ١٠ .

أمثال الصـــدر الاعظم ابراهيم حقى باشا وغيرهم ممن تسلموا أموالا ايطالية وساهموا فى تسليم ليبيا لقمة سائغة لايطاليا .

ثانيا : فتح المدارس الايطالية المجانية فى طرابلس وبرقة لنشر ثقافتها بين الأهالى ، الى جانب المستشفيات والملاجىء الصحية التى كان مظهرها تقديم الخدمات الانسانية وجوهرها التأثير فى الناس لمصلحة ايطاليـا الى جانب نشاط الجماعات التبشيرية الايطالية فى هذا المجال .

ثالثا : ارسال البعثات تحت ستار البحث العلمى ولكنهـا كانت فى الواقع تقوم بدراسة علمية عملية عن أراضى البلاد وتضع المصـورات والخرائط لها ، أى أن نشاطها كان لخدمة الغرض الاستعمارى لايطاليـا وليس لخدمة العلم كما كانوا يدعون .

رابعا : انشاء بنك دى روما Banco di Roma الذى تأسس فى طرابلس عام ١٩٠٥ م وأصبح له فروع فى أنحاء من البلاد ، وكان هذا البنك يقدم القروض للمزارعين الليبيين ويشترى الأراضى الزراعيـــة من المواطنين بأثمان مغرية ويستولى على الأراضى التى اقترض أصحابها نقـودا من البنك وتأخروا فى سدادها ثم أنه كان يمول عمليات الدعاية الايطاليـة بين الأهـالى .

خامسا : تهيئة الاذهان سواء فى ايطاليا ذاتهـا أو عنـد الشعوب الأوروبيـة لفـكرة استيلاء ايطاليا على ليبيـا وقد استخدمت فى ذلك السفراء والصحف حتى بات الشباب الايطالى يتغنى بطرابلس الجميـلة ويمنى نفسه بيوم امتلاكها واحتلالهـا وقد ذكرت جـريدة الترقى التى تصدر فى طرابلس فى عددها الصادر بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩١١ م تحت عنوان « ايطاليا فى طرابلس الغرب : وافتنا هذا الأسبوع عـدة جرائد ايطالية وقد نشرت كل منها مقالتها الافتتاحية تحت هذا العنوان وكلهـا تحث الحكومة والشعب الايطالى بصراحة وبلا حياء على احتلال طرابلس الغرب وبنغازى واجلاء الحكومة العثمانية من هاتين المملكتين قبـل أن

تنقوى » (١) •• وأوضح المحرر أسفه لهذه الأفكار التى أوردها محررو الصحف الايطالية ودعموها بالوقائع التاريخية وبأن تركيا لا وجود لهـا تاريخيا فى ليبيا ، واستكثر المحرر أن يصدر هذا الكلام من أناس أبناؤهم يعيشون ويثرون فى ليبيا ويتمتعون بخيراتها •

سادسا : قيام القنصلية الايطالية فى كل من طرابلس وبنغازى بدور كبير كمركز للنشاط السياسى والدعاية الايطاليـة والتأثير فى المواطنين والتجسس على أهل البلاد ومراكز الدفاع عنها ووسائله وقد استطاعت دعاية الايطاليين التأثير فى بعض ذوى النفوس الضعيفة من الليبيين فكانوا لها عونا فى مشروعاتها الاستعمارية •

اتبعت ايطاليا هـذه الأساليب حتى اذا أتمت استعدادها وصلحت أحوالها الداخلية وقويت جاليتها فى ليبيا وزاد عددها وجاءت الظـروف التى تجعل الاحتلال أمرا لا مفر عنه ، أقدمت ايطاليا على ارسال جيوشها الى هذه البلاد لاحتلالها •

وفى ٢٣ سبتمبر عام ١٩١١ م قدم سفير ايطاليا فى الآستانة للبـاب العالى التقرير التالى : ان دولتى استخبرت بصـورة سرية أن الضباط ورجال جمعية الاتحاد والترقى الجهلة المتعصبين عرضوا للخطر الشديد أمن الرعايا الايطاليين بتحريضهم أهـالى طرابلس الغرب وبنغـازى ضـدهم •• » (٢) وأضاف التقرير أن وصـول السفن التركية المحملة بالجنود والذخيرة أمر لا يمكن السكوت عليه •

وفى ٢٨ سبتمبر من نفس العام وجهت ايطاليا انذارا للباب العـالى بواسطة السفير الايطالى لدى الباب العالى ومدة الانذار ٢٤ سـاعة ليوافق على احتلال ايطاليا لولاية ليبيا ، وقد أجاب الباب العالى على هذا الانذار كما أجاب على التقـرير السابق اجابات متخاذلة تستجدى فيها السلم والصلح مع ايطاليا ، ولـما كانت نية الايطاليين مبيتة من قبل

---

(١) جريدة الترقى : العدد ٢٠٣ السنة الخامسة (دار المحفوظات التاريخية)
(٢) عزيز سامح : الاتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية ــ ص ٢١٤ .

لاحتلال ليبيا وأنها اتخذت من هذه الانذارات وسيلة اعلامية فقد أعلنت ايطاليـــا الحرب على تركيا يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩١١ م وبدأ الأسطول الايطالى ضرب مدينة طرابلس فى ٣ أكتوبر ١٩١١ م وبدأ به الغزو الطائش البربرى الايطالى للأراضى الليبية •

مقـاومة الليبيين للغـزو الايطالى :

لسنا هنا فى مجال سرد الوقائع التاريخية والمعارك الحربية التى خاضها الشعب العربى فى ليبيا ضد الغزو الوحشى الايطالى لبلاده لأن هـذا ليس موضوعنا ولكننا سنشير هنا اشارات سريعة حتى نعطى هنا الشعب حقه من التقدير بسبب ثباته بقوته وامكانياته القليلة أمام جحافل الغـزو البربرى المدعم بأحدث الأسلحة فى ذلك الوقت •

لم يكن هذا الغزو مفاجئا لأبناء ليبيـا ، اذ أنهم أدركوا قبل وقوعه بسنوات الأطماع الايطالية فى بلادهم ، وقام زعمـاء منهم ينبهون أهليهم الى الأغراض الاستعمارية والخطيرة التى كان يرمى اليها مثلا بنك دى روما وبعثات التبشير والمدارس الايطالية ، والدعاية الايطالية كما أنهم كانوا دائمى الاتصال بالسلطات العثمانية سواء فى مركز الولاية أو فى مقر الدولة والخلافة لتوضيح مقاصـد الايطاليين ويطالبون بتسليح البـلاد وامداد الأهالى بالأسلحة والذخائر وارسال قوات نظامية كافية للدفاع عن البلاد ضد الخطر المنتظر ولكن ذهبت جهودهم ونداءاتهم أدراج الرياح « فقد أبرق أعيان وزعماء طرابلس الى الصدر الأعظم ابراهيم حقى باشا يعلمونه أنهم عازمون على رد كل هجوم وطلبوا ارسال وسائط تحصينات طرابلس المهملة والذخائر الحربية والبحرية وأطعمة لمـدة عام ، والدخول مع الايطاليين فى محادثات لمنحهم امتيازات فى طرابلس وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر نقطة من دمائهم » (١) •

---

(١) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية ــ ص ٢٢١ •

أرسلت هذه البرقية فى ١٥ سبتمبر ١٩١١ • ولكنها أرسلت لمن ؟ •• لابراهيم حقى باشا المتآمر مع الايطاليين ! ! وعلى هذا لم يصل ليبيا ما طلبه زعماؤها فى برقيتهم وطال انتظارهم حتى وقع الغزو الايطالى فقاموا يدافعون عن وطنهم دفاعا مستميتا ويقاتلون بكل ما تصل اليه أيديهم ولم يرهبهم ما أظهره الغزاة من وحشية فاقت كل تصور •

لقد كان الايطاليون يقدرون كل التقدير ما سوف يلقونه من مقاومة على أيدى المواطنين العرب الليبيين • ولقد فكر الايطاليون عام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ انتهاز فرصة الثورة التى قام بها حزب الاتحاد والترقى فى تركيا لتنفيذ مآربهم باحتلال ليبيا ، الا أن أحد جواسيسهم قد نبه رئيس الوزارة الايطالية آنذاك ـ جوليتى ـ الى أنه من الخطأ أن يحسب حساب القوات التركية القليلة والمبعثرة فى أنحاء ليبيا فقط ، بل يجب عليه « أن يحسب حساب الشعب العربى الذى يمتاز بصفات حربية جريئة خصوصا قبائل الرحل فى الدواخل المتعودة على حياة الصحراء الصعبة والتى تحمل السلاح بصورة مستمرة » هـذا فى طرابلس أما فى برقة فانه « توجد تنظيمات عسكرية حقيقية ترجع رئاستها الى سنوسى الكفرة والجغبوب » (١) ومن ثم صرف رئيس الوزارة الايطالية النظر مؤقتا عن احتلال ليبيا •

وعلى هذا فان الشعب العربى فى ليبيا دافع عن بلاده دفاعا مجيدا ضد العدوان البربرى الايطالى الذى استولى على المدن الساحلية طرابلس والخمس وبنغازى ودرنة فى شهر أكتوبر سنة ١٩١١ ، ولم يكن هـذا الاستيلاء سهلا وانما قاومه الليبيون مقاومة عنيفة ، وقد حاول الطليان ارهاب الليبيين بوحشيتهم ليكفوا عن المقاومة دون جدوى فما كان من ايطاليا الا اعلان السيادة على طرابلس وبرقة فى ٦ نوفمبر ١٩١١ م مما جعل الثوار العرب الليبيين فى نظرها عصاة يستحقون الاعدام •

حقيقة اشتركت القوات التركية القليلة العدد فى مقاومة الغزو الايطالى ولكن هـذه القوات كانت مبعثرة هنا وهناك وكانت تجهيزاتها الحربية

---

(١) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ـ ص ١١ •

وتدريباتها العسكرية ضعيفة وقليلة بحيث حمل المواطنون العرب الليبيون عبء القتال وحدهم مع المساعدات المادية والمعنوية التى لقوها من قبل الدول العربية والاسلامية وخصوصا مصر وتونس اللتين قامتا بدور كبير فى مد المجاهدين بالمتطوعين والاسلحة والمؤن ، وبمراكز لتجمع المساعدات من الدول العربية والاسلامية الأخرى •

ولتحديد مواقف الشعب العربى فى ليبيا ضد الغز الايطالى فانه يجب أن تتناول مواقف النضال فى كل من طرابلس وبرقة • ذلك أن الوضع فى كلا الاقليمين كان يختلف بعض الشىء كل منهما عن الآخر ، ففىطرابلس ـمركز الولاية ومقر الحكمـ حمل زعماء القبائلورؤساء البلادالوطنيون عبء تنظيم مواطنيهم لمقاومة الغزو • ومن هؤلاء الزعماء بشير السعداوى بالخمس وفرحات بك فى الزاوية ، وسليمان البارونى فى الجبل الغربى ، ورمضان السويحلى فى مصراتة ، وعبد النبى بالخير فى أورفلة (بنىوليد) وأحمد المريض فى ترهونة وغيرهم كثير ممن تزعموا الجهاد ووقفوا على رأس قبائلهم يواجهون الغزو الايطالى لبلادهم •

وقد حاول هؤلاء الزعماء تنظيم صفوفهم فى كتلة واحدة فتشكلت حكومة برئاسة سليمان البارونى لم تلبث أن انتهى أمرها برحيله الى تركيا فى أواخر عام ١٩١٣ م ، ثم اعلان الجمهورية الطرابلسية التى أسهم فى وجودها المجاهد العربى المصرى عبدالرحمن عزام ، والتى ضمت الزعماء الأربعة لرئاستها وهم : سليمان البارونى ، ورمضان السويحلى ، وأحمد المريض ، وعبد النبى بلخير ، وقد أعلنت فى ١٨ نوفمبر عام ١٩١٨ واعترفت بها ايطاليا وتفاوضت معها وعقدت معها صلحا فى ٢١ ابريل ١٩١٩ م عرف بصلح بنيادم (بنى آدم) كانت ايطاليا ترمى من ورائه الى نزع سلاح العرب بينما استفاد منه الليبيون فى اعتراف ايطاليا بحكومتهم بعد أن تخلت عنهم تركيا فى صلحها مع ايطاليا الذى عرف بصلح أوشى (لوزان) فى ١٨ أكتوبر عام ١٩١٢ م •

ذلك أن الحكومة التركية بعد أن أظهرت خنوعها أمام الانذار الايطالى أرادت أن تتخلص من الصدام مع الايطاليين ولذلك حاولت أن توسط

بعض الدول الأوروبية ليتم صلح بينها وبين ايطاليا، وقد تم عقد هذا الصلح فى عام ١٩١٢ ــ كما أشرنا ــ ونص على أن تسحب تركيا جنودها من ليبيا ومنح السلطان العثمانى أهل ليبيا الاستقلال الداخلى • بينما أعلن ملك ايطاليا لليبيين أن بلادهم خاضعة خضوعا تاما للسيادة الايطالية وقد انسحبت على الفور القوات التركية •

وقد رفض العرب الليبيون هذا الصلح ولكنهم استفادوا منه فى تشكيل حكومة محلية لتنظيم المقاومة ضد الغزو الايطالى وقد بذلت مجهودات فى تشكيل هذه الحكومة كما سبق ذكره ــ أخذت على عاتقها القيام بهذه المهمة ونجحت فى الحاق الهزائم بالجيوش الايطالية وأحسنت ادارة البلاد الداخلية رغم حداثة عهدها بمثل هذا العمل ، وساعدها على ذلك قيام الحرب العالمية الأولى وانشغال ايطاليا بالاشتراك فيها ومساعدات الغواصات الألمانية للمجاهدين بالأسلحة هذا الى جانب ما بذله متطوعو البلاد الاسلامية من مساهمة فعالة باستمرار للمقاومة وتنظيم الادارة وعلى رأسهم عبد الرحمن عزام باشا وصالح حرب باشا ومحمود عبد الواحد بك وكثير من المجاهدين الذين استشهدوا فى هذه المعارك ومن بينهم ابراهيم عوض المصرى •

على أن تتبع حوادث المعركة والجهاد ضد الغزو « لا يخلو من بعض المآخذ لانشغال الأهالى فى اختلافات وخصومات داخلية أعطت الفرصة للايطاليين وكان أهمها النزاع بين السنوسيين ورمضان بك السويحلى وأتباعه فى مصراته وهى وان رجعت فى أصولها الى اختلاف فى الرأى الا أنها سرعان ما تطورت واتخذت شكل التعصب القبلى» (١) هذا الى جانب الخلافات بين زعماء الجهاد فى طرابلس مثل الخلاف بين رمضان السويحلى فى مصراتة وعبد النبى بلخير فى أورفلة وغيرهم ، أضرت هذه الخلافات بالجهاد ومكنت الايطاليين من تدعيم مراكزهم التى حصلوا عليها وأخذوا يتوسعون من مواقعهم التى حصلوا عليها من قبل •

(١) مصطفى بعيو : فى تاريخ لوبيا ــ ص ١٢٤ .

وفى برقة كان الموقف يختلف بعض الشيء عن مثيله فى طرابلس وذلك أن الشعب العربى هناك تحمل أيضا عبء مواجهة الغزو الايطالى ، الا أنه كان أكثر تنظيما وأكثر استعدادا بسبب وجود السنوسية فى تلك البلاد ، وقد كانت السنوسية منذ نشأتها فى اقليم برقة تعمل على انشاء دولة .. وقد سبق أن ذكرت أن تركيا اعترفت بهذه الطريقة الدينية وأعطتها بعض الامتيازات . وقد بذلت السنوسية جهودا كبيرة فى تنظيم المجتمع العربى فى برقة فى وحدات ادارية ودينية وسياسية هى الزوايا التى انتشرت فى كل أجزاء برقة وبين قبائلها جميعا كما حرصت على تسليح أبناء القبائل وتدريبهم وقد مارس العرب تحت قيادة السنوسية الحرب بمقاومة التوغل الفرنسى فى أفريقيا . هذا الى جانب أن بعض القوات التركية بقيت فى برقة لتساند أهلها فى مقاومة الطليان وكان يقود هذه القوات بعد انسحاب الأتراك من طرابلس ومعظم قواتهم من برقة كان يقود القوة الباقية فى برقة عزيز المصرى باشا .

وبعد صلح أوشى (لوزان) فى أكتوبر ١٩١٢ م الذى أقر انسحاب القوات التركية من ليبيا ، زار أنور باشا القائد التركى المنسحب زار السيد أحمد الشريف زعيم السنوسية فى مقره بالجغبوب وأبلغه « اسناد أمر الأمة الليبية الى سيادته واخباره بأن الخليفة منح الأمة الطرابلسية (الليبية) استقلالها تاركا لها الحق فى أن تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها » (١). ويمكن اعتبار هذا التبليغ بمثابة بداية لاستقلال الادارة السنوسية فى برقة ومن ذلك الحين صارت مراسلات السنوسية تختم بخاتم الحكومة السنوسية .

وقد استطاعت ايطاليا احتلال الأجزاء الساحلية من برقة بينما بقيت المناطق الداخلية تحت اشراف السنوسية ، واتخذت الحرب ضد الطليان شكل حرب عصابات وتحمل المجاهدون عبء الدفاع عن بلادهم وقد صادفتهم عقبات شديدة منها انسحاب القوات التركية بقيادة عزيز المصرى بأمر من الحكومة التركية ، ومنها أنه عند قيام الحرب العالمية الأولى

(١) د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ــ ص ٨٤ .

وانضمام ايطاليا الى الحلفاء أغلقت السلطات البريطانية التى فرضت حمايتها على مصر الحدود فى وجه المؤن والامدادات من مصر الى برقة هذا الى جانب انحباس الأمطار ووقوع القحط فى البلاد بالاضافة الى فشل حملة سنوسية ضد حدود مصر الغربية بتحريض من ضباط أتراك وألمان بقصد فتح جبهة ثانية أمام الجيش الانجليزى فى مصر ، مما اضطر فى النهاية الى تنازل السيد أحمد الشريف عن القيادة السياسية والعسكرية فى برقة الى السيد محمد ادريس المهدى الذى أدرك خطورة الأمر وأنه من الأفضل التفاوض مع الانجليز والايطاليين لاقرار السلام فى برقة ، وقد تم عقد عدة اتفاقات عام ١٩١٧ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ أقرت عدة امتيازات سياسية لايطاليا وأمنت حدود مصر الغربية .

وبالنسبة لبرقة فقد استفادت من هذه الاتفاقات فى الحصول على المؤن وفى الاعتراف الرسمى بحكومتها من قبل الانجليز والايطاليين الى جانب القانون الأساسى الذى أعطى لليبيين بعض الحقوق المدنية مثل تأمينهم فى عبادتهم وملكيتهم الفردية وانشاء المدارس واحترام لغة البلاد ، الى جانب انتخاب مجلس نيابى فى ١٩٢١ استمر حتى مارس ١٩٢٣ عندما تولى الفاشست مقاليد الأمور فى ايطاليا وألغيت جميع الاتفاقات التى عقدت مع الليبيين .

وبناء على هذه الاتفاقات توقف الجهاد فى برقة وذلك أن ايطاليا كان يهمها هذا بسبب ما بذلته من جهود انهكتها فى الحرب العالمية الأولى ، ورأت أن تغير من أسلوب الحرب الوحشية ضد الليبيين الى اتباع سياسة المهادنة مع المجاهدين الليبيين ومحاولة الوقيعة بين هؤلاء المجاهدين ليصير لها فى النهاية السيطرة على المتنازعين وقد نجحت فى هذا نجاحا دفع الليبيين المخلصين الى محاولة جمع شتات المتخاصمين وايقاف المنازعات بين الزعماء فى طرابلس وبينهم وبين السنوسية فى برقة وبالفعل تم عقد عدة اجتماعات لهذا الغرض انتهت بموافقة معظم زعماء طرابلس على مبايعة الأمير محمد ادريس المهدى السنوسى أميرا على برقة وطرابلس لتقوم حكومة موحدة تمارس الجهاد ضد الايطاليين وقد قبل الأمير المبايعة فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

أما فزان فقد استطاع الطليان احتلال عاصمتها مرزق عام ١٩١٤ م ، ولكنهم سرعان ما تركوها بسبب مقاومة أهلها العنيدة وانشغال الايطاليين أنفسهم فى الحرب العالمية الأولى ولكنها كانت مسرحا لحروب بين المتنازعين من الليبيين أنفسهم حتى سيطر عليها السنوسيون .

ويمكن اعتبار الجهاد ضد الطليان فى طرابلس وبرقة متصلا من عام ١٩١١ الى عام ١٩١٧ م ، ثم توقف الى عام ١٩٢٣ وفترة التوقف هذه كانت فترة هدنة واتفاقات بين الايطاليين والليبيين وهى الاتفاقات التى أقــرت بعض الأمور التى أشرنا اليها ســابقا والتى تمنح الليبيين بعض الحقوق وتضمن لهم الأمن وممارسة حياتهم مع وجود الاحتلال الايطالى ، ولكن حدث فى ايطاليا ذاتها أن استولى على مقاليد الحكم الحزب الفاشستى فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢ م وكان وصــول الفاشست الى الحكم نذيرا ببدء الجهاد من جديد فى ليبيا ضد الايطاليين لأن الفاشست ألغوا جميع الاتفاقات السابقة مع الليبيين وكان أن سافر الى مصر الامير محمد ادريس فى ديسمبر ١٩٢٢ م تاركا أمر الجهاد واستأنف الليبيون مقاومتهم ضــد الاحتلال الايطالى .

التعليم فى هــذا العصر :

من الطبيعى أن يكون التعليم صورة لأحداث هذا العصر الايطالى الأول فى ليبيا ، ومن الطبيعى أن تكون السياسة التعليمية للغزاة تابعــة من سياستهم نحو « المستعمرة » تلك السياسة التى عبر عنهــا أحــد السياسيين الايطاليين بقوله : لقد امتلكنا مستعمرة فقيرة فقرا واضحــا وليس من سياستنا استبدال الوطنيين بالطليان ولكن جعــل الوطنيين يندمجون فى خططنا الاقتصادية وبالنسبة للمدارس فيجب أن نصل الى الأسرة من خلال التلاميذ ويجب أن تتخلل القبائل بالتعليم » (١) .

وعبر ايطالى آخر عن وجه آخر لهذه السياسة التعليمية فقال « لقد كانت المدارس القليلة التى أنشئت فى المدينة ـــ طرابلس ـــ وبعض المراكز

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 18.

الأخرى التى احتلتها قواتنا كانت لمجـرد تعليم الأطفال الايطاليين وبعض العرب كدليل أمام الوطنيين على اتجاهنا التعليمى السلمى » (١) •

ومن هذا تتضح السياسة التعليمية لايطاليا فى ليبيا تلك السياسة التى لا تخرج عن كونها سياسة مستعمر يريد تدعيم استعماره لأرض جديدة يقاومه أهلها • فقد توقف النشاط التعليمى عند دخول الايطاليين للأراضى الليبية بسبب انشغال الأهالى بمقاومة الغزو الى جانب ما صاحب الجهاد من جو ارهاب ووحشية عطل كل نشاط وكل مظاهر الحياة فى المناطق التى احتلها الايطاليون •

وقد أخـذ الايطاليون يعملون منـذ اللحظة الأولى التى وطئت فيها أقدامهم أرض ليبيا للسيطرة على البلاد بطريقتين استعماريتين هما تشجيع الهجرة من ايطاليا الى ليبيا • وطلينة الثقافة والتعليم حتى تضمن ايطاليا خضوع الليبيين وقبولهم لادعاء الاحتلال الايطالى بأنه جاء لتمدين الشعب الليبى والتقدم به • وعلى هذا فقد توقفت جميع الجهود التعليمية الـتى بدأت فى ليبيا فى عصر الحـكم العثمانى توقفا تاما فى المناطق التى احتلها الايطاليون والتى تتمثل فى المدن الساحلية ، أما بقية البلاد فقد تأثر التعليم فيها أيضا بدخول الايطاليين الأراضى الليبية بانشغال المواطنين بأمر الجهاد الا أن الكتاتيب بقيت تؤدى دورا تعليميا محدودا وحتى الزوايا السنوسية سرعان ما تعرضت للاهمال والتدهور نتيجة انصراف القائمين عليها الى تنظيم حركة الجهاد •

ولم تكن هناك سياسة تعليمية فى بداية عهد الاحتلال لتعليم المواطنين الليبيين وحتى التعليم الابتـدائى وتعليم الكتاتيب لم يسلما من التدخل وفرض السيطرة من جانب المستعمرين الا أن سلطات الاحتلال فى ليبيـا اتخذت بعض الاجراءات التعليمية فى أوائل عام ١٩١٢ هى :

أولا : بدء قيد التلاميذ بالمدارس فى المناطق التى تم احتلالها حتى يوم ١٢/٢/١٩١٢ وذلك بقصد ايهام المواطنين بحرصهم على تعليم أبنائهم لتمدينهم •

---

(1) Ibid .

ثانيا : استخدام المعلمين الايطاليين واستكمال النقص فى المعلمين باستخدام الضباط وصف الضباط من قوات الاحتلال الذين يمكنهم القيام بالتعليم • وهذه الخطوة تهدف الى السيطرة على التعليم بوجود المعلم الايطالى لتعليم المواطنين الليبيين •

ثالثا : صارت تبعية التعليم فى ليبيا لوزارة الحرب الايطالية فى روما ، وهذه التبعية تحكم على التعليم بالسير فى الخط الذى تراه سلطات الاحتلال العسكرى الايطالى دون النظر الى المبادىء التربوية والانسانية المرتبطة بالتعليم •

رابعا : «وفى سبتمبر ١٩١٢ افتتحت سلطات الاحتلال معسكرا تعليميا للأطفال الذين ذهب أهلوهم ضحية المذابح التى قام بها الطليان فى منطقتى المنشية والهانى ــ بطرابلس ــ حيث يتلقى هؤلاء الأطفال تعليما أوليا يتمثل فى القراءة والكتابة باللغتين الايطالية والعربية الى جانب بعض التدريب المهنى فى ورش مدرسة الفنون والصنائع بعد أن مارست نشاطها » (١) •

ولكن الفشل الذريع كان من نصيب هذه الخطة التى تمثلت فى هذه الاجراءات ولم تخف على المواطنين فى المناطق المحتلة من البلاد الأهداف الاستعمارية التى ترمى اليها والتى ربما كان أقلها الحيلولة بين هؤلاء المواطنين وبين مجرد شعورهم بأنهم مواطنون عرب ليبيون •

ونتيجة لذلك قررت وزارة المستعمرات ــ عقب معاهدة لوزان فى أكتوبر ١٩١٢ م ــ عمل دراسة عن التعليم فى ليبيا للتعرف على وجهات نظر المواطنين الليبيين ، وكانت نتيجة هذه الدراسة « صدور مرسوم ملكى برقم ٥٦ فى ١٥ يناير عام ١٩١٤ م نص على ما يلى » (٢) :

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 87.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

١ ــ انشاء مدارس عربية ايطاليــة ألحقت ادارتها بوزارة المعارف ووزارة المستعمرات الايطالية فى روما وهــذه المدارس ابتدائية ومــدة الدراسة بها ثلاث سنوات •

٢ ــ كان منهج الدراسة بهذه المدارس يشتمل على المواد الدراسية الآتيــة :

ــ اللغة العربية والدين •
ــ اللغة الايطاليــة •
ــ الحساب الأولى (مبادىء الحساب) •
ــ معلومات أوليــة فى الزراعة •
ــ الأناشيد والمحفوظات •
ــ معلومات عامة عن ايطاليا وافريقيا •
ــ مبادىء عامة فى الصحة •
ــ التربيــة البــدنية •

٣) اقتصر عمل المعلم العربى على تدريس اللغة العربية والدين فقط وتركت جميع المواد الأخرى للمعلم الايطالى وهذا يؤكد أن المعلم العربى كان مساعدا فقط للمعلم الايطالى فى تربية أبناء المواطنين العرب ! •

ولما رأت سلطات الاحتلال انصراف الاهالى عن هذه المدارس لعدم اطمئنانهم الى ذلك النوع من التعليم الذى كانت توفره لهم الســلطات الايطالية ولم يلمسوا أهميته فى حياتهم •• ولعل عدم اطمئنانالليبيين الى التعليم الذى أوجدته سلطات الاحتلال الايطالى يرجع الى عدة عوامل لعل أهمها الشك فى أهداف التعليم فى ذلك الوقت وعدم الرغبة فى التعامل مع المحتلين والخوف على أبنــائهم من تأثرهم بأخلاق ومبادىء لا يرضى عنها الآباء والخوف من ضعف تأثير الدين الاسلامى فى نفوس أبنــائهم •• لذلك انصرف الكثــيرون منهم الى الكتاتيب والمســاجد والمدارس القرآنية ••

لمـا رأت سلطات الاحتلال هذا الانصراف من جانب الأهالى الى الكتاتيب استصدرت مرسوما ملكيا آخر برقم ٢٥٠ فى عام ١٩١٥ (١) للسيطرة على الكتاتيب والمدارس القرآنية وكانت بنوده كالآتى :

١ ــ تنظيم الكتاتيب وصرف مـكافآت مالية للفقهـاء ــ معلمى الكتاتيب ــ من الأوقاف • ومن خزينة المستعمرة •

٢ ــ تصرف الأموال على هذه الكتاتيب اذا توفرت فيها الشروط الآتيـة : (٢)

(أ) أن يتجاوز عدد التلاميذ فى الـكتاب الواحد خمسة وعشرين تلميذا تتراوح أعمارهم بين ٥ ــ ١٤ سنة •

(ب) أن يتضمن برنامج الكتاب مقررات فى اللغـة العربية ومبادىء الرياضيات الى جانب المقررات الدينية •

(جـ) يخضع الكتاب لرقابة المفتش الايطالى ومتابعته له •

وهكذا أخضعت السلطات الايطالية جميع النشاط التعليمى لرقابتها بقصد التأثير فىحياة الناسوتوجيهها لمصلحةالاستعمار،ومصلحةالاستعمار لا تعمل أبدا من أجل تقدم المستعمرين فى المستعمرة ولا تمدينهم وهـذا أمر طبيعى ، اذن فكل نشاط تعليمى توفره سلطات استعمارية انما هدفه تمكين هذه السلطات من رقاب الناس والسيطرة على مقدراتهم •

الا أن التعليم لاقى تقهقرا واضطرابا بسبب الحرب العالميـة الأولى واشتراك ايطاليـا فيها الا أن « وزارة المستعمرات الايطالية استصدرت قرارا بمرسوم ملكى تحت رقم ١٢٨٣ بتاريخ ١٦ يوليو ١٩١٧ نص على أن يستخدم ريع الأوقاف فى انشاء مدرسة ثقافية اسلامية ــ تؤسس فى تاريخ

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 87.

لاحق ـ ليتفق هـذا مع رغبة المواطنين المسلمين » (١) الذين ساءهم ما تفرضه سلطات الاحتلال من قيود على تعليمهم الدينى فى حين يستولى الايطاليون على أموال الوقف .

فكان صدور المرسوم الملكى برقم ٤٦٩ بتاريخ ١١ مارس ١٩١٧ (٢) والذى تضمن القانونين الأساسيين اللذين وضعا لطرابلس وبرقة ، واللذين منحا بعض الحقوق للمواطنين وقد تمثلت هذه الحقوق فى عدة أمور كما اتخذت عدة اجراءات من قبل السلطات الايطالية .. يمكن أن نعدد هذه الحقوق وتلك الاجراءات فيما يلى :

١) تأمين حرية التعليم لليبيين وجعل التعليم الابتدائى الزاميا للبنين.

٢) استخدام اللغة العربية فى التعليم وتدريس اللغة الايطالية بعـد الفرقة الثالثة الابتدائية .

٣) احترام تعليم العقيدة الاسلامية واعادة فتح الزوايا والكتاتيب .

٤) فصل ادارة التعليم فى ليبيا عن وزارة الحربوالمستعمرات ووزارة المعارف الايطالية وانشاء ادارة محلية للتعليم فى ليبيا لتكون حرة فى توجيه التعليم توجيها استعماريا مباشرا ، مع تشكيل لجنة استشارية تعليمية من شخصيات عربية تثق بها الادارة الايطاليـة .

٥) حرمان مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية من المساعدات المالية الحكومية واعتمادها فقط على أوقافها الخاصة .

ورغم أن هذا المرسوم أعطى بعض الحقوق للمواطنين الا أنها كانت منقوصة ولم تأخذ طريقها للوجود الحقيقى ولم تمارس من قبل أهل البلاد لأن سيف الاحتلال مسلط على كل عمل وطنى بنـاء .

---

(1) Ibid, P. 88.

(١)

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

وبنـاء على اعتراف ايطاليا بالجمهورية فى طرابلس وبالامارة السنوسية فى برقة فقد صدر قانونان برقم ٩٣١ وبرقم ٢٤٠١ لعام ١٩١٩ (١) ترتبت عليهما الاجراءات التعليمية التالية :

١) تأكيد حرية التعليم الخاص مع الاكتفاء فيه بالاشراف العـام من جانب السلطات الحاكمة •

٢) توفير تعليم ابتدائى الزامى محدود تماما من أجل أبناء المسلمين الذكور وحدهم •

٣) استخدام اللغة العربية فى التعليم بالمدارس الابتدائية والثانوية •

٤) تعليم اللغة الايطالية فى جميع الصفوف فيما عدا الثلاثة صفوف الأولى الابتدائية حيث يكون تعليمها اختياريا فى هذه الصفوف الأولى •

٥) ابتعاد المناهج الدراسية عما قد يسىء الى العقيدة الاسلامية •

٦) انشاء مرحلة تعليمية ثانوية ذات مرحلتين •

أ ــ مرحلة عامة ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات •

بـ مرحلة خاصة ومدة الدراسة بها سنتان وهى تتكون من شعبتين الشعبة الأولى فنية ، والشعبة الثانية عامة ، وتعد تلاميذها للتعليم العالى •

وفى بداية العام الدراسى ١٩١٩/١٩٢٠ وصل الى طرابلس المدير المكلف بالاشراف على التعليم بحيث يكون خاضعا للحاكم العـام الايطالى فى طرابلس ، بعـد أن تم تنظيم المدارس الايطاليـة والمدارس الايطاليـة العربيـة •

وفى سبيل جذب الناس ــ المواطنين ــ الى التعليم الذى تشرف عليه

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

سلطات الاحتلال فى ليبيا • اعترفت بالمدارس الآتية كمدارس رسمية مع محاولة انشاء ما لم يكن موجودا منها وهى :

١ ــ الكتاتيب والزوايا •
٢ ــ المدارس الوسطى (الثانوية) •
٣ ــ المدارس الزراعية والصناعية •
٤ ــ المدارس الابتدائية •
٥ ــ مدارس عليــا (جامعة) •
٦ ــ مدارس لتعليم البنــات •

فهل تم اجتذاب كل المواطنين لهذه المدارس ؟ • وهل مارست هذه المدارس نشاطها الطبيعى أو العادى فى تعليم أبناء البلاد ؟ • ان الاجابة عن هذين السؤالين يجعلنا نتعرض لمناقشة الفرص التعليمية المتاحة لأبناء البلاد فى هذه الانواع من المدارس وعلى هذا فستكون مناقشتنا شاملة للتقسيم التالى :

١ ــ المدارس العربية أو التعليم الوطنى •
٢ ــ المدارس العربية الايطالية •
٣ ــ المدارس الايطاليــة •
٤ ــ مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية •

وفى مناقشة كل قسم من هذه الأقسام سنتناول دراسة الفرص التعليمية المتاحة لليبيين بناء على موقف السلطات المحتلة وسياستها فى مجال التعليم •

اولا : التعليم الوطنى او المدارس العربية :

يحتوى هذا القسم من المدارس تلك المؤسسات التعليمية التى يتعلم فيها أبناء البلاد وحدهم وكانت قائمة قبل مجىء الايطاليين الى البــلاد أو استحدثها الايطاليون فى قوانين التعليم التى سبق الاشارة اليها •

فمن المعروف أنه كان فى ليبيا قبل الاحتلال الايطالى تعليم اسلامى

ديـني له مؤسساته القائمة على نشر الثقافة الاسـلامية والتى تمثلت فى الكتاتيب والزوايا والمساجد وكان الراغبون من أبناء البلاد فى التزود من هذه الثقافة الدينية يرحلون الى مصر والالتحاق بالجامع الأزهر كما يرحلون الى تونس للدراسة بجامع الزيتونة • والى جانب هذا التعليم الدينى كان يتوفر تنظيم تعليمى عصرى أو حديث أشرفت عليه سلطات الحكم العثمانية وتمثل فى المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية ، وكانت هناك مدارس رشدية واعدادية عسكرية بخلاف مثيلتها المدنية ، ثم كان هناك دار للمعلمين ومدرسـة صناعية هى الفنون والصنائع الاسـلامية والمدرسة الزراعية بسيدى المصرى •

•• كل هذه المؤسسات وجدت قبل مجىء الطليان الى أرض ليبيا ، ولم يكن من الطبيعى أن يبقى المستعمر على هـذه الانواع من التعليم ولذلك فقد توقف كل نشاط تعليمى بوقوع الغزو ـ وكما سبق أن ذكرنا ـ لانشغال المواطنين بمقاومة الغزو من ناحية ولرغبة الطليان فى وضع نظام تعليمى يتفق مع أهدافهم الاستعمارية •

وقد أوضحت القوانين الصادرة من قبل ملك ايطاليا النظام التعليمى الذى حاولت سلطات الاحتلال الايطالى فى ليبيا توفيره لليبيين • ويمكن توضيح السياسة التعليمية التى اختطتها سلطات الاحتلال بالنسبة للمدارس العربية فيما يلى :

أولا : السماح باسـتمرار التعليم فى الـكتاتيب والمدارس القرآنيـة بطريقتها التقليدية ولـكن تحت اشراف السلطات التعليمية وأن لا يمنح الكتاب أية مساعدة مالية الا اذا كان عدد تلاميذه أكثر من ٢٥ تلميذا « وأن يكون المنهج المتبع به قريب الشبه بالمنهج الموضوع للمدارس الابتدائية الحكومية التى تتكون من ثلاث سـنوات فى المدن الصـغيرة ومن خمس سـنوات فى المـدن الـكبيرة » (١) •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 88.

ثانيا : عدم التدخل فى النشاط التعليمى الذى تمارسه الزوايا السنوسية بصفة خاصـة وبقية الزوايا بصفة عامة ، طالما أن هـذه الزوايا لا تمارس أى نشاط عسكرى أو يحتفظ المنتسبون اليها بأسلحتهم وبهذا استمرت هذه الزوايا تؤدى دورها التعليمى التقليدى وهو التعليم الدينى الذى كان قائما بهـا منذ وجودها على الأرض الليبيـة .

ثالثا : أوجدت سلطات الاحتلال مدارس ابتدائية جديدة مدة الدراسة بها ثلاث سنوات فى القرى والمدن الصغيرة وخمس سنوات فى المدن الكبيرة وهى المدارس التى جعل فيها تعليم اللغة الايطالية وبقية المواد الدراسية بنفس اللغة اجباريا بعد السنة الثالثة واختياريا فى السنوات الثلاث الأولى ، واختير معلموها من الليبيين الذين تثق فيهم سلطات الاحتلال مع وجود معـلم ايطالى بمثابة مدير ويرأس المعلمين العرب الذين يعتبرون مساعدين له . وكانت هذه المدارس تعطى شهادة تتيح لحاملها دخول المدارس الثانوية العربية المقرر انشاؤها .

وكانت المدارس الابتدائية القائمة بسارسة وظيفتها التعليمية فى العام الدراسى ١٩١٤/١٩١٥ م « فى اقليم طرابلس توجد فى المراكز التالية : مدرستان بمدينة طرابلس ، ومدرسة واحدة بكل من جنزور والزاوية ، العجيلات ، زليطن ، مصراتة ، سرت ، بنى وليد ، القصبات ، غريان ، يفرن ، جادو ، وكان بها حوالى ٨٠٠ تلميذ . وفى برقة توجد هذه المدارس فى المراكز التالية : مدرستان فى بنغازى ومدرسة فى كل من البركة ، المرج ، درنة ، طبرق . وكان بها حوالى ٥٠٠ تلميذ » (١) .

رابعا : نصت القوانين الأسـاسية بالنسبة لاقليمى طرابلس وبرقة على

(1) Ibid P. 88.

انشاء مدارس ثانوية يتعلم بها أبناء المواطنين العرب ، وأن يتم تأسيس هذه المدارس فى مدينتى طرابلس وبنغازى فقط ، على أن تكون لغة التعليم هى اللغة الايطالية حيث يتعلم بها الطلاب مواد الدراسة : التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضية • فيما عدا اللغة العربية والدين الاسلامى • ومدة الدراسة خمس سنوات والدراسة فى السنوات الثلاث الأولى عامة وفى السنتين الأخيرتين يتخصص الطلاب فى احدى شعبتين : شعبة مهنية ، وشعبة علمية لاعداد الطلاب للدراسة العالية • الا أن هذه المدارس الثانوية لم تتح لها فرصة الوجود ولم تقدم خدمات تعليمية لأبناء الليبيين •

خامسا : وبالنسبة للتعليم الفنى الزراعى والصناعى فلقد توقف نشاط المدرسة الزراعية التى قامت بمنطقة سيدى المصرى بالقرب من مدينة طرابلس وبقيت البلاد دون مدرسة زراعية حتى سنة ١٩٢٦م• أما مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بمدينة طرابلس والتى كانت قائمة منذ عام ١٨٩٨ م فقد أغلقتها سلطات الاحتلال عام ١٩١١ وأعلنت عن افتتاحها مرة أخرى فى عام ١٩١٣ م بعد أن امتدت الى مناهجها وتنظيماتها أيدى الاستعمار الايطالى ، فقد أذاعت سلطات الاحتلال عن اعادة فتح هذه المدرسة بواسطة منشورات مكتوبة باللغتين العربية والايطالية •• يقول أحد هذه المنشورات ما يلى :

تفتح مدرسة الفنون والصنائع الكائنة بطرابلس بتاريخ ١٥ من شهر سبتمبر القادم ١٩١٣ الفرقة الاسلامية للصبيان وهى تحتوى على فروع للصنائع الآتية :

— معمل لنسج الحرير •
— معمل لنسج الصوف والقطن •
— معمل للخياطة •
— معمل للمصنوعات الجلدية •

— معمل للنجـارة •
— ورشة للحدادين الميكانيكيين •
— التمرين فى فن البنـاء •

وعلاوة على ذلك فان المدرسـة تعطى الدروس المشروحة أدناه لجميع الفروع السابق ذكرها بصفة عمومية وهى :

— تعليم اللغة الايطالية والحسابات ومبادىء العـلوم المدنية والوطنية •
— تعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الشريف •
— تعليم فنى الرسم والموسيقى •
— وتقصـد المدرسة بذلك أن تعطى للتلاميذ حقوق التربيـة والعلوم المدنيـة والدينية لجعل عمال ماهرين فى الصـنائع السابق ذكرها والتى تضاف عليها فيما بعد مع تقدم الوقت•
— وبعد مرور أربع سنوات تمضى بالمواظبة واكتساب العلوم تعطى المدرسة شهادة الكفاءة لمن يكون مستحقا لها وتعطى أيضا شهادة دالة على اتقان الصنعة فى نهاية الثلاث سـنين التـالية •

— وللدخول فى الفرقة الاسـلامية للصبيان بمدرسة الفنـون والصنائع الكائنة بطرابلس يلزم اتباع الشروط الآتية :
— أولا : قبول والد التلميذ أو من يقوم مقامه (أى موافقته)•
— ثانيا : يكون التلميذ مسلم الدين •
— ثالثا : تقديم شهادة حسن السلوك •
— رابعا : كشف طبى دال على سلامة البنية •

تحريرا بطرابلس الغرب فى ٢١ أغسطس ١٩١٣

الكوميساريو الوزارى : لويجى أندرويونى (مهندس) (١)

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

سادسا : وأما بالنسبة لاعـداد المعلمين فلم يكن من سياسـة الاحتلال الايطالى انشاء معاهد لتأدية هذه المهمة ، بل ان دار المعلمين التى وجدت فى بداية القرن العشرين بطرابلس قد اختفت من مسرح النشاط التعليمى فى ليبيا تحت الاحتلال الايطالى لان الاستعمار الايطالى لم يكن ليثق بالمعلم العربى ولادراك السلطات المحتـلة بخطورة وظيفة المعلم ، ولذلك فقد كان يتوفر فى كل مدرسـة معلم ايطالى يساعده معلم عربى يختار من بين الليبيين المتعاونين مع الطليان رغبة أو رهبة .

سابعا : ومع ذلك فقد حاول بعض الوطنيين المخلصين المساهمة فى تعليم أبنائهم فقد وجدت بمدينة طرابلس ــ مدرستان حرتان ــ أخذتا تعلمان مبادىء المعارف الحديثة باللغة العربية مع اهتمامهما الزائد بتدريس القـراءة والدين والقواعد والنحـو والتاريخ ، وهما مدرستا الحزب الوطنى والعرفان وكان أساتذتهما يلقون علومهم غالبا بلا أى مقابل مالى وجلهم من علماء وأدباء البلد من ذوى المكانة المحترمة » (٢) .

ثامنا : أما التعليم العـالى فقد نصت القوانين الأساسـية التى منحتها ايطاليـا لاقليمى طرابلس وبرقة على انشاء هذا النوع من التعليم ولكن كيف ينسجم هذا مع السياسة الاستعمارية سياسة طلينة الشعب العربى فى ليبيا ، نعم تنص القوانين على ما نصت لكن عندما يأتى دور التنفيذ تضـيع القوانين ونصوصها .. وتوجه سلطات الاستعمار الراغبين فى الاستزادة الى روما ! .

تاسعا : أما تعليم البنت فى ليبيا فقد أحجم الآباء عن تعليم بناتهم بعدما رأوه من وحشية المحتلين وسوء سلوكهم الخلقى الذى يتنافى مع الشرائع الاسلامية والتقاليد العربية ، وقد حاول الايطاليون انشاء

---

(٢) محمد بن مسعود : كأنك معى فى طرابلس وتونس ــ ص ١٥٤ .

مدارس لتعليم البنت الليبية . فنصت القوانين الاساسية كذلك على انشاء مدارس تعلم البنات العربيات المسلمات العلوم المنزلية الى جانب العلوم العادية التى تعطى للبنين ، وقد اقترح أن تكون مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات ، السنة الأولى اعدادى أو تمهيدى والأربع سنوات التالية دراسة عادية للتعليم العام . وكان هذا التعليم أيضا مجرد نصوص قوانين لم تر النور .

ثانيا — المدارس العربية — الايطاليـة :

يختلف هذا النوع من المدارس عن النوع السابق المماثل فى أنه يقبل تلاميذ من الليبيين والايطاليين على السواء ، وهى فكرة استعمارية قصد بها التأثير فى المواطنين العرب عن طريق اختلاط أبنائهم مع أبناء الايطاليين فى مدرسة واحدة ، وجاء انشاء هذا النوع من المدارس كمرحلة تدريجية لجذب التلاميذ العرب الى التزود من الثقافة الايطالية ، ولتعليم التلاميذ الايطاليين اللغة العربية تعليما يساعدهم على فهم ظروف البلاد وأحوالها وبالتالى يمكنهم من الاختلاط مع زملائهم العرب والتأثير فيهم .

وكانت هذه المدارس توازى المرحلة الابتدائية التى أوجدها الايطاليون للتلاميذ العرب فقط .. وذلك أن مدة الدراسة بها كانت خمس سنوات. « وكما فعل الأتراك من قبل جعلت ادارة هذه المدارس للايطاليين وتدريس مبادىء العلوم العصرية بلغتهم واختص فيها المعلمون العرب بتدريس الأوليات من أصول لغتهم ودينهم » (١) لأبناء البلاد فقط .. وكانت المواد الدراسية المقررة فى هذه المدرسة تشمل القرآن الكريم واللغة العربية — لأبناء العرب يتم تعليمهم القرآن الكريم والدين الاسلامى — وبقية المواد تدرس باللغة الايطالية وهذه المواد هى : « اللغة الايطالية ، الرياضيات وتشمل العمليات الحسابية والنظام المترى ، والمعلومات العامة، وبعض المعلومات عن ايطاليا وليبيا ، والرسم والكتابة والزراعة والأعمال اليدوية ، والثقافة الطبيعية » (٢) .

(١) محمد بن مسعود : المصدر السابق ص ١٥٣ .
(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 88.

وواضح من دراسة هذه المواد الدواسية السياسة الاستعمارية التى تهدف الى طلينة المواطنين العرب واظهار التمدن الايطالى وأخذهم بأساليب العلم الحديث •• وهم بذلك يسعون الى اقناع الليبيين بالتفوق الايطالى وأنه يجب عليهم — على الليبيين — الخضوع ليستفيدوا من هذا التقدم « وأن يفخروا ويثقوا بدولتهم الجديدة — ايطاليا — كما يتعلمون لغتها تعليما جيدا » (١) ، الا أن هذا النوع من المدارس الذى تقرر انشاؤه فى المدن الكبيرة مثل طرابلس وبنغازى لم يجد التشجيع الكافى من قبل المواطنين الليبيين ولهذا سرعان ما اختفى بصورته التى قررت له من قبل سلطات الاحتلال •

ثالثا — المدارس الايطاليــة :

وجدت المدارس الايطالية فى ليبيا قبــل الغزو الايطالى للبلاد بزمن طويل ، وذلك لتعليم أبناء الجالية الايطالية التى توافدت على البلاد بأعداد متزايدة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • ومن الطبيعى أن تستمر هذه المدارس بعد وقوع الاحتلال بل وأن تتدعم وكانت هذه المدارس تسير على نفس النسق المتبع فى المدارس الموجودة بايطاليا • وقد أقر المرسوم الملكى رقم ٥٦ بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٤ م (٢) تنظيم المدارس ذات النسق الايطالى • وقــد تمثل نظام التعليم بمراحــله ذات النسق الايطالى فى المدارس التالية :

١) مدارس رياض الأطفال •
٢) مدارس ابتــدائية •
٣) مدارس ثانوية وفنيــة •

أما مدارس رياض الأطفال فكانت تضم تلاميذها من سن ٣ الى سن ٦ سنوات ولم يكن لهذه المدارس منهج موضوع الا أن المعلمات اللائى كن يقمن بالاشراف على تربية الأطفال بهذه المدارس كن يتبعن الطرق التربوية التى ابتدعتها الدكتورة الايطالية المعروفة فى عالم التربية — ماريا منتسورى

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 17.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

الى جانب طريقة العالم الألمانى فروبل صاحب رياض الأطفال • ولم يكن هـذا غريبا لأن الأطفال يحمـلون الجنسية الايطالية ، وكان عدد هذه المدارس فى ليبيا عام ١٩٢١ ثلاثا بطرابلس ، وواحدة فى بنغازى وواحدة فى درنة •

وكانت المدارس الابتدائية هى الأخرى صورة من مثيلتها فى ايطاليا وكان يلتحق بها الأطفال من سن ٦ الى ١٠ سنوات • أى أنه لا يلتحق بها الا كل طفل كان عمره ست سنوات حتى ولو لم يكن قد انتظم فى رياض الأطفال وكانت مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات (مع ملاحظة أن المدارس الابتدائية العربية والمدارس الابتدائية العربية الايطالية كانت مدة الدراسة بها أيضا خمس سنوات ؟) • وتنقسم فـترة الدراسة الى قسمين : القسم الأول ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ، والقسم الثـانى ومدة الدراسة به سنتاندراسيتان فقط • والسبب فى ذلك أن بعض الأطفال كان يكتفى بدراسة القسم الأول فقط ليتفرغ للمساعدة فى المنزل أو كسب المال لزيادة دخل الأسرة ولذلك كانت المدرسة تعطى شهادة لمن ينجح بعد انتهاء القسم الأول وكان المعلم يعمل بنظام معلم الفصل أى يبدأ مع فصل بالسنة الأولى ويستمر معه سنة بعد أخرى حتى نهاية السنة الخامسة ، ثم يبدأ ثانية مع مجموعة أخرى من التلاميذ فى السنة الأولى •

وكان عدد المدارس الابتدائية الايطاليةفىالعام الدراسى ١٩٢٠/١٩٢١ كما يلى :

١) فى طرابلس : ٧ مدارس ابتدائية : مدرستان للبنين ، ومدرستان للبنات وثلاث مدارس مختلطة •

٢) فى بنغازى : ٣ مدارس ابتدائية : مدرسة للبنين ، وأخرى للبنات، وثالثة مختلطة •

٣) فى درنة : مدرسة واحدة مختلطة » (١) •

---

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 92.

وكان المنهج بهذه المدارس هو نفس المنهج المطبق فى مثيلتها بايطاليا وليس به تغيير يذكر ، مع العلم بأن هــذه المدارس كانت تسمح لبعض العرب الملتصقين بسلطات الاحتلال والمتشيعين للثقافة الايطالية كما كانت تسمح لليهود بدخول هــذه المدارس الابتدائية ولرياض الأطفال أيضا وان كانت الأعداد التى سجلت بهذه المدارس من العرب واليهود فى هذه الفترة لا تكاد تذكر •

وبالنسبة للمدارس الثانوية والفنية فلم تكن موجودة بطرابلس حتى نهاية الحــرب العالمية الأولى تقريبا لأن الآباء الايطاليــين الذين كانوا يعيشون فى ليبيا كانوا يرسلون أبناءهم لاستكمال تعليمهم الثانوى والفنى والعالى فى ايطاليا ذاتها ولكن مرسوما ملكيا برقم ٢١٥٥ فى ١٦ فبراير عام ١٩١٧ م صدر بتأسيس أول مدرسة ثانوية ــ وكانت فنية فى ليبيــا بمدينة طرابلس ــ ثم تلتها مدرسة فى بنغازى • ومدة الدراسة بها خمس سنوات : « كانت السنوات الثلاث الأولى اعدادية أو تمهيدية والسنتان الأخيرتين للتدريب الفــنى والمهنى وكانت الدبلوما التى تعطى فى نهاية التدريب الفــنى والمهــنى تسمح للطالب بدخــول الصف الثــالث فى المعاهد الفنية والتجارية بالمملكة ــ ايطاليا ــ والتى تحتاج الى امتحانات قبول ، ومنذ عام ١٩٢١ م أصبح فى استطاعة الطلاب الحاصلين على الدبلوم الفنى والتجارى من طرابلس دخول جامعة بوكونى Bocconi University بميــلانو » (١) •

ولم يكن هذا التعليم الثانوى الفنى فقط هو الموجود بطرابلس وانما تم أيضا انشاء قسم للتربية الرياضية جمنيزيوم Gymnasium وكان هناك قسم مماثل فى بنغــازى كذلك • وكان الهــدف من جعل هذه المدرسة الثانوية تجارية فنية هو أن سلطات الاحتلال رأت أن ليبيا تحتاج فى تعميرها من قبل الايطاليين الى ذوى المهن الفنية ولذلك وجدت هذه المدارس التى كان يدخلها أبناء الايطاليين وان كانت سلطات الاحتــلال سمحت لبعض الطلاب العرب واليهود بدخول هذه المدرسة « ولم يكن هــذا التعليم

(1) Ibid, P. 92.

اجباريا ولكنه لم يكن حـرا تماما ــ حيث يتحتم دخول طلاب من أبناء الجالية الايطالية بمـا يكفى لتنفيذ السياسـة الاستعمارية الايطالية ــ وكان على التلميذ قبل التحاقه بهذه المدرسة اجتياز امتحان قبول » (١)• وكان الهدف من هذه المدرسة تخريج فنيين وتجاريين عمليين للسيطرة على الناحية الاقتصادية فى البلاد •

وبعد أن استعرضنا المدارس العربية والمدارس الايطالية فى ليبيا أمامنا الآن احصائية عن عدد التلاميذ وتطورهم ابتداء من العام الدراسى ١٩١١م وهو العـام الذى دخل فيه الطليان الاراضى الليبية الى العام الدراسى ١٩٢١ م » (٢) •

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 21.
(2) Ibid, P. 21.

أنواع المدارس	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣	١٩١٤	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧	١٩١٨	١٩١٩	١٩٢٠	١٩٢١
المدارس الايطالية الابتدائية	٣٧٣	١٩٠٨	١٧٢١	١١٤٧	٢١٣٧	٢٢٣١	٢٠٧٦	٢٢٦٦	٢٣٦٨	٢٣١٩	٢٣٦٣
المدارس الابتدائية العربية	٩٩	٣١٣	١٠٣١	٧٢٥	٢٨٧	٤٢٢	٥٠٦	٧٧٩	٥٥٨	٥٧١	٦١١
المدارس التجارية والفنية	١١٩	١٠٧	١١٥	١٢٤	١٥٩	١٨٣	١٨٦	١٧٩	١٩٧	٢١٥	٢٤٣
المدارس الثـانوية	٥٤	٩٩	١٣٤	٢٢٦	٢٠١	٢١٥	٢٢٦	٢٨٩	٢٨٥	٣٤٢	٣٤٢
مجمـوع التلاميذ	٦٤٥	٢٤٢٧	٣٠٠١	٣٠٢٢	٢٧٨٤	٣٠٥١	٢٩٩٤	٣٢٧٣	٣٣٠٨	٣٤٤٦	٣٥٥٩

ومن هذه الاحصائية يتضح ما يأتى :

أولا : التوسع فى المدارس الابتدائية الايطالية توسعا دلت عليه الأعداد المتزايدة من التلاميذ الايطاليين ، مما يدل من ناحية أخرى على ازدياد أعداد الايطاليين الوافدين على ليبيا سنة بعد أخرى •

ثانيا : قلة عدد التلاميــذ فى المدارس الابتدائية العربية بل عــدم تزايد أعدادهم تدريجيا بمرور السنوات ممــا يؤكد أن مقاومة الليبيين للغزو الايطالى كان لهــا أثرها فى انتظام أبنائهم بالمدارس التى أنشأها لهم الاستعمار الايطالى •

ثالثا : توفير فرص التعليم الثانوى والفنى أمام الطلاب الايطاليين المقيمين بليبيا وأيضا أمام الطلاب اليهود وحرمان الطلاب الليبيين من هذا التعليم ، ولا يعنى دخول بعض الطلاب ــ وهم عدد قليل ــ من أبناء الليبيين الملتصقين بسلطات الاحتلال أن باب المدارس الثانوية والفنية مفتوح أمام جميع الطلاب العرب •

وفيما يلى احصائية توضح عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية والفنية من الايطاليين فى ليبيا (١) •

---

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 91.

العام الدراسى	المدرسة الفنية والتجارية	الجمنيزيوم	توضيحات متصلة بالجمنيزيوم
١٩١١ — ١٩١٢	٥٤	—	
١٩١٢ — ١٩١٣	٩٩	—	
١٩١٣ — ١٩١٤	١٥٤	١٩	
١٩١٤ — ١٩١٥	١٨٨	٣٨	الصفان الأول والثانى مرتبطان بالمدرسة الفنية
١٩١٥ — ١٩١٦	١٧٣	٢٨	» »
١٩١٦ — ١٩١٧	١٩١	٢٤	» »
١٩١٧ — ١٩١٨	٢٢٩	٣٧	فصول الجمنيزيوم الدنيا صارت قسما مستقلا
١٩١٨ — ١٩١٩	١٩٥	٥٤	» »
١٩١٩ — ١٩٢٠	٢١٦	٦٩	قسم خاص مستقل من خمسة صفوف
١٩٢٠ — ١٩٢١	٢٧٠	٧١	»
١٩٢١ — ١٩٢٢	٢٧١	٧٦	»

وبمناقشة هذه الاحصائية يمكن أن نصل الى الحقائق التالية :

١) تزايد أعداد الطلاب سنة بعد أخرى نتيجة لتزايد المعمرين الايطاليين الذين يأتون أفواجا الى ليبيا ، ونظرا لحاجة البلاد الى الفنيين الذين خطط لهم السيطرة على النشاط الاقتصادى والأعمال الفنية فى البلاد .

٢) بدأ قبول الطلاب فى فصول الجمنيزيوم فى العام الدراسى ١٩١٣/١٩١٤ م حيث تأسس صف أول ، ثم توالى انشاء الصفوف حتى

العام الدراسى ١٩١٧/١٩١٨ م حيث أصبح الجمنيزيوم معهــدا مستقلا ذا ثلاثة صــفوف الى أن كان العــام الدراسى ١٩١٩/١٩٢٠ م اكتمل عدد صفوف المعهد لتصبح خمسة صفوف .

رابعا ـ مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية :

استمرت مدارس اليهود فى أداء رسالتها التعليمية لأبناء الطائفــة اليهودية تلك المدارس التى مارست هــذه الرسالة فى العهــد العثمانى بليبيا ولم تضع سلطات الاحتلال الايطالى أية قيود على هذه المدارس فيما عدا الاغراءات التى وضعتها السلطات الايطاليــة أمام اليهود لالحــاق أبنائهم فى المدارس التى أنشأتها هذه السلطات وقد رأينا انخراط جماعات من الطلبة اليهود بالمدارس الثانوية الفنية والتجارية لأن اليهود يتفقون مع المستعمرين فى ادراك أهمية النواحى الفنية والاقتصادية فى السيطرة على مقدرات الأمور فى البلاد الى جانب أن السلطات الايطالية « عينت بعض حاخامات اليهود فى المدارس الايطالية لتعليم اللغة العبرية والدين الموسوى لأبناء اليهود الذين لا يلتحقون بمدارس التلمود » (١) .

وكان عــدد تلاميذ المدارس اليهودية فى ليبيــا فى العام الدراسى ١٩٢١ ـــ ١٩٢٢ م على النحو الآتى :

١) بطرابلس ١٢٦٦ تلميذا وتلميذة .
٢) فى برقة ٢١٨ تلميذا وتلميذة .
الجملة ١٤٨٤ تلميذا وتلميذة .
وكان توزيعهم بالنسبة للبنين والبنات كالآتى :
١) عدد ١٢١٢ تلميذا من البنين .
٢) عدد ٢٧٢ تلميذة من البنات .

ومن هذا يتضح اهتمام اليهود ـــ شأنهم فى ذلك شأن الايطاليين ـــ بتعليم بناتهم ، كما يتضح من عــدد التلاميذ اليهود الذين ينتظمون فى

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya. P. 90.

المدارس اليهودية والمدارس الايطالية ، وهو العدد الذى يشكل نسبة لا بأس بها اذا قورنت بعدد أفراد الجالية أو الطائفة اليهودية المقيمة فى ليبيا ، كما يتضح كذلك اهتمام اليهود بالتعليم من عدد المدارس التى أنشأوها لتعليم أبنائهم فى أنحاء متفرقة من البلاد •

وكان عدد المدارس اليهودية القائمة بالعملية التعليمية فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ كما يلى :

(أ) فى طرابلس (الاقليم) : توجد مدرسة واحدة فى كل من :

١)طرابلس « المدينة » مدرسة ذات عشرة فصول دراسية •
٢) طرابلس سوق الجمعة : مدرسة •
٣) طرابلس تاجوراء : مدرسة •
٤) الخمس : مدرسة •
٥) زليطن : مدرسة •
٦) مصراته : مدرسة •
٧) سرت : مدرسة •
٨) زوارة : مدرسة •
٩) الزاوية : مدرسة •
١٠) جنزور : مدرسة •
١١) تجرنة : مدرسة •
١٢) يفرن : ثلاث مدارس •

(ب) فى برقة : توجد مدرسة واحدة فى كل من :
١) بنغازى : مدرسة •
٢) درنة : مدرسة •

ومن هذه الاحصائية لعدد المدارس اليهودية يلاحظ أنها تمركزت فى أهم المدن الليبية وكلها تقريبا ـــ فيما عدا اثنتين ـــ تقع على الساحل الطويل الممتد من حدود تونس غربا الى حدود مصر شرقا • وكان وجود

هذه المدارس فى هـذه المدن دليلا على توزيع الطائفة اليهودية فى ليبيا لمباشرة التسلط على شئون البـلاد الاقتصادية وممارسة الضغط عـلى الناس بهذه الوسيلة .

أما مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية فقد استمرت أيضا منـذ انشائها فى أيام الحكم العثمانى لليبيا تمارس نشاطها بل زادت من هـذا النشاط فى العهد الايطالى حيث ساهمت بدور فعال فى مساعدة الغـزو الايطالى على دخول البلاد وتهيئة بعض الأذهان لقبول فـكرة السيطرة الايطالية على البلاد ولذلك فقد كافأتها السلطات الاستعمارية الايطاليـة بامدادها بمساعدات مالية الى جانب الهبات الماليـة التى تصـل لهذه المدارس من الهيئات والأفراد الأوروبيين ذوى الميول الاستعمارية .

وكانت هذه المدارس تدار بواسطة رهبان وراهبات وينتظم بها أبناء الجاليات الأجنبية مثل الايطاليين والفرنسيين والانجليز المقيمين بالبـلاد وكانت مناهجها تشبه شبها كبيرا تلك المطبقة فى المدارس الايطالية الى جانب أن سنوات الدراسة بها تتساوى مع هذه المدارس كذلك ..

« وخلال العام الدراسى ١٩٢١ — ١٩٢٢ وجدت هـذه المدارس فى المدن الآتيـة :

أ — فى طرابلس :
١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكيـة وتدار بواسطة اخوان المدارس المسيحية .
٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكيـة وتدار بواسطة أخوات القديس يوسف .
٣) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة لمجلس البعثات التبشيرية وتدار بواسطة الأخوات الفرنسسكانيات .

ب — فى الخمس :
١) مدرسة ابتدائيـة للبنات تابعـة لمجلس البعثات التبشيرى الوطنى وتدار بواسطة الأخوات الفرنسسكانيات .

جـ — فى بنغـازى :

١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للمقر البابوى وتدار بواسـطه اخوان المدارس المسيحية .

٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمقر البابوى وتدار بواسطة أخوات القديسة افريا Ivrea .

د — فى درنـة :

١) مدرسة ابتدائيةللبناتتابعة للمجلس التبشيرى تدار بواسطة الأخوات الفرنسسكانيات .

٢) روضة أطفال تابعة للمجلس التبشيرى تدار بواسطة الأخوات الفرنسسكانيات » (١) .

ومن هذه الاحصائية التى توضح توزيع المدارس التابعة للبعثـات التبشيرية يمـكن أن تتبين بعض الأمـور التى تدل على فلسفة هـذه المدارس التعليمية المرتبطة الى حد كبير بفلسفتها الاستعمارية الصليبية التى تمارسها فى كثير من البلاد الاسلاميـة والأفريقيـة .. وهـذه الأمـور هى : —

أولا : توزيع هذه المدارس فى أهم المدن الليبية دليل على تمركـز الجاليات الأجنبية بهذه المدن الهامة التى يوجد بها أيضـا أكبر تجمعات للسكان الوطنين الليبيين وبذلك تضمن التأثير فى هذه التجمعات السكانية بما يخدم الأهداف الاستعمارية والصليبية التى تعمل هذه المدارس على تحقيقها حيثما وجدت .

ثانيـا : لم تقتصر مهمة هـذه المدارس على التعليم فقط ولكنها لـكى تجتذب الوطنين الليبيين ألحقت بكل مدرسة قسما طبيا لعلاج المرضى مجانا ، وقسما لتعليم البنات الخياطة والتطريز . وهذه الأقسام كانت تستهوى البنات الوطنيات كمـا كانت معامـلة الراهبات الرقيقة — عن قصد — تسهم فى اجتذابهن ..

(1) Ibid, P. 92.

ثالثـا : لا تقتصر هذه المدارس على قبول أبناء الجاليات الأوروبيـة الأجنبية فقط وانما كانت تشجع المواطنين على الحاق أبنائهـم وبناتهم بهـذه المدارس من باب التأثير فى الآباء والأمهات عن طريق أبنائهم وبناتهم تأثيرا استعماريا وللأسف فقد تأثر البعض بالفعل تأثيرا مضادا للروح الوطنية ومنافيا للأمانى القوميـة ، فكانوا اما سلبيين أمام الغزو الاستعمارى أو عونا له ..

رابعـا : كانت هذه المدارس فى نظر سلطات الاحتـلال الايطالى مدارس دينية خاصة .. بمعنى أنها كانت ذات فلسفة خاصة ترضى عنها هذه السلطات وتدعمها ، ولذلك فقد ساعدتها على أداء رسالتها مساعدات مالية الى جانب عدم تدخل من السلطات فى شـئون هذه المدارس فلم يعين لها مفتش ايطالى يقوم بمتابعتها كما حدث بالنسبة للكتاتيب والمدارس الابتدائية الخاصة بالمواطنين ..

وفيما يلى جدولان احصائيان للمدارس القائمة فى ليبيا خلال العـام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ م على اختلاف أنواعها ومراحلها » (١) .

والجدول الأول يوضح عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس على اختلاف أنواعهـا ومراحلهـا فى اقليم طرابلس فى هـذا العـام الدراسى ١٩٢١ — ١٩٢٢ م .

---

(1) Ibid, P. 93.

نوع المدرسة	المقيدون من التلاميذ			الجنسيات			الديانات		
	أولاد	بنات	المجموع	ايطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون	مسلمون	يهود
أ — المدارس الايطالية									
١) الثانوية	٢١٩	١٢٠	٣٣٩	٢٧٢	٢٦	٤١	٢٧٨	٣	٥٨
٢) الابتدائية	٨٥٠	٩٣٠	١٦٨٠	٩٢١	٧٤٧	١١٢	٩٦٠	٣١	٧٨٩
٣) رياض الاطفال	١٥٣	٢٣٣	٣٨٦	١٩٥	١١٣	٧٨	٢٥٨	—	١٢٨
المجموع	١٢٢٢	١٢٨٣	٢٥٠٥	١٣٨٨	٨٨٦	٢٣١	١٤٩٦	٣٤	٩٥٧
ب — مدارس العرب :									
١) الابتدائية وغيرها	٥٩٦	١٣٨	٧٣٤	١٢	٧٢١	١	١٣	٦٦٨	٥٣
المجموع	١٨١٨	١٤٢١	٣٢٣٩	١٤٠٠	١٦٠٧	٢٣٢	١٥٠٩	٧٠٢	١٠
جـ — المدارس الحرة :									
١) مدارس الارساليات	٣٢٧	٤٦١	٧٨٨	٤٩٢	١٢٠	١٧٦	٦٩٣	٢٥	٧٠
المجموع	٣٢٧	٤٦١	٧٨٨	٤٩٢	١٢٠	١٧٦	٦٩٣	٢٥	٧٠
٢) المدارس اليهودية	٩٩٤	٢٧٢	١٢٦٦	—	١٢٦٦	—	—	—	١٢٦٦
٣) المدارس القرآنية	٧٩٨	—	٧٩٨	—	٧٩٨	—	—	٧٩٨	—
المجموع	١٧٩٢	٢٧٢	٢٠٦٤	—	٢٠٦٤	—	—	٧٩٨	١٢٦٦

نوع المدرسة	المقيدون من التلاميذ			الجنسيات			الديانات		
	أولاد	بنات	المجموع	ايطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون	مسلمون	يهود
احصاء اجمالي :									
١ المدارس العامة (ايطالية وعربية)	١٨١٨	١٤٢١	٣٢٣٩	١٤٠٠	١٦٠٧	٢٣٢	١٥٠٩	٧٠٢	١٠٢٨
٢ مدارس الارساليات التبشيرية	٣٢٧	٤٦١	٧٨٨	٤٩٢	١٢٠	١٧٦	٦٩٣	٢٥	٧٠
٣ مدارس اليهود والمدارس القرآنية للمسلمين	١٧٩٢	٢٧٢	٢٠٦٤	—	٢٠٦٤	—	—	٧٩٨	١٢٦٦
المجموع العام	٣٩٣٧	٢١٥٤	٦٠٩١	١٨٩٢	٣٧٩١	٤٠٨	٢٢٠٢	١٥٢٥	٢٣٦٤

والجدول الثانى يمثل احصائية لأنواع المدارس ومراحلها فى برقـة فى العام الدراسى ١٩٢١|١٩٢٢ م لعدد التلاميذ فى كل نوع ومرحلة :

نوع المدرسـة	المقيدون من التلاميذ			الجنسـيات			الديانـات		
	أولاد	بنـات	المجموع	ايطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون	مسلمون	يهود
أ) المدارس الايطالية العامة									
١ ـ الثـانوية	٥٢	٨٣	١٣٥	١١١	١٥	٩	١٢٠	٩	٦
٢ ـ الابتدائية	٢٨٨	٤٥٧	٧٤٥	٦٦٠	٣٤	٥١	٤٤٩	١٨	١٧٨
٣ ـ رياض الأطفال	٦٩	٤٦	١١٥	٩٨	٣	١٤	٨٤	—	٣١
المجمـوع	٤٠٩	٥٨٦	٩٩٥	٨٦٩	٥٢	٧٤	٦٥٣	٢٧	٣١٥
ب) المدارس العربية العامة :									
١ ـ الثـانوية	—	٦	٦	—	٦	—	—	٦	—
٢ ـ الابتـدائية	١٣٧	٤٠٨	٥٤٥	—	٥٤٥	—	—	٥٤٥	—
المجمـوع	٥٤٦	١٠٠٠	١٥٤٦	٨٦٩	٦٠٣	٧٤	٦٥٣	٥٧٨	٣١٥
٣ـ مدرسة الفنونوالصنائع	—	١٢٢	١٢٢	٧٥	٦٥	—	٥٧	٦٥	—
المجمـوع	٥٤٦	١١٢٢	١٦٦٨	٩٤٤	٦٦٨	٧٤	٧١٠	٦٤٣	٣١٥

نوع المدرسة	المقيدون من التلاميذ			الجنسيات			الديانات		
	أولاد	بنات	المجموع	ايطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون	مسلمون	يهود
ج) المدارس الخاصة :									
١ ــ مدارس البعثات التبشيرية	١٤٨	٦٨	٢١٦	١٣٨	٦٢	١٦	١٩٥	٦	١٥
المجموع	١٤٨	٦٨	٢١٦	١٣٨	٦٢	١٦	١٩٥	٦	١٥
٢ ــ مدارس اليهود(التلمود)	—	٢١٨	٢١٨	—	٢١٨	—	—	—	٢١٨
٣ ــ المدارس القرآنية	—	٥٨٢	٥٨٢	—	٥٨٢	—	—	٥٨٢	—
المجموع	—	٨٠٠	٨٠٠	—	٨٠٠	—	—	٥٨٢	٢١٨

نوع المدرسة	المقيدون من التلاميذ			الجنسيات			الديانات		
	بنات	أولاد	المجموع	ايطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون	مسلمون	يهود
احصاء اجمالي :									
أ) المدارس العامة	٥٤٦	١١٢٢	١٦٦٨	٩٤٤	٦٦٨	٧٤	٧١٠	٦٤٣	٣١٥
ب) مدارس البعثات التبشيرية	١٤٨	٦٨	٢١٦	١٣٨	٦٢	١٦	١٩٥	٦	١٥
ج) مدارس اليهود والمدارس القرآنية	—	٨٠٠	٨٠٠	—	٨٠٠	—	—	٥٨٢	٢١٨
المجموع العام :	٦٩٤	١٩٩٠	٢٦٨٤	١٠٨٢	١٥٣٠	٩٠	٩٠٥	١٢٣١	٥٤٨

وبدراسة هذه الاحصائيات يتبين ما يلى :

أولا : هذه الاحصائيات توضح حالة التعليم فى ليبيا من خلال عدد التلاميذ ونوعهم بنين أو بنات ، وجنسياتهم: ايطاليون أو ليبيون أو أجانب ودياناتهم : مسيحيون أو مسلمون أو يهود ، وهى بهذا توضح تعليم كل فئة أى كل جنسية ومدى تقدمها أو تأخرها فى التعليم كما توضح مقارنة بين تعليم البنت وتعليم الولد وهل هناك تناسب بين الاثنين • كما توضح ما أصابه أصحاب الديانات من التلاميذ من فرص التعليم المتاحة •

ثانيا : تاريخ هذه الاحصائيات العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ أى بعد مرور عشر سنوات تقريبا على وقوع الغزو الايطالى لليبيا • وبعد اعتراف ايطاليا بحكومة الجمهورية فى طرابلس وبالامارة السنوسية فى برقة ومع ذلك فان عدد التلاميذ فى المدارس التى هم مقيدون بها لا يمكن أن يقبله منصف يقارن بين التعليم المتاح للوطنيين والتعليم المتاح للأيطاليين أو حتى اليهود •• ويمكن ابداء الملاحظات الآتية على هذه الاعداد فيما يلى :

(أ) بلغ عدد التلاميذ الذين ينتمون الى الجنسية الايطالية ويدرسون فى المدارس الايطالية ثلاثة أضعاف تقريبا زملاءهم العرب فى مدراسهم ، وهذا شىء ملفت النظر اذا قارنا بين عدد الجالية الايطالية وعدد المواطنين الليبين •• وهذا فى حد ذاته كاف لأن ينفى ويشجب الادعاء الايطالى بأنهم احتلوا ليبيا لتمدين وتعليم الشعب الليبى •

(ب) وحتى عدد التلاميذ اليهود يبلغ ضعف التلاميذ العرب كل فى مدارسهم الخاصة بهم ، وليس معنى هذا عدم اهتمام الليبيين بالتعليم ولكن القيود التى وضعت من قبل السلطات الايطالية منعت الكثير من الليبيين من ارسال أبنائهم الى المدارس التى يشرف عليها الايطاليون

مخافة أن يتأثر ابناؤهم بالعـــادات والتقاليد والديانة اللاتى تخالف ما يعتقده الليبيون •

(جـ) ان وجود أعـداد قليلة من المواطنين العـرب ملتحقين بالمدارس الايطاليـة أو مدارس الارسـاليات التبشيرية لا يعنى اقتناع الليبيين كلهم بأهمية التعليم المتاح فى هذه المدارس ولكن هذه القلة من الأطفال دفع بهـا آباؤهم الى هذه المدارس رغبة فى نيـل مغنم من المستعمر الذى رحب بهم ليساعد على خلق مؤيدين له من قبل الشعب الليبى نفسه بل انه كان يرسل البعض منهم الى روما وغيرها من المدن الايطالية للتأثير على معنوياتهم الوطنية •

(د) ان المدارس الثانوية فى ليبيا كانت لخدمة أبناء وبنـات الموظفين المدنيين وضباط الجيش الايطاليين لمواصلة تعليمهم فى المستعمرة (ليبيـا) دون تحمـل نفقات ارسالهم الى الوطن الأم (ايطاليـا) وتشجيعا للايطاليين على الهجرة والبقاء فى ليبيـا •

(هـ) أنشئت مدرسة للفنـون والصنائع فى بنغازى فى العـام الدراسى ١٩٢٠ بتنظيم جـديد يختلف عن فكرة هـذه المدرسة الاسلامية التى أنشئت على أساسها فى نهاية القرن التاسـع عشر ، وقـد أتيح للجميع دخولها ايطاليـون أو ليبيـون ، وبلغ عـدد تلاميذها فى العـام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ م ١٢٢ ــ كما جاء بالاحصائية ــ نصفهم تقريبا من الايطاليين •

(و) ان عمل مقارنة بين عدد البنات الليبيات الملتحقات بالمدارس وبين زميلاتهن الايطاليات واليهوديات يوضـح أن أعداد البنات الايطاليـات واليهوديات فى مدارسهن يـوازى تقريبا عدد الأولاد فى مدارسهم ، بينما عـدد الأولاد

الليبيين فى مدارسهم ثلاثة أضعاف تقريبا عدد بنــات وطنهم ، وهذا يوضح خوف المواطن العربى الليبى على بناته من الخروج الى المدارس فى جو يسيطر عليه أبناء الاستعمار وبناته الذين يظهرون من الأخلاق والسلوك ما لا يقبله المواطن العربى المسلم ، وقد استمر هــذا الخوف الى سنوات قليلة مضت مترسبا فى النفوس ، بل ما زال عالقا بنفوس قلة من المواطنين الى الآن .

ثالثـا : بمقارنة المجموع الاجمالى لعــدد التلاميذ بين اقليمى طرابلس وبرقة نجد أن عدد التلاميذ المقيدين فى جميع المدارس عــلى اختلاف أنواعها ومراحلها فى طرابلس هو ٦٠٩١ تلميذا وتلميذة من العرب والايطاليين واليهود والأجانب بينما كان عدد التلاميذ فى مدارس برقة بأنواعها ومراحلها المتعددة هو ٢٦٨٤ تلميذا وتلميذة من جميع الجنسيات السابق ذكرها . وليس معنى هذا هو تقــدم التعليم فى طرابلس عنه فى برقة ، ولكن عدد السكان فى طرابلس أكثر بكثير مما هو فى برقة ، ثم ان الاستعمار الايطالى ركــز اهتمامه فى استعمار ليبيا عن طريق المعمرين الايطاليين على اقليم طرابلس لقربه أكثر الى ايطاليا ولوجود مساحات صالحة للزراعة فيه أكثر ، هذا الى جانب أن الزوايا السنوسية التى كانت أكثر انتشارا فى برقة كانت تمارس نشاطا تعليميا وينضم اليها تلاميذ من كل قبيلة من قبائل برقة حيثما توجد زاوية ، ولم يكن معلوما بالضبط عدد هؤلاء التلاميذ حيث لم تبق سجلات أو مكتبات هذه الزوايا بعيدة عن عبث قوات الاحتلال الايطالى فى اغارتها على مواقع المجاهدين .

وقبل أن نختتم هذا الحديث عن التعليم فى العصر الايطالى الأول فى ليبيا من المفيد أن نسجل هنا بعض الملامح البارزة للسياسة التعليمية فى ذلك العصر والتى نسوقها فى النقاط التالية : —

أولا : محاولة القضاء على اللغة العربيــة الى جانب القضــاء على

سائر المظاهر الوطنية فى القطر الليبى وقد ظهـر ذلك فى التعليم الذى اتضحت فيه محاولة طمس معالم العروبة فى البلاد الى جانب أن الايطاليين كانوا يتخذون بعض الاجراءات التى تظهر استهانتهم بالشعائر الدينيـة الاسلاميـة كوضع الصليب عـلى المدارس وعلى الـكتب والمكاتبات الرسمية • وقد حاول الليبيون فى تمسكهم بدينهم وثقافتهم أن يحصـلوا من الايطاليين فى جميـع الاتفاقات التى أبرموها معهم على أن يتعهـد الطليان بجعل التعليم فى طرابلس وبرقـة موضـع عنايتهم على أساس احترام لغة البلاد وتقاليدها ، الا أن الطليان جريا على عادتهم فى نقض عهودهم سرعان ما صاروا ينشئون المدارس التى عنيت فقط بنشر نـوع من الثقافة الايطالية التى تخدم أغراضهم الاستعمارية فحسب وأخـذوا يدعون لهذه المدارس تارة بالترغيب ، وبالترهيب تارة أخرى •

ثانيـا : كان مديرو المدارس التى أنشأها الطليان ويتعلم بها أبنـاء الشعب العربى الليبى من الطليان ولم يحصل واحـد من الليبيين على منصب مدير مدرسة اطلاقا ، بل لم يقف الأمر عنـد هذا الحد اذ كان المعلم العربى أقل مرتبـة من زميـله الطليانى ، حيث كان المعلم العربى مساعدا للمعلم الايطالى فقط ويقوم بتعليم تلاميذه أمور دينهم وقواعـد لغتهم العربية تحت مراقبة المعلم الايطالى •

ثالثـا : لم يتخصص أى مواطن ليبى فى الزراعة الحديثة وهو فى بلد زراعى فقد أغلقت المدرسة الزراعية التى كانت قائمة فى ضاحية سيدى المصرى بطرابلس ولم تفتح ثانيـة ، ولم يكن يهـم الايطاليين اعـداد مواطنين يتقنون استخدام الآلات الحديثـة فى الزراعـة ، وذلك لأنهم يعتمدون على المعمرين الايطاليين الذين أعطـوهم الأرض ليقوموا هم بزراعتها لفائدتهم وفائدة ايطاليا •

رابعا : وحتى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية التى كانت قائمـة بمدينة طرابلس منذ عام ١٨٩٨ أغلقت منذ بداية الغزو الايطالى ثم أعيد افتتاحها فى العام الدراسى ١٩١٣/١٩١٤ ولكن على نسق ايطالى يسمح

فيه بدخول أبناء الايطاليين فى هذه المدرسة التى أصبحت اللغة الايطالية لغة التعليم بها وتعين لها مهندس ايطالى مديرا على رأسها وقد افتتحت مدرسة مماثلة وعلى نفس النسق فى بنغازى فى العام الدراسى ١٩١٩ — ١٩٢٠ م •• مما أبعد هذه المدرسة عن رسالتها الانسانية الأولى التى أنشئت من أجلها •

خامسا : منع الطليان — الا فى حالات استثنائية نادرة — أبناء المواطنين الليبيين بعد انتهاء تعليمهم بالمدارس الابتدائية التى أنشأها لهم الايطاليون منعوهم من أن يلتحقوا بالمدارس الثانوية التى يجرى التعليم فيها باللغة الايطالية ، وعندما أراد الليبيون أن يستكمل أبناؤهم تعليمهم فى مصر أو فى تونس ، حاول الطليان تحويل هؤلاء الأبناء الى روما بتشجيعهم باعطائهم أموالا من الأوقاف الاسلامية طالما يذهبون لتلقى العلم فى أية مدرسة بأية مدينة ايطالية •

سادسا : لم يتوفر لليبيين أى تعليم عال ، فيما عدا معهد الجغبوب التابع للنظام الدينى السنوسى فى برقة ، ولم يكن أمام الراغب فى المزيد من التعليم الأعلى الا التوجه الى مصر أو الى تونس وهو أمر لم يكن سهلا أمام هؤلاء المواطنين بسبب القيود التى كانت تضعها السلطات الايطالية أمامهم مخافة أن يكتسبوا روحا معنوية عالية تدفعهم الى مناوأة السيطرة الايطالية على البلاد •

سابعا : لم تتوفر مناهج تقوم على أسس تربوية وموضوعية فى المدارس التى يتعلم فيها التلاميذ الليبيون حيث أن المناهج التى تطبق فى هذه المدارس يضعها ايطاليون وتشبه الى حد كبير نفس المناهج التى تطبق فى المدارس الايطالية فى المدن الايطالية نفسها •• ولذلك كان التلميذ الليبى يدرس كل شىء عن ايطاليا قبل أن يعرف شيئا عن وطنه ليبيا ، كما كان يتعلم أن ليبيا مستعمرة ايطالية وكل هذه الاجراءات مقصود منها محو الشخصية العربية لليبيا وطلينة أفراد الشعب الليبى •

ثامنا : لم تهتم السلطات الايطالية بالتعليم فى فزان الا فى السنوات الأخيرة للحكم الايطالى وقد تمثل فى بناء عدة مدارس « عام ١٩٣٥ فى براك وجديد وبيرجوين — لم تكن مكتملة البناء ، وفى مرزق — حيث

كانت المدرســة عبارة عن حجرتين صغيرتين قليلتى التهوية والاضــاءة • وكانت هذه المدارس تشمل فصلين أحدهما للعرب والآخر للطليان » (١) وان خضع العرب للتعليم الذى فرضته سلطات الاحتلال الايطالى •

ومع ذلك ، وبرغم كل ذلك فقد كانت فرص التعليم المتاحة لأبنــاء الشعب العربى فى ليبيا فى نظر بعض الايطاليين اسرافا وتدليلا لشــعب « المستعمرة » وأن السماح للعرب بأى نشاط تعليمى تساهل غير مقبول• ولذلك لم يكد الحزب الفاشستى يصل الى الحكم فى ايطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢ حتى اتبعت سياسة متشددة نحو الشعب العربى فى ليبيا ، تأثرت بها جميع نواحى الحيــاة فى ليبيــا ومنها التعليم الذى أعيدت صياغته ليتفق مع فلسفة الحزب الفاشستى نفسه •

ولا يكتمل الحديث عن التعليم فى العهد الايطالى الأول دون الاشارة الى المدرسة العسكرية التى أنشأها المجاهدون فى ناحية « قصر أحمد » بقرب مصراته عام ١٩١٥ واستمرت حتى عام ١٩٢١ م • وقد « نظمت فيها الدراسة العسكرية لتواجه الحاجة الملحة لتدريب الشباب الوطنى الذى كان يواجه عــدوا يقذف الشاطىء بالكتائب والطوابير المنظمــة والمــدربة » (٢) •

وقد استطاعت هذه المدرسة تخريج أعداد لا بأس بها من العسكريين الذين تمرنوا على استعمال الاسلحة والتكتيك العسكرى ، كما ألقيت فيها محاضرات ودروس فى فنون القتال ، وكانت مــدة الدراسة بها عاما يقضيه الشاب فى التدريب النظرى والعملى « لكن الظروف المحيطــة بالبلاد ، ومن أجل الضرورة الملحة ، كانت الأفواج تتخرج بسرعة لتأخذ مكانها فى الميدان العلمى » (٣) •

وكانت المدرسة تقبل طلابها من مختلف الجهات ، سواء من مصراتة أو زليطن أو طرابلس أو ترهــونة أو مسلاتة أو العــزيزية أو النواحى الأربع أو الجبل وغيرها •

---

(1) U. N. : General Assembly ... document A/1387, P. 21.

(٢) على مصطفى المصراتى : سعدون البطل الشهيد ـــ ص ٦٨ .

(٣) على مصطفى المصراتى : نفس المصدر ـــ ص ٦٩ .

الفصل الخامس

العصر الفاشستى

١٩٢٣ / ١٩٤٣ م

- موقف الفاشست الطليان من الليبيين .
- تاكيد اللغة الايطالية والتعليم الايطالى فى ليبيـا :
- المدارس القائمة فى هذا العصر :

ـ مقـدمة :

أولا : المدارس العربيـة

ثانيـا : مدارس اليهـود

ثالثـا : مدارس الارساليات الاجنبية والجاليات الاوروبية .

رابعـا : المدارس ذات الطابع الايطالى

موقف الفاشست الطليان من الليبيين :

استولى الحزب الفاشستى على الحكم فى ايطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢ م وقد ساعده على ذلك خروج ايطاليا من الحرب العالمية الأولى منهوكة القوى ولم تنل مغنما استعماريا كما نالت كل من فرنسا وانجلترة . وكان هذا الحزب الذى ظهر قويا .. يرغب فى السيطرة على دفة الأمور فى ايطاليا بحجة العمل على وحدة البلاد الايطالية وقوتها واعادة مجد الامبراطورية اللاتينية القديمة وتكوين مستعمرات خارجية أسوة بدول الاستعمار الأوروبية الأخرى مثل انجلترة وفرنسا . وقد اتخذ هذا الحزب حزمة من العصى مربوطة مع فأس شعارا له اشارة للاتحاد والقوة.

وكان يتولى قيادة هذا الحزب جندى سابق بالجيش الايطالى اشترك فى الحرب العالمية الأولى ضد النمسا ، ذلك هو بنيتو موسولينى، وقد وجد من بين زملائه الجنود موافقة على أفكاره التى وجدت كذلك صدى لها عند الايطاليين الذين يشعرون بمركب النقص لعدم فوز ايطاليا بمغانم استعمارية وقد استطاع موسولينى بهذا التأييد أن يزحف الى العاصمة روما ويسقط الحكومة القائمة ويستصدر من الملك عمانويل الثالث ملك ايطاليا تكليفا بأن يؤلف موسولينى وزارة فاشستية اختص هو برئاستها وظل فى هذا المنصب طيلة حياته وحكم ايطاليا حكما دكتاتوريا .

وما كاد الحكم فى ايطاليا يستقر فى يد الفاشست حتى اتجه صوب ليبيا ليجعل منها مستعمرة ايطالية صرفة باعتبارها — فى نظر الفاشست — امتدادا عضويا لشبه الجزيرة الايطالية وعلى ذلك فان ما أبدته الحكومات الايطالية السابقة من محاولات لاقرار السلام فى ربوع البلاد الليبية انما هو فى نظر الحزب الفاشستى تهاون بل ومهانة لايطاليا وأن السياسة التى يجب اتباعها مع الشعب الليبى هى سياسة الشدة بل والابادة اذا لزم الأمر ليحل بالأرض الليبية خمسة ملايين من الطليان المغامرين أو المدفوعين من الحكومة الايطالية ليعمروا — كما

أعلن آنذاك ــ الأرض التى تحتــاج الى سواعدهم وخـــبراتهم » (١) ، وهم يهدفون بذلك الاستيلاء على كل الأراضى القابلة والصالحة للزراعة من أيدى أصحابهـا •

وقد ظهر موقف الحزب الفاشستى من الليبيين منــذ اليــوم الأول لارتقاء موسولينى منصب رئيس الحكومة الايطالية حيث ألغى كل اتفاق تم بين ايطاليــا والمجاهدين الليبيين واتخــذ سياسة عسكرية ترمى الى الاستيلاء على البلاد الليبية بأجمعها ولم تنته سنة ١٩٢٣ م الا والقوات الايطالية قد احتلت كل المدن الساحلية وأخذت تتوغل فى الداخل وقد حاول المجاهدون الذين فروا الى فزان أن يقفوا فى وجه هــذا التوسع دون جدوى ويمكن اعتبار رحيل بشير السعداوى أحد الزعماء البارزين فى طرابلس ــ ويمكن اعتبار رحيله عن البلاد فى عام ١٩٢٤م نهاية للمقاومة المسلحة المنظمة ضد السيطرة الايطالية •

وكانت سيطرة ايطاليا على طرابلس بمدنها الساحلية والداخليـــة خطوة نحو الاتجاه صوب برقة وفزان لتكملة السيطرة على كل البــلاد الليبيــة •• ففى برقة حيث كانت الامارة السنوسية تقــود الليبيين فى جهادهم ضد الطليان انسحب الأمير محمد ادريس الى مصر تاركا أخاه محمد الرضا يتولى شئون الحركة السنوسية سياسيا ودينيا والسيد عمر المختار يتولى قيادة حركة الجهاد المسلح ضد الطليان •

قاد عمر المختار الجهاد ضد الطليان فى برقة اعتبارا من عام ١٩٢٤ م وعمر المختار من قبيلة المنفة وقد ولد بالبطنان بشرق الجبل الاخضر •• وقد حفظ القرآن الــكريم وعلوم الدين فى الزوايا والمعــاهد السنوسية حتى وصل الى وظيفة شيخ لزاوية القصور بالجبــل الأخضر ومن هنا جاءت ثقــة أمير السنوسية به وتقليده القيادة العسكرية فى برقة وقد قام بها خير قيام حتى آخر حياته ولعل مما يؤيد ذلك أن الكفاح المسلح المنظم ضد الطليان قد انتهى تقريبا باستشهاد عمر المختار •

---

(١) محمد مصطفى بازامة : العدوان او الحرب بين ايطاليا وتركيا فى ليبيا ص ١١٢ •

وجاءت محاولات السلطات الايطاليـة لتضييق الخناق على قيـادة حركة الجهاد فى برقة بحصولها على اتفاقية مع الحـكومة المصرية عـام ١٩٢٥ تقضى بتعديل الحدود بين مصر وليبيا بحيث يسمح هذا التعـديل بدخول واحة الجغبوب ضمن الأراضى الليبية ثم احتـلال الجغبوب فى ٨ فبراير ١٩٢٦ م التى كان كثـير من المجاهدين يتخذون منهـا مركزا لتحركاتهم ضد الطليان كما كانت مخزنا للمؤن والأعتدة الى جانب كونها نقطـة اتصال مع مصر •

وكانت خـطوة ايطاليا الثانية لتضييق الخناق على مجاهدى برقـة وحصرهم فى منطقة الجبـل الأخضر هى محاولة استمالة بعض القبـائل المقيمة فى منطقة سرت مثل قبائل المغاربة وقد تم تسليم هـذه القبـائل للطليان فى سرت واجدابيـة وقد ساء المجاهدين تسليم المغاربة للطليان الذين لا يرعون الا ولا ذمة ، ثم ان هذا التسليم سيؤمن الطليان من هذه الناحية التى تتوسط البـلاد ، الى جانب أن سيطرة الطليان عـلى هذه المنطقة الوسطى قد جعل السيطرة الايطالية تمتد من حدود تونس مـع ليبيا غربا الى منطقة الجبل الأخضر شرقا •

وكانت الخطوة التـالية من قبل السلطات الايطالية فى سبيل حصر جهاد اقليم برقة وفزان هى سعى القوات الايطالية لاحتلال اقليم فـزان وقد تم احتلال واحات زله وجالو وأوجله ومرادة عام ١٩٢٨ بعد حرب شديدة وعنيفة أبلى فيها المجاهدون العرب بلاءا حسنا ، كان على أثرها أن تم تعيين بادوليـو واليا على طرابلس وبرقـة فى شهر يناير ١٩٢٩ م ليبدأ مفاوضات مع المجاهدين بقيادة عمر المختار استمرت طوال عـام ١٩٢٩ م وكان الطليان أثناءها يحاولون بذر بذور التفرقة بين المجاهدين أنفسهم ولمـا تيقن عمر المختار أن الطليان يكسبون الوقت للايقاع بين العـرب أعلن نداءه المشهور بالجهـاد فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ م ، واتخذ أسلوب الجهاد فى منطقة الجبل الأخضر شكل حرب العصابات مما أنهك قوى الطليان رغم تفوقهم •

واتجه الطليان الى غزو فزان وقد تم لهم احتلال عاصمة فزان وهى

مدينة مرزق فى ٢٤ يناير ١٩٣٠ وغات كبرى المدن الفزانية بعد العاصمة مرزق فى ٢٥ فبراير من نفس العام على يد غراسيانى، وقد لجأ المجاهدون الذين كانوا يتخذون من فزان مركزا لهم الى واحة الكفرة والى تشاد . وقد أدى احتلال الطليان لفزان الى بزوغ نجم غراسيانى مما جعل حكومته تصدر أمرا بتعيينه نائبا للوالى فى برقة ليقوم بانهاء الثورة فى الجبل الأخضر ..

وصل غراسيانى الى بنغازى فى ٢٧ مارس ١٩٣٠ م وأخذ يعد العدة لمواجهة المجاهدين برئاسة شيخهم عمر المختار ، فكان أول اجراء اتبعه هو مد الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية الليبية من البحر المتوسط ولمسافة ٣٠٠ كيلو متر ليمنع وصول الامدادات الى المجاهدين وليمنع انتقال المجاهدين عبر الحدود بحرية ثم شكل محكمة أسماها المحكمة الطائرة لأنها كانت تستخدم الطائرة فى انتقالاتها لمحاكمة المجاهدين واصدار الحكم وتنفيذه فورا ثم تنتقل الى مكان آخر وهكذا.

ولما رأى غراسيانى أن العرب يمدون المجاهدين بالمؤن والامدادات المختلفة فقد أصدر أمره باعتقال الكثيرين جدا من أبناء الشعب رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا دون تفرقة وحشرهم فى معتقلات دون توفير متطلبات المعيشة لهم مما أدى الى هلاك الكثيرين .. وأتبع ذلك بمصادرة الأراضى والمواشى خوفا من وصول الامدادات للمجاهدين ، مما جعل المجاهدين يشعرون فعلا باحكام الحصار حولهم ومع ذلك استمروا فى كفاحهم المشروع ضد الغاصب .

وقبل أن يوجه غراسيانى ضربته ضد المجاهدين بقيادة عمر المختار اتجه رأيه لاحتلال واحة الكفرة التى كان قد لجأ اليها — كما ذكرت — مجاهدو فزان ، وتم له احتلالها فى ٢٤ يناير ١٩٣١ م ومن ثم بدأ غراسيانى يسعى الى استدراج المجاهدين ليشتبكوا معه فى معركة مكشوفة ، ولكنه لم يستطع واستمر المجاهدون بقيادة عمر المختار يناوشون القوات الايطالية ويهاجمونها هنا وهناك فى أنحاء الجبل الأخضر

حتى وقع عمر المختار فى أسر القوات الايطاليــة فى ١١ سبتمبر ١٩٣١ م وكان وقوع المختار فى الأسر نهــاية لمــا لاقاه الايطاليون عــلى يدى المجاهدين الذين تحت قيــادته من آلام وخسائر ولذلك شــعر الطليان بالفرح الغامــر لوقوع المختار فى أسرهم ومن ثم اتخــذت الاجراءات السريعة — بواسطة المحكمة الطائرة — لمحاكمته محاكمــة صورية ثم الحكم عليه بالاعدام شنقا ، وتنفيذ الحكم فى المختار بعد أيام قليــلة من أسره أمام بنى وطنــه •

ومن الانصاف للجهاد العربى الليبى القول بأن الجهــاد استمر ضد الطليان بعد استشهاد عمر المختار ، ولكنه — أى الجهاد — لم يستمر طويلا حتى توقف نهائيا « ولذلك فيمكن اعتبار عام ١٩٣١ هو عام توقف الجهاد ضد الايطاليين فى ليبيا ، وقد اطمأن الطليان لهذه الحقيقة وأخذوا يعملون على تحقيق الفكرة الفاشستية باعتبار ليبيــا مستعمرة وامتدادا طبيعيــا للأرض الايطاليــة ولذلك تتابعت الاجراءات لتحقيــق هــذه الفــكرة » (١) •

وكان استقدام المعمرين الايطــاليين الى ليبيــا هو الشغل الشاغل للفاشست حيث يجب أن تكون ليبيــا مصدرا رئيسيا للجنس الايطالى فى أفريقيــة وأن يصبح سكان ليبيا ايطاليين يستولون عــلى الأراضى الزراعيــة والموارد الصناعية والتجارية فى البلاد •• وتبعــا لذلك فقد اقترن الوجود الايطالى فى ليبيا بمحاولات القضاء على الشعب العربى فى ليبيا قضاء نهائيا بالاعدام والتقتيل دون مبرر وبالقاء المسالمين فى غياهب السجون حتى يهلكوا ، وتشريد الأبرياء فاضطر الكثيرون الى الهجــرة الى الدول الشقيقة المجاورة وخصوصا مصر وسوريا وتونس •

كمــا اقترن الوجود الايطالى فى ليبيــا بمصادرة أراضى العــرب واجبارهم على التنازل عنهــا مقابل أثمان اســمية وانشاء المستعمرات

---

(١) محمد الطيب الاشهب : عمر المختار — ص ٧٦ •

الايطاليـة وجلب الفـلاحين الايطاليين المعروفين باخلاصهم للنظـام الفاشستى ، كما فتحت ايطاليا أبواب الهجرة الى ليبيـا أمام الايطاليين بصفة عامة وزار موسولينى طرابلس فى ١٨ مارس ١٩٣٨ م ووعد الناس وعودا معسولة وتوقع العرب خيرا الا أنهم فوجئوا فى أوائل ديسـمبر عام ١٩٣٨ بصدور قانون الجنسية الذى يجبر العرب على التجنس بالجنسية الايطالية ، وقد حرم هذا القانون على الليبيين التمتع بالحقـوق التى يتمتع بها الايطالى ولكنه ـــ أى القانون ـــ فرض عليهم الواجبات التى تحتمها الجنسية •

ولكن للظلم والقهر نهاية محتومة •• لقد بقيت ايطاليا تفعل ما تشاء فى ليبيـا ولا تجد من يردعها من الدول الأوروبية الأخرى لأنهم شركاء فى الأطمـاع الاستعمارية بل انه عنـدما أرادت ايطاليا فى عـام ١٩٣٤ الاستيلاء على الحبشة لم تجد معارضة كبيرة وقد تم لها احتلال الحبشة عام ١٩٣٥ م مما زاد فى غرور الطليان ، وتطلعوا الى الاستيلاء على أرض جديدة فى أفريقيا وراودتهم أحلامهم فى الاستيلاء على مصر والسودان ليصلوا أملاكهم فى الصومال والحبشة بالمستعمرة الليبية فما أن قامت الحرب العالمية الثانية بزعامة ألمانيا ضد الدول الأخرى فى أوروبا مثـل فرنسا وانجلترة وغيرها حتى ساقت الايطاليين أحلامهم فأعلنت ايطاليـا الحرب ضد انجلترة وفرنسا فى يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ بعد استيلاء الألمان السريع على فرنسا •

كان دخول ايطاليا الحرب فى صف ألمانيـا سببا فى تحول انجلترة من تأييدها السابق لايطاليا وسياستها الاستعمارية فى أفريقيا ، فبعد أن كانت تضيق الخناق على الليبيين وعلى تحركاتهم عبر الحدود بحكم أن انجلترة كان لها وجود بمصر ـــ وعلى الامدادات التى كانت ترسل لهم من مصر ، أخذت تساهم فى تنظيم الليبيين المقيمين فى مصر ليشتركوا فى الحـرب ضد الطليان فى بلادهم ليبيـا •

والواقع أن الليبيين المهاجرين الى مصر والى سوريا لم ينسوا قضية بلادهم فتأسست فى دمشـق جمعية من هؤلاء المهاجـرين عام ١٩٢٨ م

تحت اسم جمعية الدفاع الطرابلسى البرقاوى . كانت هذه الجمعيــة تهدف الى توحيد جهود أبناء اقليمى طرابلس وبرقة تحت زعامة واحدة ، وكان رئيس هذه الجمعية المجاهد العربى بشير السعداوى . وأما فى مصر فقد كان بها كثير من المهاجرين وكان يوجد أيضا منذ عام ١٩٢٢ م الأمير محمد ادريس السنوسى . ولمـا كان معظم زعماء طرابلس بايعوا الأمير على الامارة على اقليمى ليبيـا قبل رحيله الى مصر فقد اتفق معظـم الزعماء الليبيين ومنهم أعضاء جمعية الدفاع الطرابلسى البرقاوى عـلى تجديد البيعة للأمير ليتولى التحـدث باسم الليبيين قاطبـة مع الدول الأوروبية وخصوصا انجلترة لتخليص البلاد من الطليان .

وبمبايعة الأمير محمد ادريس السنوسى أميرا على ليبيا ، عـلى أن يتم تعيين هيئة تكون مجلس شورى وعلى خوض غمار الحرب ضـد ايطاليا وتعيين هيئة لتجنيد الليبيين فى ٨ أغسطس ١٩٤٠ م بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ ليبيـا الحديث . حيث اشترك الليبيون مـع الجيش الانجليزى فى القتال ضد الألمان والطليان الذى انتهى بقهر دول المحـور وطرد قواتهم من صحراء مصر الغربية بعد معركة العلمين الفاصلة ولم يأت شهر يناير سنة ١٩٤٣ م الا والأراضى الليبية جميعها قد طهرت تماما من قوات ايطاليا وألمانيا وذلك بعد أن احتل الجيش الثامن — من القوات الانجليزية — اقليمى برقة وطرابلس واحتلت فرنسا اقليم فزان .

وبانتهاء الحرب على الأرض الليبية وبخروج الألمان والطليـان من ليبيـا انتهت فترة عصيبة من تاريخ ليبيا الحديث مع أسوأ اسـتعمار وأبشعه ذلك هو الاستعمار الايطـالى الذى كانت أساليبه الاستعمارية فريدة من حيث ابادة الشعب العربى المسلم فى ليبيا ، ومن حيث محـو الشخصية العربيـة الاسلامية للشعب الليبى وصبغ الليبيين بالصبغـة الايطاليـة .

● **تأكيد اللغة الايطالية والتعليم الايطالى فى ليبيـا .**

جاء استيلاء ايطاليا على الحبشة واعتراف الدول الأوروبية وعصبة الأمم فى جنيف بسويسرا بهذا الاستيلاء دافعا لموسولينى فأعلن تأسيس الأمبراطورية الايطالية وكان من نتائج هذا الاعـلان أن ايطاليا اعتبرت

ليبيـا ولاية ايطالية صرفة ، ومعنى هذا الاعتبار أن الجنس العربى فى هذه البلاد مصيره للزوال •

وعندما اشتدت مقاومة الليبيين وأدرك الفاشست الطليان أنه لاسبيل الى التغلب على العرب الا باتباع أساليب الابادة « كان القضـاء على اللغة العربية لغة الدين ودعامة قومية العرب ثم العمل على تنصير العرب واضعاف الدين والأخلاق من الوسائل التى تذرعوا بها لتحقيق هـذه الغاية فأغلقوا الكتاتيب ودور العـلم الوطنية وأنشأوا بدلا منها مدارس ايطالية ثم أكثروا من اقامة دور الفحش والدعارة وعملوا على تنصـير المسلمين وارغامهم على اعتناق الكاثوليكية » (١) •

ومن مظاهر القضاء على اللغة العربية أن اللغة الوحيدة التى يعترف بها الطليان فى ليبيا فى المعاملات الرسمية وفى عـلاقات الناس بالسلطات الحاكمـة بل وفى معاملة الليبيين مع المعمرين الايطاليين كانت اللغـة الايطالية ولذلك كان على الليبيين تعلم اللغة الايطالية وعـدم استعمال اللغة العربية حتى فى وجود غير الايطاليين ، وبالاضافة الى ذلك فقد حرم الايطاليون على العرب تأسيس النوادى أو اقامة الاجتماعات وانشـاء المطـابع وتأسيس الصحف وممارسـة التأليف الا بما يمجد الاستعمار الايطالى كما قطعوا كل اتصال بين ليبيا وكل البلاد العربية ومنعوا وصول الصحف والمجلات المصرية الى ليبيـا •

وكانت مخالفـة هـذه السياسة الاستعمارية تؤدى الى التنكيـل بالمخالفين كما حـدث كثيرا أن أودع السجن كثير من المواطنين الليبيين وجدوا يقرأون كتبا أدبيـة ودروسا دينيـة وغيرهم وجدوا يقرأون كتبا للمرحـوم مصطفى لطفى المنفلوطى ، ورغم ذلك فلم يـكن الليبيون يتوانون عن اظهار شعورهم العربى وانتمائهم القومى كما حدث عنـد عرض فيـلم فى دار للسينما بطرابلس وظهـرت فى الفيلم سفينة مصرية تحمل العلم المصرى فهلل الليبيون وهتفوا مما جعل الايطاليين يشتبكون

(١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ـ ص ٣٣٣ •

معهم وتتدخل القوات الايطالية لتودع العرب السجون •

وكان من مظاهر القضاء على اللغة العربية كذلك ، جعل أسماء الشوارع والميادين فى المدن الليبية أسماء ايطالية وكتابتها باللغة الايطالية هذا الى جانب أن الطليان كانوا يحولون دون وصول الخطابات الى أصحابها العرب ما دامت هذه غير مكتوبة باللغة الايطالية ، بالاضافة الى أن الطليان كانوا يظهرون احتقارهم للباس العربى ويسيئون الى صاحبه ويسخرون منه بل لقد أرغمت سلطات الاحتلال الموظفين الليبيين مهما كانت وظيفتهم قليلة الأهمية على خلع الزى العربى وارتداء الزى الافرنجى •

وأما محاربة السلطات الايطالية للدين الاسلامى فقد اتخذت عدة مظاهر منها محاولات تنصير المسلمين ، واستقدام أعداد كبيرة من المبشرين وانفاق الأموال الكثيرة فى سبيل التبشير بالدين المسيحى ونشر المذهب الكاثوليكى وانشاء الكنائس فى كل المدن الليبية فى الوقت الذى لا يوجد فيه ليبى واحد مسيحى •• كما امتلأت طرابلس وبنغازى بدور الدعارة ووضع الصليب على واجهة المحاكم والمدارس •• بل وأن تصدر الأحكام فى المحاكم الشرعية باسم عمانويل الثالث ملك ايطاليا وتكتب الأحكام الشرعية على ورق مزين برسم الصليب •

وأما بالنسبة للتعليم فقد اتخذ الاستعمار الفاشستى سياسة محاربة التعليم الدينى الوطنى وأن يحل محله تعليم ايطالى مفروض فقد تم اغلاق الزوايا الاسلامية ومصادرة الأوقاف المحبوسة عليها وحاربت السلطات الايطالية الكتاتيب والمدارس القرآنية بل حاربوا أيضا الاتجاهات التى كان يلجأ اليها الليبيون من ارسال أبنائهم للتعليم فى الجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس •

وجاء تضييق السلطات الايطالية على نشاط الليبيين التعليمى ورغبتهم فى الاستزادة من التعليم الدينى فى مصر أو تونس باتخاذ بعض الاجراءات

تمثلت فى « انشاء مدرسة اسلامية عليـا فى طرابلس وحث الناس على الحاق أبنائهم بها ولكن العرب تشككوا فيها وفيما تقدمه لأبنائهم من تعليم خصوصا وأن الايطاليين نصبوا على مدخل هذه المدرسة الاسلامية العليا صليبا كبيرا ، مما جعل الليبيين ينصرفون عنها ويتحايلون لتعليـم أبنائهم فى الجامع الأزهر بمصر بصفة خاصة » (١) .

وجاء الاجـراء الثـانى للتضييق على الليبيين المتجهـين الى مصر للاستزادة من التعليم أن وضع القنصل الايطالى فى القاهرة رقابة على كل ليبى يفد الى البلاد بحيث لا يكون له نشاط آخر غير التعليم الدينى فى الجامع الأزهر ، أو أن يتجه الى التعليم المدنى الحديث فى مصر مما قد يساهم فى اندفاع الليبيين القومى ويغريهم بالجهاد ضد العدو الغاصب فيجاهدون ضـده بالدعـاية والاعلان أو بالمساهمة المادية فى صفوف المجاهدين من بنى وطنهم عند العودة الى الوطن .

هذا الى جانب أن الايطاليين أنشأوا نظـاما تعليميا ايطاليا صرفا فى ليبيـا وكان على المواطنين العرب الراغبين فى تعليم أبنائهم الحاق هؤلاء الأبناء فى هذا النوع من التعليم ورغم أن السلطات الايطالية كانت تشجع أبنـاء العرب على الالتحاق بهذا التعليم وتمنح مكافآت لأبنـاء العرب الذين يذهبـون لاستكمال تعليمهم فى روما — وهـذه الأموال من الأوقاف الاسلامية — رغم ذلك ورغم أن التعليم المتاح لأبنـاء العرب كان قليلا الا أن الليبيين العرب لم يقبلوا على التعليم الايطالى وتشككوا فيه ولم يدخل المدارس الايطالية سوى فئة قليـلة تمثل أبنـاء العرب المتعاونين مـع الفاشست أو المخدوعين بوعود الاستعمار الايطـالى أو المفتونين بالثقافة الايطالية والتعليم الايطالى .

ولكى تغـرى العرب بدخول المدارس الايطاليـة جهزت السلطات الايطالية هذه المدارس بأحسن الأثاث وكثير من الأجهزة التعليمية الحديثة كأجهـزة الاذاعة والخيـالة والآلات الموسـيقية بينما حرمت المدارس

---

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر ـ ص ١٩٨ .

العربية — الابتدائية التى سمح لها فقط بالبقاء — من مثـل هـذه التجهيزات .. كمـا كانت الكتب مصبوغة بالصـبغة الفاشستية بينما اقتصرت المواد القومية وهى التاريخ والجغرافيا على ما يخص ايطاليـا وحدها وهـذا شأن كل استعمار ، وكان النـظام الفاشستى يتطلب آن يرتدى الطلاب زيا مدرسيا اختاره الفاشست لهم تصرفه المدارس لطلابها الذين كان عليهم الانتظام فى المعسكرات والمنظمات الفاشستية .

وبينما كان هذا النظام التعليمى الذى أوجده الطليان فى ليبيا يعنى فقط بنشر نـوع خاص من الثقافة الايطاليـة كان يتلاءم مع أغراضهم الاستعمارية ، تطلع العرب الى تعليم يرضونه لأبنائهم ولـكن المستعمر كان يدعو لنظامه التعليمى بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخـرى ولم يعطوا منصب مدير مدرسة لأى ليبى مهما كان قريبا منهم متعاونا معهم ، كما أن المعلمين العرب الذين تعاونوا مع السلطات الايطالية وقاموا بتعليم أبناء وطنهم فى المدارس الابتدائية كانوا تحت رقابة زملائهم الايطاليين فكان المعلم العربى فى الدرجة الثانية من حيث المركز الأدبى فى المدرسة بينما كانت لغـة التدريس هى اللغة الايطاليـة وحظر استعمال اللغـة العربيـة .

واقتصر وجود المدارس العربية على المدارس الابتدائية التى تشمل خمسة صفوف ولم يكن يتاح تعليم ثانوى أمام أبنـاء الشعب العربى فى ليبيـا فيما عدا المدارس الايطالية الثانوية التى كان يمكن أن يلتحق بها بعض أبناء الموظفين العرب ، ويكفى للتدليـل على رغبـة الاستعمار فى محاربة التعليم العربى أنه كان فى ليبيا عام ١٩٣٦ عدد ٥٦ مدرسة ابتدائية ولم يكن بينها مدرسة ثانوية واحدة بل وحتى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية تدخل الاستعمار الفاشستى فى تنظيمها بحيث قصر التعليم فيها على مبادىء القراءة والكتابة باللغة الايطالية والغاء تعليم بعض الحرف والصناعات المفيدة وبيع مطبعة المدرسة وبعض آلاتها لأفراد ايطاليين .

وكل هذه الاجراءات التى قام بها المستعمر الفاشستى فى ليبيا انمـا هى « حلقة أخرى أضيفت الى سلسلة سيئاته السابقة المتمثلة فى القضاء

على الحركة القومية بشدة واذلال العنصر العربى ومقوماته والاخـلال بحق الملكية وكبت الحرية والقضاء على عروبة ليبيا بتربية الجيل الجديد تربية ايطالية . ويكفى أن نستعرض تلك الأناشيد التى كان يتغنى بهـا التلاميذ فى مدارسهم لتقدير حقيقة ما قامت به ايطاليا فى ميدان التعليم .

انـنـا أبنـاء روما جندها نحن القـدامى
قد سـعينا الألف عامـا ثم عدنا للعهـود
لا رجـوع لا هوينا فى طـريق قد بنينـا
بحجار ودمانا والورى طـرا شهودا » (١)

وهكذا سار التعليم فى العهد الفاشستى الذى لم يكن يعنى سـوى بسياسة طلينة كل ما هو ليبى ، واعتبار الجنس العربى أقـل من الجنس الايطالى ، ولذلك جاء نظام التعليم فى ليبيا فى العهـد الفاشستى ترجمة لهذه السياسة .

● **المدارس القـائمة فى هذا العصر :**

سار التعليم فى ليبيا فى ذلك العصر مشبعا بالفاشية فقد امتلأت الكتب المقررة بالمبادىء الفاشـية وصور لابسى القمصان السـوداء من الرجال والشباب ، وصـور زعماء الفاشست وفقرات من أحاديث موسـيولينى Mussolini بل كانت مواد الدراسـة ذات صبغة فاشـية أيضا حتى أن دراسة قواعد اللغة الايطالية كانت تدرس مثـلا : أضف صفة للدوتشى Duce كما كانت الجغرافيا تشمل أساسا ايطاليا ومستعمراتها مع اعطاء عناية لألمـانيا النازية وأسبانيا ، وتوضيح مشروعاتانجلترة وفرنسا الاستعمارية بالمقارنة مع مشروعات ايطاليـا . واثبات أن نصيب ايطاليـا من المغـانم الاستعمارية غير عادل وأنه بقوة الدوتشىستصبح ايطاليا قادرة علىتأسيس امبراطورية مترامية الأطراف ، كما امتـلأت كتب التاريخ بتمجيد روما والفاشية .

---

(١) مصطفى بعيـو : فى تاريخ لوبيـا ـ ص ١٢٥ .

والى جانب ذلك فقد اتخذت الحكومة الفاشية اجراء مكملا بالغاء جميع مؤسسات الكشافة وأحلت محلها نظام حركة الشباب الفاشستى G. I.L. أو Gioventu Italiana del Littorio

وكانت هذه الحركة تشرف على تدريب الأولاد والبنات تدريبا عسكريا واقامة المخيمات الصيفية وتنظيم الرحلات للطلاب • ولكن لكى لا تجمع السلطات الفاشستية بين العرب والايطاليين فى منظمة واحدة أنشأت سلطات الاحتلال الايطالى عام ١٩٣٥ م منظمة الشباب العربى الفاشى Gioventu Araba del Littorio

تضم الطلاب العرب بطريقة الزامية وتحتم على الطلاب العرب ارتداء الملابس المميزة للفاشست التى كانت توزع عليهم مجانا كنوع من الترغيب كما اتبعت وسيلة أخرى لترغيب الطلاب العرب ، ذلك أن السلطات الايطالية أرسلت الى ايطاليا عام ١٩٣٦م مجموعة كبيرة من الطلاب العرب الأعضاء فى منظمة الشباب العربى الفاشى لقضاء بضعة أسابيع فى ايطاليا كمحاولة لغرس الروح الفاشية فى نفوسهم •

ويمكن القول أن الحكم الفاشستى قد اتبع سياسة جديدة أو بمعنى آخر صحح السياسة التعليمية السابقة ، اهتم بايجاد تعليم ثانوى «يساعد البنين والبنات أبناء الموظفين المدنيين الايطاليين ــ وضباط الجيش لمواصلة تعليمهم فى المستعمرة دون تحمل نفقات ارسالهم الى ايطاليا » (١) •

وبسبب وصول الكثيرين من المعمرين الايطاليين الى البلاد فقد أعدت سلطات الاحتلال لهم قرى ومزارع مستكملة الخدمات ، فكان بكل قرية مدرسة مؤثثة وأدواتها ومعلميها معدين فكان طبيعيا أن يزيد عدد تلاميذ المدارس من ٩٦١١ تلميذا ايطاليا فى العام الدراسى ١٩٣٦/١٩٣٧ ليصبحوا عام ١٩٣٨ م ١٠٦٤٨ تلميذا ثم أصبحوا عام ١٩٣٩ م ١٢٠٤١ تلميذا ايطاليا هذا بينما كان عدد التلاميذ الطليان عام ١٩٢٤ م هو ٣٠٠٠ تلميذ بينما كانت مدارس العرب المماثلة ــ الابتدائية ــ عام ١٩٢٤ م تضم نحو ١٠٠٠ تلميذ أصبحوا عام ١٩٣٩ م ٦٠٠٠ تلميذ تقريبا •

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 22.

ومن هذا يتبين التوسع الزائد فى المدارس الايطالية بينما لا تجاريها المدارس العربية فى التزايد لأن هذا لا يتفق مع سياسة السلطات الفاشية •

ويجدر بنا أن نستعرض أنواع التعليم القائمة فى ليبيا فى العصر الفاشستى على أن نحدد المدارس الجديدة التى عملت السلطات الايطالية على انشائها فى ليبيا •

أولا ــ المدارس العربيــة :

لم يطرأ تغيير على التعليم بالنسبة للعرب الليبيين بوجود الفاشست فى الحكم خصوصا فى السنوات الأولى لاستيلائهم على مقاليــد الأمور فى ايطاليا ، وبقى التعليم كما كان فى العصر الأول للاحتلال الايطالى • وحالته ــ كما عرفنا ــ كانت غير مستقرة بسبب عدم استقرار الأحوال نفسها فى البلاد ولكن فى عام ١٩٢٢ وصلت الى طرابلس لجنة ايطالية لدراسة التعليم المتاح للمواطنين العرب تهيئة لوضــع تخطيط تعليمى جــديد يتمشى مع السياسة الاستعمارية الايطالية ادراكا من الطليان لأهمية التعليم فى تدعيم مواقعهم فى المستعمرة •

وقد أوضحت هذه الخطة أنهــا تهدف ــ كما أوضحها أحد أعضاء اللجنة ــ الى « أن المدارس كانت من نوع خاص تقوم على تدريب التلميذ العربى على تقدير نفسه وأن يرقى الى مستوى أعلى من العمل وأن يفهم بوضوح الخطة الانسانية التى تعمل ايطاليا على نشرها فى أفريقيا » (١) •

وبمعنى واضــح أن التعليم لم يكن يهتم بالــتراث الثقافى العــربى الاسلامى السائد لدى أبناء البلاد وعدم الاهتمام هذا ظهر فى عدم المحافظة على هذا التراث بل الذى ظهر هو محاولة القضاء على هذا التراث وتحقيره والاستهانة به • كما لم تعمل السلطات الاستعمارية على تطوير هذا التراث والأخذ بيده فى ظل التطورات الحضارية السائدة • بل كان المطلوب من الطالب العربى أن يعتز بأنه خاضع لايطاليــا صاحبة الرســالة الانسانية فى أفريقيــا ! ! •

(1) M. Tortonese : Le istituzioni scolastiche in Libia, P. 46.

كما أوضح عضو آخر أهداف الخطة التعليمية الموضوعة بقوله « نحن فى المستعمرات فى عالم مختلف عن ذلك العالم فى ايطاليا — الوطن الأم — فان السكان مسلمون لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة التى تمتد خلفهم قرونا من التاريخ وبقيت معاهدهم على فطرتها الأولى ، ولكن من الخطأ تدمير أو الغاء كل هذا بضربة واحدة دون أن نسبب مقاومة ، ولذلك فانه يجب عمل ذلك تدريجيا ، يجب أن نعطى المواطن العربى وسائل تنمية نشاطاته وفى نفس الوقت ننشر أفكارنا مع الايحاء بأننا لن نستند على شىء من ماضيه » (١) .

ومن ذلك تتضح حقيقة الأهداف الاستعمارية بالنسبة لتعليم أبناء العرب وهى أهداف ليست بمستغربة من حكم استعمارى تسلطى فاشستى ورغم أن هذه اللجنة وضعت تقريرها حول التعليم على هذا النحو وحددت أهدافه فانه لم يأخذ مكانه فى التنفيذ . الا « فى عام ١٩٢٧ عندما تقرر ترك الكتاتيب تمارس رسالتها التعليمية مع وجود مفتش وطنى للاشراف على هذه الكتاتيب وتقرير تلك التى تستحق مكافأة أو اعانة مالية » (٢) من أموال الأوقاف الاسلامية . وبقاء الكتاتيب وبصفة خاصة فى المدن لم يكن رغبة من الطليان فى تعليم أبناء الوطن تعليما دينيا ، ولم يكن تساهلا منهم مع العرب أصحاب البلاد ، بل ابقاء الكتاتيب فى التنظيم التعليمى كان « محاولة لتجنب السرعة الزائدة التى تنتج من نقل الطلاب العرب من النظام المدرسى التقليدى فى ليبيا الى المدارس ذات النمط الايطالى » (٣).

واشتمل تنظيم التعليم أيضا على بقاء المدارس الابتدائية ذات الصفوف الخمسة التى كانت موجودة فى العصر الايطالى الأول ، وهذه المدارس كانت عبارة عن قسمين : القسم الأول ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ..

---

(1) A. Festa : La scuola Italiana. P. 52.
(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948). P. 23.
(3) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 93.

والقسم الثانى ومدة الدراسة به سنتان وكانت اللغة الايطالية تدرس فى كلا القسمين • وكانت خطة الدراسة اليومية تشمل دراسة اللغة الايطالية لمدة ثلاث ساعات واللغة العربية ثلاث ساعات أخرى ، وذلك فى القسم الأول ، أما فى القسم الثانى فقد كان تعليم اللغة الايطالية يستغرق أربع ساعات ، بينما يستغرق تعليم اللغة العربية ساعتين فقط ، يوميا •

وعلى هذا الأساس فقد كانت المدارس الابتدائية ـ حسب هذا التنظيم التعليمى ـ هى « نفس المدارس الابتدائية الايطالية العربية ـ التى أنشئت فى العصر الايطالى الأول ـ وحدثت بها التغييرات التالية :

١) ابعاد الأطفال غير المسلمين •

٢) استخدام منهج جـديد •

٣) تجديد الوسائل التعليمية لتخدم المنهج الجديد •

٤) تدعيم هيئة التدريس » (١) •

وهذه التغييرات التى حدثت للمدارس الابتدائية تتفق مع السياسة الفاشية التى سبق ذكرها والتى عنيت بتعليم اللغة الايطالية من أول صف دراسى أى حين يلتحق الطفل بالمدرسة مباشرة وهذا طبعا على حساب اللغة العربية والدين الاسلامى •

وبالنسبة للتعليم الثانوى كما أوضحته اللجنة فقـد عبر عنه أحدهم بقوله « ان موضوع تعليم الوطنيين فى المستعمرة من أكبر الصعوبات التى تواجه القـوة ـ السلطة الايطالية ـ وهو من الأمور التى يستند اليها المستقبل السياسى للمستعمرة • ويجب على السلطة أن تقرر اذا كان من المفيد حـكم وطنيين أدنى منهم ، أو اعدادهم لليـوم الذى يعاملون فيه كمساوين لهم » (٢) •

---

(1) Ibid, P. 93.
(2) A. Piccioli : La rivascita della Tripolitania, P. 36.

وقد حددت خطة التعليم الموضوعة انشاء مدارس ثانوية لأبناء العرب على أن تكون مدة الدراسة بها أربع سنوات : السنتان الأوليان دراسة عامة ، ثم تتفرع الدراسة الى شعبتين في السنتين الأخيرتين شعبة منها لاعداد التجار وأمناء المكتبات والموظفين الصغار العرب ، والشعبة الثانية لاعداد معلمى الكتاتيب ولكن هذه المدارس لم تظهر للوجود • وكان مقررا انشاء مدرسة فى طرابلس وأخرى فى بنغازى وأن تكون مناهجها شديدة الشبه بزميلتها ذات الطابع الايطالى •

كما أن تنظيم التعليم المشار اليه سابقا قــد أوضح نوعا جديدا من المدارس لتعليم البنات العربيات عرف باسم مدارس العلوم المنزلية والتربية العــامة ، وقد جهزت هــذه المدارس بما يكسب البنات العربيات تدريبا عمليا فى الاقتصاد المنزلى والصــحة وتفصيل الملابس وصناعة السجاد ، وقد وجدت هذه المدارس فى أنحاء المدن الليبية وكانت عبارة عن فصول قليلة العدد ملحقة ببعض المبانى المدرسية ، وكان يقوم بالتعليم فيها راهبات مختارات من قبل السلطات الاستعمارية الفاشستية وكان الاقبــال عليها قليلا من بنات المواطنين العرب •

أما التعليم المهنى فقد حدث فيه تغيير أيضا • فقد بقيت مدرسة الفنون والصنائع بطرابلس تمارس نشاطها وأعيد تنظيمها بما يتمشى مع السياسة التعليمية للعصر الفاشستى وذلك عام ١٩٢٥ م فكان الأطفال الذين يلتحقون بها يعطون تعليما ابتدائيا ، ثم يمكثون أربع سنوات فى دراسة برنامج مهنى حيث يمارس كل تلميذ تدريبــا فى الحرفة التى يختارها من بين الحــرف المتوفرة فى أقسام المدرسة • وكانت أقسام المدرسة على النحو التالى :

١) قسم التطريز والديكور •
٢) قسم الصباغة والنسيج •
٣) قسم النجــارة •
٤) قسم التجليــد •
٥) قسم أعمال الفضة والنحاس •

٦) قسم الطلاء •
٧) قسم البنـــاء •
٨) قسم للميكانيكا ويشـــمل صناعات : صهر المعـــادن ، الخراطة ، لحـــام المعادن ، أعمال الميكانيكا للسيارات •

وكانت المدرسة تضم قسما لأبناء الطليان وكانت منتجات هذهالمدرسة تباع للمؤسسات والأفراد ، وقـــد افتتحت المدرسة متجرا للبيع لحسابها ، ومن دخل منتجاتها كان يتم الصرف على المدرسة الى جانب ما كان يخصص لهـــا من بعض أموال الأوقاف الاسلامية •

وشمل التغيير الذى حدث لمدرسة الفنون والصنائع بمدينة طرابلس انشاء قسم زراعى اتخذ مقرا له فى منطقة ســـيدى المصرى ، وهو نفس المكان الذى كانت تقوم فيه المدرسة الزراعية التىأنشأها الأتراك فى أواخر سنوات حكمهم لليبيا وشملت المدرسة مزرعة مساحتها ٢٠٠ هكتار ، وكان ملحقا بالمزرعة مدرسة ابتدائية يقوم بالعمل فيها معلمان أحدهما عـــربى والآخر ايطالى وكان على التلاميـــذ زراعة المزرعة بأنفسهم وكانت هناك أوقاف للصرف على المدرسة الزراعية التى اتخذت من قصر حسونة باشا القرهمانلى مسكنا للتلاميذ •

وكانت مدرسة الفنـــون والصنائع بمدينة بنغازى قـــد حدد التغيير طريقها وتنظيمها فى اتجاهـــين الأول يتعلق باعادة تنظيم مدرســـة الفنون والصنائع من حيث المنهج وقبول الطلاب بما يتفق مع تنظيم شقيقتها فى طرابلس ، والاتجاه الثانى كان يهدف الى انشاء قسم زراعى أيضا أسوة بما اتبـــع فى طرابلس • وبالنسبة لتنظيم مدرسة الفنون والصنائع فقـــد انقسمت الى قسمين : القسم الأول للتلاميذ العرب المسلمين ويهدف الى تعليم هؤلاء التلاميذ الحرف المناسبة لكل منهم وقد وضع البرنامج الخاص بهذا القسم بمعرفة لجنة شكلت لهذا الغرض على نسق مدرسة طرابلس ، أما القسم الثانى فكان للتلاميذ الطليان ولكن المنهج الخاص بهذا القسم كان مشابها لذلك المنهج المتبع فى المدارس الايطالية •

ومن أجل عزل ليبيا عن شقيقتيها مصر وتونس واغراء الطلاب الليبيين الراغبين فى مزيد من الدراسات الاسلامية فى الجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس فقد تفتق ذهن المستعمر الفاشستى عن انشاء مدرسة عليا أسماها المدرسة الاسلامية العليا • وقد بدىء فى التفكير لانشاء هذه المدرسة « منذ عام ١٩١٤ بعد الاحتلال بثلاث سنوات تقريبا ، ونصت عليها القوانين التعليمية والمراسيم الملكية فى أعوام ١٩١٥ ، ١٩٢٢ م ولكنها لم تظهر للوجود ، حتى صدر عام ١٩٣٥ م المرسوم الملكى الايطالى رقم ١٣٦٥ — الصادر فى ١٣ مايو ١٩٣٥ بانشاء هذه المدرسة بمدينة طرابلس وقد ظهرت للوجود فى العام الدراسى ١٩٣٥|١٩٣٦ » (١) • ولكنها أغلقت عام ١٩٤٢ م مع نشوب الحرب العالمية الثانية ولأنها لم تجد الاقبال من المواطنين العرب •

وكانت هذه المدرسة ذات مرحلتين : مرحلة اعدادية مدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ومرحلة ثانوية مدة الدراسة بها أربع سنوات وهذه المرحلة الثانوية ذات شعبتين واحدة لاعداد مدرسين للمدارس الابتدائية والشعبة الثانية لاعداد الليبيين للخدمة فى الوظائف العامة ، ووظائف القضاء والافتاء ، وكانت المرحلة الاعدادية من هذه المدرسة تقبل التلاميذ الحاصلين على دبلوم المدرسة الابتدائية ذات الخمس سنوات ، وأما المرحلة الثانوية بهذه المدرسة فتقبل طلابها من بين الطلاب الذين أنهوا المرحلة الاعدادية بنفس المدرسة بنجاح •

وكانت المواد الدراسية بالمرحلة الاعدادية من المدرسة الاسلامية العليا على النحو الآتى :

(أ) الدين الاسلامى •
(ب) اللغة العربية •
(جـ) المنطق والأخلاق •
(د) اللغة الايطالية •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 97.

(هـ) التاريخ والجغرافيا •

(و) الرياضـيات •

(ز) مبادىء العلوم والصحة •

وأما المرحلة الثانوية بهذه المدرسة فالمواد الدراسية بها هى :

أ ــ الدين الاسلامى : قراءة القرآن الـكريم ، التجويد ، التوحيد ، العقائد ، العبادات ، حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ديانات أخرى •

ب ــ لغة عربية : قواعد ، انشاء ، علم البيان ، علم المعانى ، البديع ، نظم الشعر ، العروض والقوافى •

جـ ــ اللغـة الايطالية •

د ــ التاريخ والجغرافيـا •

هـ ــ الرياضـيات •

و ــ مبادىء العلوم والصحة •

وهناك مواد دراسية أخرى خاصة بكل شعبة من شعب هذه المرحلة فبالنسبة لشعبة اعـداد المعلمين يدرس الطلاب مادتى مبادىء الفلسفة ، وطرق التدريس وبالنسبة لشعبة اعداد الموظفين الليبيين فيدرس الطلاب مبادىء التشريع الاسلامى ومبادىء الأخلاق •

بعـد أن استعرضنا التعليم فى العصر الفاشستى والمدارس الجديدة التى وجدت فى هـذا العصر فانه يمكن القول بأنه تبعا للقرار الصادر فى ١٩٢٨ م فان المدارس العـامة المتاحة للعرب انقسمت الى قسمين فقط ، مدارس ابتدائيـة ومدارس مهنية ، واما الشباب المسلم الراغب فى مزيد من التعليم فيستطيع الالتحاق بالمدارس الثـانوية ذات الطابع الايطالى • وقد استفاد عدد من هؤلاء الطلاب كما هو مبين فى الجدول التالى الذى أخذ من تقرير عن السنوات الخمس الأخيرة للادارة الايطالية » (١) •

---

(1) Ibid, P. 98.

عدد التلاميذ المنتظمين فى المدارس الثانوية ذات الطابع الايطالى	السنة الدراسية
٥٢	١٩٣٦ — ١٩٣٧
٥٣	١٩٣٧ — ١٩٣٨
٥٥	١٩٣٨ — ١٩٣٩
٧٧	١٩٣٩ — ١٩٤٠
٤٧	١٩٤٠ — ١٩٤١

ومن هــذا الجدول يتبين ضآلة الفرص التعليمية المتــاحة للمواطنين العرب فى التعليم الثانوى فقد حرموا من مدارس ثانوية خاصة بهم وترك لبعضهم ــ وليس لجميع المواطنين ــ باب صغير يدخل منه القليل المدارس الثانوية الايطالية حيث كان يسمح فقط بدخول هذه المدارس للمواطنين الذين يقدمون الولاء للمستعمر وجاءت هذه الأعداد الصغيرة دليلا على أن أغلبية المواطنين ــ ان لم يكن كلهم تقريبا ــ استنكف تقديم الولاء للمستعمر الفاشستى ورفضوا التعاون مع هذا المستعمر •

وقد حاول المستعمر الايطالى اجتذاب الشباب العربى فى ليبيــا الى تنظيماتهم ، فأنشأوا عام ١٩٣٥ تنظيم الشباب العربى الفاشستى وهو تنظيم مشابه لتنظيم الشباب الايطالى الفاشستى • ورغم أن اعلان وجوده نص على أن الانضمام اليه اختيارى فان جميع الطلاب المقيدين بالمدارس كان عليهم الانضمام الى هذا التنظيم بل وحتى الشباب الذى لم يكن مقيدا بأية مدرسة كان يتم اغراؤه للانضمام الى هذا التنظيم كاعطائه الزى دونمقابل وغير ذلك من مميزات لعضــو التنظيم « وكان هــذا التنظيم ينقسم الى قســمين :

١) من سن ١٢ الى ١٥ سنة للصبية •

Afta

٢) من سن ١٥ الى ١٨ سنة للشباب » . (1) Sciubban

ثانيا ــ مدارس اليهــود :

استمرت مدارس اليهود التى كانت موجودة فى العصر الايطــالى الأول استمرت تزاول نشاطها التعليمى لأن اليهود استطاعوا أن يكونوا على وفاق تام مع الايطاليين لدرجة أن أحد الطليان عبر عن وجود اليهود فى ليبيا وواجب ايطاليا نحوهم ونحو تعليمهم بقوله : « لقد وجدوا لهم مكانا تحت الشمس وأمسكوا بأنفسهم الحياة الاقتصادية للبلاد .. فماذا يجب أن يكون موقفنا منهم ؟ يجب أن نساعدهم على تكوين جماعــة متماسكة » (٢) .

ولذا فقد استمرت مدارس التلمود والمدارس الابتدائيــة التابعــة للمؤتمر الاسرائيلى العالمى تؤدى وظائفها دون تغيــير بل دون تدخل من جانب السلطات الايطالية بل وزاد عدد الطلاب اليهود فى المدارس ذات الطابع الايطالى سواء كانت ثانوية أو فنية مهنية .

بل لقد سمحت السلطات الايطالية لليهود بانشاء معهد فنى خاص بمدينة طرابلس تديره هيئة المجتمع اليهودى بالمدينة لتدريب أبناء اليهود على اكتساب بعض الحرف الفنية التى يستطيعون عن طريقهــا السيطرة على النواحى الاقتصادية فى البلاد .

كما تأسست فى السنوات الأخيرة من الحكم الايطالى لليبيا مدرسة طبيــة لعلاج الأطفال المصابين بمرض التراكوما ـــ وهو أحد أمراض العيون التى تنتشر فى البلاد الصحراوية والتى تقع على البحر ـــ وكانت هذه المدرسة تقبل الأطفال المقيدين بالمدارس اليهودية والايطالية فقط بمدينة طرابلس ، كما أنشىء قسم مماثل ملحق باحدى مدارس اليهــود فى بنغــازى .

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania 1948, P. 25.
(2) A. Festa : La Scuola Italiana, P. 65.

وفيما يلى احصائية عن عدد مدارس اليهود وأنواعها فى ليبيـا فى العام الدراسى ٣٩/١٩٤٠ م بمجموع ٥٠٤٩ تلميذا .

	المدارس الثانوية	المدارس المهنيـة	المدارس الابتدائية	التلمـود	رياض الاطفال
اقليم طرابلس	١	٢	١٧	١٤	٢
اقليم برقـة	—	—	٢	٣	—
الجمـلة	١	٢	١٩	١٧	٢

ثالثا ـ مدارس الارساليات الدينية والجاليات الاوروبية :

كذلك استمرت هذه المدارس تؤدى وظيفتها التى وجدت من أجلها فى ليبيا ، بل لقد وجدت من التشجيع من قبل سلطات الحـكم الايطالى الفاشستى مما زاد من نفوذها وجعل دورها أكثر وضوحا لاتفاق سياستها مع سياسة المستعمر حيث أنهم « مقيدين فى المستعمرة وهدفنا ـــ وهذا رأى مسئول ايطـالى ـــ كسبهم بالمـودة وبالمعاملة الطيبة واعطاؤهم الحرية مع متابعتهم بالدعاية المؤثرة لايضاح أفكارنا لهم » (١) .

اذن اقتصر التغيير الذى طـرأ على التعليم فى مدارس الارساليات الدينية والجاليات الأوروبية فى ليبيا على توفير الحماية لهذا النوع من التعليم واعطائه الفرص الكافية ليمارس نشاطه بشرط أن يسير مع الخط الذى يهدف اليه المستعمر الايطالى من حيث طلينة المواطن العـربى ، ونشر الثقافة الايطالية الأوروبية ومحاربة الثقافة العربية الاسلامية كل ذلك من أجل بقاء السيطرة الايطالية الفاشستية على الشعب العربى فى ليبيـا وأن يتفهم أعضاء الجاليات الأوروبية هـذه السياسة ويساعدوا

(1) Ibid, P. 72.

على تنفيذها ولذلك جاءت مدارس الارساليات التبشيرية الـكاثوليكية المشبوهة منذ نشأتها فى هذا العصر الفاشستى عاملا مساعدا على نشر الأفـكار الفاشستية بين المواطنين ، واشتركت معها مدارس الجاليـات الأوروبية خصوصا المالطيين والفرنسيين فى محاربة التراث الثقافى العربى ونشر الثقافة الأوروبية واغراء المواطنين العرب على الأخذ منها بنصيب .

وفيما يلى جدول بعدد مدارس البعثات التبشيرية والجاليات الأجنبية الموجودة فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٠ م :

أولا : فى طرابلس (الاقليم بما فيها مصراتة)

عـدد

١) ٢ مدرسة ابتدائية للبنين يديرها اخوان المدارس المسيحية
٤ مدارس ابتدائية للبنات تديرها الأخوات الفرنسسكانيات وأخوات القديس يوسف .

٢) ٨ مدارس رياض للأطفال تديرها الأخوات الفرنسسكانيات والأخوات البيض من صقلية وأخوات القديس يوسف.

ثانيـا : فى برقة (وتشمل بنغازى ودرنة وما حولها)

عدد

١) ١ مدرسة ابتدائية للبنين يديرها اخوان المدارس المسيحية.
٢ مدرسة ابتدائيـة للبنـات تديرها الأخوات المسيحيات الفرنسسكانيات
١ مدرسة ابتدائيـة مختلطة تديرها الأخوات المسيحيات الفرنسسكانيات
٢ مدرسة ريـاض للأطفـال تديرها الأخوات المسيحيات الفرنسسكانيات

٢) ٢ مدرسة رياض للأطفال تديرها الأخوات الفرنسسكانيات.

وهـذه المدارس كانت تنقسم الى نوعين : النـوع الأول مدارس تشابه فى مناهجها ونظمها نفس المدارس الايطالية وهى تشمل مدارس

ابتدائية للبنين والبنات وهـذه كانت تجد التأييد والتشجيع من قـوى الاستعمار الفاشستى خاصة والأوروبى بصفة عامة ، وكانت سـلطات الاحتلال الايطالى فى ليبيا تمدها بالمساعدات المادية ..

والنوع الثانى من هذه المدارس أطلق عليه اسم المدارس الخاصـة وهو الذى كان يتبع الى حد كبير الجاليات الأجنبية وخصوصا اليونان والمالطيين وكان يشمل مدارس ابتدائية قليلة العدد ورياضا للأطفال وهذه المدارس كان يعمل بها أيضا راهبات مسيحيات أيضـا باعتبار أن ديانة الجاليات الأوروبية الذين يرسلون بأبنائهم الى هذه المدارس هى الديانة المسـيحية .

وعلى هذا الأساس فقد كان لكلا النوعين شخصيته الاعتبارية طالمـا لا تتعارض وظيفته وطبيعة عمله مع سياسة الاحتلال الفاشستى لليبيا ، ولم تتدخل السلطات الايطالية فى شئون هـذه المدارس مثلما تدخلت بصورة سافرة فى التعليم العربى الاسلامى لأبناء الشعب العربى فى ليبيا.

رابعا ــ المدارس ذات الطابع الايطالى :

كانت السياسة الاستعمارية الفاشستية فى الوقت الذى تضيق فيـه فرص التعليم العربى أمام أبناء البلاد ، تقوم بفتح الكثير من المدارس ذات الطابع الايطالى أى المماثلة لتلك المدارس العاملة فى ايطاليا ذاتها ، وقد نظم قيام هذه المدارس فى ليبيا المرسوم الملكى رقم ٤٧٢ الصادر فى ٣١ يناير ١٩٢٤ م وقد اقتضت سياسة الاستعمار أن يتعلم أبناء الطليان المقيمين فى ليبيا اللغة العربية وعادات أهل البلاد وذلك يتمشى مع سياسة « العهد الفاشستى التى غيرت النظرة الى سياسة التعليم بحيث أصبح الهدف ليس ايجاد طالب واحد ممتاز فى كل فصل دراسى بل خلق كل طلاب الفصل ممتازين وأن تعليم اللغة العربية لأبنائنا ــ أبناء الطليـان طبعا ــ له أهميته حتى لا يظلون طـويلا يعتبرون أنفسهم منعزلين عن المجتمع الذى يعيشون فيه » (١) وهذا بقصد التأثير فى أبنـاء الشعب

(1) Ibid, P. 95.

العربى والعمل على صبغهم بالصبغة الايطالية .

وكانت المدارس الايطاليـــة القائمـــة فى ليبيا فى العصر الفاشستى تتضمن الأنواع التاليـــة :

١) مدارس رياض الأطفال .

٢) المدارس الابتدائية ذات الخمس سنوات الدراسية .

٣) المدارس الثانوية وهذه كانت تضم أنواع المدارس الآتية :

أ ـــ معهـــد رياضى باسم معهـــد دانتى اليجرى فى طرابلس ومصراتة وبنغازى .

ب ـــ معهـــد فنى لتعليم الطـــلاب بعض الحرف فى طرابلس وبنغازى ودرنة .

جـ ـــ معهد لاعداد معلمى المدارس الابتدائية بمدينة طرابلس.

٤) المدارس المهنية : حيث توجد مدرسة للتدريب المهنى فى كل من طرابلس وبنغازى .

وكان تلاميذ المدارس الثانوية يسمح لهم بدخول الجامعات الايطالية فى ايطاليـــا ، كما كانت هـــذه المدارس تحصل على ميزانية سنوية من السلطات الايطالية فى ليبيا ، كما كانت تزود بمكتبة للمعلمين والطلاب . وكانت المدارس الايطالية الثانوية أو الابتدائية أو رياض الأطفال تنشأ تبعـــا للزيادة فى عدد الطليان الوافدين على ليبيا ، وعلى هذا فقد كان عدد المدارس الايطالية فى تزايد مستمر .

وفى العام الدراسى ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٠ كانت المدارس الايطالية القائمةفى ليبيا على النحو التالى :

	عدد مدارس رياض ألاطفال	عدد المدارس الابتدائية	عدد المدارس الثانوية	عدد مدارس تدريب مهنى	ملاحظات
طرابلس: ١) ادارة طرابلس	٨	٤٣	٣	١	
٢) ادارة مصراتة	١	٢٦	١	—	
برقة: ١) ادارة بنغازى	١	١٢	٢	١	
٢) ادارة درنة	١	١١	١	—	
فزان	—	١	—	—	
الجملة	١١	٩٣	٧	٢	

ومن مناقشة هذه الاحصائية عن عدد المدارس الايطالية يتبين ازدياد عدد الطليان فى أنحاء البلاد الليبية تمشيا مع السياسة الفاشستية حتى أن « عدد المدارس الابتدائية الايطالية بما فيها مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية كان عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ الدراسى ٢٢ مدرسة فقط ، ارتفع عددها فى العام الدراسى ١٩٣٩ — ١٩٤٠ الى ١٢٤ مدرسة وعدد تلاميذها ١٨٧٢١ تلميذا » (١) .

وكان على جميع الطلبة والطالبات الايطاليين الانضمام الى أحد فروع منظمة الشباب الفاشستى Gioventu Italiana del Littorio « التى ظلت تحشو أذهانهم بالمبادىء الفاشية كما تدرب أجسامهم للقتال من أجل الفاشية ولقد تأسست هذه المنظمة فى ليبيا عام ١٩٢٥ عقب تأسيسها فى ايطاليا مباشرة وكان على جميع البنين والبنات بين سن ٦ الى ٢١ سنة الانضمام اليها » (٢) ليصبحوا أعضاء فى فروعها التالية :

١) من سن ٦ الى ٨ سنوات منظمة أبناء أو بنات الذئبة Figli Della Lupa

٢) من سن ٨ الى ١٣ سنة للأولاد فى منظمة باليلا (نسبة الى أحد الأولاد الطليان الذى تحدى النمسويين عام ١٧٤٦ م) وكان اسمه باليلا Balilla

٣) من سن ٨ الى ١٤ سنة منظمة البنات الصغيرات الايطاليات Piccole Italiane

٤) من سن ١٣ الى سن ١٨ أولاد منظمة الطلائع Avanguardisti

٥) من سن ١٤ الى سن ١٨ بنات منظمة الشابات الايطاليات Giovane Italiane

٦) من سن ١٨ الى سن ٢١ أولاد وبنات منظمة الشباب الفاشستى Giovane Fascisti

---

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 105.

(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 23.

وكان نشاط هذه المنظمات « يشتمل على ما يأتى :

أ — تدريب الأطفال الايطاليين تدريبا خلقيا وعسكريا وجسميا •

ب — مراقبة فصول الدراسة بالمدارس ونشر الثقافة الفاشية بالتعاون مع السلطات التعليمية •

ج — تنظيم معسكرات صيفية ومنازل التعمير أو أى رعاية للمرضى مع تقديم مساعدات مادية ومعنوية للأعضاء •

د — التدريب على ممارسة القيام بالرحلات وأعمال الكشف والتجوال » (١) •

وقبل أن ننهى حديثنا عن التعليم فى ليبيا ابان العهد الفاشستى نسوق بعض الجداول الاحصائية » :

(1) Ibid, P. 23.

أ ـ تطور عدد المدارس من العام الدراسى ١٩٢٢/٢١ الى العام الدراسى ١٩٣٩/١٩٣٨ م :

أنواع المدارس		١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٣١\١٩٣٠	١٩٣٥\١٩٣٤	١٩٣٩\١٩٣٨	ملاحظات
المدارس الثانوية	الطليان	١	٣	٥	٨	٥	١) مدرسة اسلامية خاصة
	العرب	—	—	—	—	(١)١	
	اليهود	—	—	—	—	—	
	المجموع	١	٣	٥	٨	٦	
المدارس التجارية والفنية	الطليان	١	١	٢	٣	٣	١) هذه مدارس للتربية المنزلية للبنات معظمها الى جانب مدرستى البنين الزراعية والصناعية
	العرب	—	—	١	(١)٥	(١)٥	
	اليهود	—	—	—	—	—	
	المجموع	١	١	٣	٨	٨	

ا ـ (تابع) تطور عدد المدارس من العـام الدراسى ١٩٢٢/٢١ الى العام الدراسى ١٩٣٨/١٩٣٩ م :

أنواع المدارس			١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٣١\١٩٤٠.	١٩٣٥/١٩٣٤	١٩٣٩\١٩٣٨	ملاحظـات
المدارس الابتدائية	حكومية	الطليان	٤	١٠	٢٤	٤٢	٧٢	
		العـرب	٤	١٨	٣٤	٥٢	٦٤	
		اليهـود	٢	٥	٥	٢	٢	
	شبه حكومية	الطليان	٤	٦	٧	٥	٧	
		العـرب	—	—	—	—	—	
		اليهـود	—	—	—	—	—	
	خاصة	الطليان	—	—	—	٧	٦	١) كتاتيب ومدارس قرآنية
		العـرب	(١)٥٢	(١)٦٩	(١)٢٦٥	(١)٥٠٣	(١)٣٤٨	٢) مدارس الاتحاد الفرنسى اليهـودى والمدارس
		اليهـود	١	٢	١	(٢)١٦	(٢)١٤	السريانيـة والعبرانيـة وهى ليست تحت اشراف
		اليونان	—	١	١	١	١	الحكومـة

أنواع المدارس	١٩٢١/١٩٢٢	١٩٢٥/١٩٢٦	١٩٣٠/١٩٣١	١٩٣٤/١٩٣٥	١٩٣٨/١٩٣٩	ملاحظات
الطليان	١٠	٢٠	٣٨	٦٥	٩٣	
العرب	٥٦	٨٩	٣٠٣	٥٦٠	٤١٨	
المجموع اليهود	٣	٧	٦	١٨	١٦	
اليونان	—	١	١	١	١	
المجموع	٦٩	١١٧	٣٤٨	٦٤٤	٥٢٨	

ومن دراسة هذا الجدول الاحصائى عن عدد المدارس يمكن تسجيل الحقائق التاليـــة :

أولا : بالنسبة للمدارس الثانوية لم تكن هناك مدرسة واحدة خاصة بالعرب سوى المدرسة الاسلامية بينما وجدت مدارس ثانوية للطليان كانت تقبل كل من يتقدم لها من أبناء اليهود وعددا قليلا من العرب المتصلين بالطليان •

ثانيــا : أما المدارس التجارية والفنية فقد توفرت للطليان ، ولم يكن أمام العرب من المدارس التجارية أية فرصة متاحة وكانت المدارس

التجارية متاحة لليهود • أما العرب فقد وجدت مدارس للتربية المنزلية للبنات ومدرستى الفنون والصنائع والمدرستين الزراعيتين الملحقتين بهما •

ثالثــا : وكانت المدارس الابتدائيــة تشمل ثلاثة أنــواع : الأول هو المدارس التى أقامتها سلطات الاحتلال الايطالى والنوع الثانى المدارس التى كانت تعينهــا سلطات الحــكم الايطالى والنوع الثالث هى المدارس الخاصــة بالبعثات التبشــيرية والمدارس القرآنية والكتاتيب ومدارس اليهود ومدارس الجاليات الأجنبية وبمقارنة عدد مدارس العرب بعدد مدارس الطليان نجد فرقا واضحا فى صالح الطليان خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار عــدد السكان العرب وعدد أفراد الجالية الايطالية فى البلاد •

★ ★ ★

ب ـــ جدول عدد المعلمين فى أنواع المدارس المختلفة :

أنواع المدارس		١٩٢١/ ١٩٢٢	١٩٢٥/ ١٩٢٦	١٩٣٠/ ١٩٣١	١٩٣٤/ ١٩٣٥	١٩٣٨/ ١٩٣٩
المدارس الثانوية	الطليان	٥١	٥٧	٤٠	٥٦	٥٤
	العــرب	—	—	—	—	٧
	اليهود	—	—	—	—	—
	المجموع	٥١	٥٧	٤٠	٥٦	٦١
المدارس التجارية والفنيــة	الطليان	٢٣	٥٧	٣٦	٤٠	٤٨
	العرب	٥	١٠	١٠	١٠	١٤
	اليهود	—	—	—	—	—
	المجموع	٢٨	٦٧	٤٦	٥٠	٦٢
المدارس - مدارس حكومية	الطليان	١٢٢	٢٠٢	١٥١	٢٧٤	٤٨٧
	العرب	٣١	٦٠	٥٩	٨٠	١٠٤
	اليهود	—	—	—	—	—
المدارس - مدارس شــبه حكومية	الطليان	٢٦	٢٧	—	—	٢٣
	العرب	—	—	—	—	—
	اليهود	—	—	—	—	—

أنواع المدارس		١٩٢١/ ١٩٢٢	١٩٢٥/ ١٩٢٦	١٩٣٠/ ١٩٣١	١٩٣٤/ ١٩٣٥	١٩٣٨/ ١٩٣٩
مدارس خاصة	الطليان	—	—	—	—	—
	العرب	—	—	—	—	—
	اليهود	—	—	—	—	—
	اليونان	١	٢	٢	٢	٢
	المجموع	١٨٠	٢٩١	٢١٢	٣٥٦	٦١٦
المجموع	الطليان	٣٢٢	٣٣٣	٢٢٧	٣٧٠	٦١٢
	العرب	٣٦	٧٠	٦٩	٩٠	١٢٥
	اليهود	—	—	—	—	—
	اليونان	١	٢	٢	٢	٢
	المجموع	٣٥٩	٤٠٥	٢٩٨	٤٦٢	٧٣٩

ومن دراسة جدول المعلمين فى العهد الفاشستى يمكن أن تتضح الحقائق التالية :

أولا : لم يكن هناك عدد من المعلمين فى المدارس الثانوية العربية • وكل ما كان هناك بعض المعلمين الذين عملوا بالمدرسة الاسلامية العليا التى أنشئت فى أواخر العهد الفاشستى • بينما يدل عدد المعلمين فى المدارس الثانوية الايطالية على سياسة الاحتلال فى الاكثار من العنصر الايطالى لاحكام السيطرة على البلاد •

ثانيا : رغم أن الجدول يبين وجود عدد من المعلمين العرب فى المدارس التجارية والفنية الا أن هذا العدد غير متكافىء مع عدد المعلمين الايطاليين وبالمثل كذلك المدارس الابتدائية العربية الخاضعة لسلطات الاحتلال • ثم ان المدارس الفنية التى يعمل بها معلمون عرب مقصود بها مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية •

ثالثا : لم يسجل الجدول أعداد المعلمين اليهود والمعلمين العرب فى الكتاتيب والمدارس القرآنية لعدم توفر البيانات الدقيقة عن عدد هؤلاء وهؤلاء ، كما أن مدارس الارساليات التبشيرية لم يسجل معلموها باعتبارهم رهبانا فى الكنائس المسيحية •

ج ـ جدول عدد التلاميذ :

أنواع المدارس		١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٣١\١٩٣٠	١٩٣٥/١٩٣٤	١٩٣٩\١٩٣٨
المدارس الثانوية	الطليان	٢٧٠	٣٤٢	٣٣٤	١٤٣٥	١٤١٧
	العرب	٦	٧	٥	٢٠	١٣٤
	اليهود	٦٦	٩٣	٢٧	٦٤	٦٦
	المجموع	٣٤٢	٤٤٢	٣٦٦	١٥١٩	١٦١٧
المدارس التجارية والفنية	الطليان	٤٥	٤٥	١٢٧	٤١٢	٣٨٢
	العرب	١٥٠	٣٧١	٤٤٩	٥٢٢	٦٣٦
	اليهود	٤٨	٣١	١٤٨	٣٢	٤٧
	المجموع	٢٤٣	٤٤٧	٧٢٤	٩٦٦	١٠٦٥

ج – (تابع) جدول عدد التلاميذ :

أنواع المدارس		١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٣١\١٩٣٠	١٩٣٥/١٩٣٤	١٩٣٩\١٩٣٨
المدارس الحكومية	الطليان	١٦٢١	١٦٢٢	٢٩٢٤	٤٦٦٥	٦٤٢٦
	العرب	٦١١	١٤٢٦	٣٩٠٠	٥٨١٨	٦٧٣٦
	اليهود	٧٤٢	١٠٤٨	٢١٣٦	٢٧٤١	٣٩٩٨
المدارس الابتدائية شبه الحكومية	الطليان	٢٣٧	٧١٥	٩٢١	٧٤٠	٦٧١
	العرب	—	٢٢	٣٣	٢٢	١٨
	اليهود	—	٦٩	٧٥	٤٩	٣٧
الخاصة	الطليان	—	—	—	٤٦٣	٢٤٨
	العرب	١٧٩٢	٥٥٧٠	٥٥٥٥	٩٨٦٤	٧٩٧٣
	اليهود	٢٢٠	١٢١١	١٨٦	١٨٥٨	١٣٠٣
	اليونان	—	٥٦	٥٨	٣٩	١٦
المجموع		٥٢٢٣	١٢٢٣٩	١٥٧٨٨	٢٦٢٥٩	٢٥٦٢٦

أنواع المدارس		١٩٢١/١٩٢٢	١٩٢٥/١٩٢٦	١٩٣٠/١٩٣١	١٩٣٤/١٩٣٥	١٩٣٨/١٩٣٩
المجموع	الطليان	٢١٧٣	٢٧٢٤	٤٣٠٦	٧٦٤٥	٧٣٤٤
	العرب	٢٥٥٩	٧٣٩٦	٩٩٤٢	١٦٢٤٦	١٥٤٩٧
	اليهود	١٠٧٦	٢٩٥٢	٢٥٧٢	٤٧٤٤	٥٤٥١
	اليونان	—	٥٦	٥٨	٣٩	١٦
	المجموع	٥٨٠٨	١٣١٢٨	١٦٨٧٨	٢٨٦٧٤	٢٨٣٠٨

وفى ضوء جدول أعداد التلاميذ يمكن بيان الحقائق الآتية :

أولا : أن عدد التلاميذ الطليان فى المدارس الثانوية كبير وتزايد سنة بعد أخرى كما أن عـدد التلاميـذ اليهود فى نفس المدارس يتناسب مع عدد الطائفة اليهودية ، بينما عدد الطـلاب العرب فى المدارس الثانوية قليل جدا ولا يتناسب مع عـدد السكان أصحاب البلاد ولم يزد العدد قليلا الا بعد افتتـاح المدرسـة الاسلامية أواخر العصر الفاشستى •

ثانيـا : يوضح جدول عدد الطلاب فى المدارس التجارية والفنية تزايدا فى هذا العهد ولكن يجب أن يكون معلوما أن هذه الأعـداد من التلاميذ العرب هم الأطفال اليتامى والفقراء الذين ينتظمون فى مدرستى الفنون والصنائع فى الغالب • ولم يشترك تلميـذ عربى فى المدرسة التجارية التى كانت متاحة لأبنـاء الطليان ، واليهود بصفة خاصة •

لقـد أثبتت الجداول السابقـة احصائياتها حتى العـام الدراسى ١٩٣٨/١٩٣٩ م وذلك لأن نشوب الحرب العالمية الثانية واشتراك ايطاليا فيها الذى حدث عام ١٩٤٠ قد أثر على سير العملية التعليمية فى البلاد ، وقد كان نشوب الحرب العالمية سببا فى أن ترسل سلطات الاحتلال أغلب التلاميذ الطليان الى ايطاليـا ، كما أن دخول قـوات الحلفاء الأراضى الليبية ، ثم جعل الأراضى الليبية مسرحا للعمليات العسكرية بين الحلفـاء وقوات المحور عطل المدارس وأوقف النشاط التعليمى •

الفصل السادس

مستقبل التعليم فى ليبيا بعد الاحتلال الايطالى

الادارة الانجليزية الفرنسية :

التعليم واتفاق مناهجه مع المناهج المصرية وغيرها :

● مستقبل التعليم فى ليبيـا :

١ — ملامح المجتمع الليبى .

٢ — المشكلات التعليمية التى تعوق التنمية .

٣ — التخطيط للتعليم .

● **الادارة الانجليزية الفرنسية .**

اشترك الليبيون فى تحرير بلادهم من الاستعمار الايطالى وحليفته النازية الألمانية الى جانب قوات الحلفاء وتحمل أبناء الشعب العربى فى ليبيا الويلات أثناء الحرب العالمية الثانية باشتراكهم بأعداد كبيرة فى الجيش الذى تأسس فى مصر عام ١٩٤٠ كما قاسى أفراد الشعب العربى فى ليبيا الذين بقوا فى أرضهم ، التنكيل والتعذيب والتقتيل والمجاعة بسبب اتخاذ الأرض الليبية ميدانا للحرب بين الفريقين المتحاربين ، ثم ان الشكل الذى تمت به الحرب وهو الكر والفر بين قوتى المتحاربين لم يجعل أمام العرب الليبيين فرصة لالتقاط الأنفاس فهم قد وجدوا أنفسهم فى أوائل الحرب قد تخلصوا من الحكم الايطالى الفاشستى على يد القوات البريطانية والعربية الليبية . ولكن لم تمض أسابيع قليلة حتى عاد الحكم الايطالى الفاشستى بمساعدة الألمان .

وكانت عودة الطليان كارثة كبرى لأهل البلاد الذين لاقوا التنكيل بسبب ترحيبهم بالقوات البريطانية والعربية ومساعدتهم لهم بل والاشتراك معهم فى مطاردة الايطاليين . ولكن الأمر لم يستتب طويلا للطليان والألمان اذ عادت القوات البريطانية والعربية فاحتلت برقة وخلصتها من الطليان ولكن الألمان بقيادة رومل الذى قاد القوات الألمانية والايطالية فى هجوم مضاد انسحبت أمامه القوات العربية والانجليزية حتى دخلت قوات المحور (ألمانيا وايطاليا) الأراضى المصرية حتى منطقة العلمين وهناك حدثت المعركة المشهورة التى حددت مسار الحرب العالمية الثانية فى الشمال الأفريقى لغير صالح قوات المحور اذ أن القوات البريطانية والعربية تابعت مطاردتها لقوات المحور من العلمين حتى الحدود التونسية بينما طاردت القوات الفرنسية والعربية هذه القوات أيضا من الجنوب الليبى حتى تم تطهير الأراضى الليبية من القوات الايطالية والألمانية فى ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ م .

ولقد أعطى اشتراك العرب الليبيين فى الحرب التى انتهت بهزيمة أعدائهم أعطاهم ثقة كبيرة فى نفوسهم ورغبة فى أن يتولوا بأنفسهم

تقرير مصيرهم وهذا لم يرق بالطبع للاستعمار الأوروبى الذى تمثل فى انجلترة وفرنسا اللتين احتلت قواتهما البلاد وتولت ادارتها الى أن يتقرر مصيرها فى مؤتمر الصلح ، وقد سعت القوى الاستعمارية الى تكريس الخلاف بين أجزاء الوطن الليبى الواحد بتعميق الخلاف بين أهالى برقة واخوانهم الطرابلسيين وكذلك مواطنيهم من أهالى فزان .

فمع أن جميع الليبيين كانت أمامهم أهداف واحدة ثلاثة هى :

١) الوطن الليبى وحدة غير قابلة للتجزئة .

٢) الاستقلال الوطنى مطلب أساسى ولا يمكن قبول سيطرة استعمارية .

٣) انضمام ليبيا الى جامعة الدول العربية أساس أجمعت عليه الأطراف .

الا أنه صار خلاف بين البعض حول وسائل تحقيق هذه الأهداف ، فاقليم برقة المتأثر بالدعوة السنوسية كان يطالب بلسان الأمير ادريس السنوسى والمقربين لديه بأن تكون كل ليبيا تحت زعامة الأمير ادريس نفسه الذى يجب أن يكون ملكا للمملكة الليبية بعد حصولها على الاستقلال، بينما كان المواطنون الطرابلسيون الذين لم ينسوا قيام الجمهورية الطرابلسية فى عام ١٩١٨ م — يريدون ترك مسألة شكل الحكم حتى يتم الاستقلال أو يقرره استفتاء شعبى بينما اقليم فزان كان زعماؤه المدركون لفقر بلادهم وقلة عدد السكان يأملون فى وحدة الوطن الواحد على أن يكون لزعماء البلاد دور فى قيادتها .

وعلى هذا فقد تعددت الأحزاب السياسية بين أبناء الوطن الواحد وكان من بينها حزب فى طرابلس اسمه حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى الذى كان يرى ضرورة الاتحاد بين مصر وليبيا استنادا على ما بين القطرين المصرى والليبى من روابط دينية وتاريخية وروابط متعلقة بوحدة الجنس واللغة والجوار والمصالح المشتركة .. وكانت هناك

أحزاب أخرى لم تخرج جميعهـا عن المطالبة باستقلال البـلاد ووحدة الوطـن .

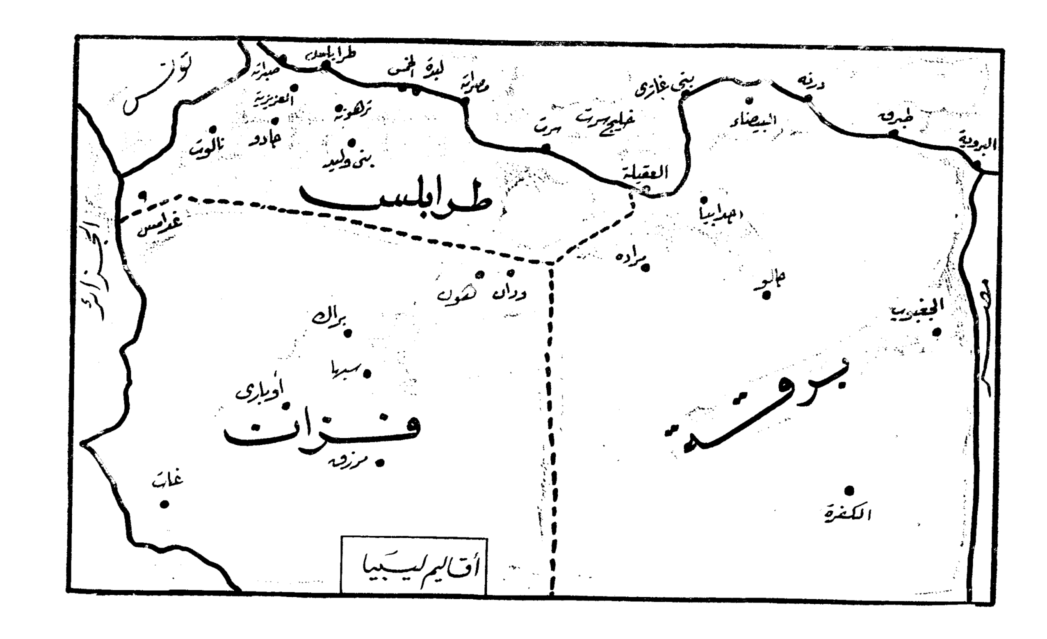
ويمكن القول اجمالا أن هذا النشاط السياسى العام فى ليبيـا دار « حول قضية الاستقلال والوحدة والامارة السنوسية واذا جاز لنـا أن نلخص الموقف عامة قلنا ان الاتجاه العام فى طرابلس كان يهتم بالوحـدة والاستقلال تاركا أمر شكل الحكم الى المستقبل ، بينما كان المؤتمـر الوطنى فى برقة يرى أن الوحدة بين برقة وطرابلس يجب أن ترتبط بقبول الطرابلسيين للامارة السنوسية » (١) .

وقد حاولت الدوائر الاستعمارية البريطانية توسيع شقة الخلاف بين الأخوة أبناء الوطن الواحد فحثت الأمير ادريس السنوسى على اجـراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتحقيق استقلال برقة وحدها الا أن الزعماء المخلصين الذين كانوا يعملون على تحقيق وحدة البلاد أفسدوا المحاولات الاستعمارية لتقسيم البلاد وأعلنوا موافقتهم على وحدة البلاد تحت الامارة السنوسية كخطوة مرحلية ليحصلوا للبلاد على استقلالها موحدة ، وتظهر الزعامات الليبية متحدة الأهداف والوسائل أمام الهيئات الدوليـة والمطامع الاستعمارية . وهـذا لا ينفى أن بعض الزعمـاء الطرابلسيين استمروا على موقفهم من معارضة لوجود الأمـير ادريس على رأس الحكم فى ليبيـا المتحـدة .

ولسنا هنا فى مجال الحديث تفصيلا عن الوقائع التاريخية فهذا ليس مجال حديثنا فى هذا الفصـل الختامى ولكننا نبحث عن الاسباب التى أدت الى مثل هذه الوقائع ، وهذه الأسباب تعود الى موقف القـوتين الأوروبيتين اللتين استولت قواتهما على الأرض الليبية ، وأعنى انجلترة وفرنسا ، ذلك أنه فى الوقت الذى ساهمت فيه الدولتان فى وقوع الخلاف بين أبناء الوطن الليبى ، فقد كانتا لهما مخطط استعمارى لا يختلف عن

---

(١) نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال — ص ١٣٨.


أقاليم ليبيا
طرابلس
فزان
برقة
تونس
الجزائر
مصر
طرابلس
صبراتة
العزيزية
ترهونة
جادو
نالوت
بني وليد
لبدة الخمس
مصراتة
خليج سرت
سرت
العقيلة
بني غازي
البيضاء
درنه
طبرق
البردية
غدامس
ودان
هون
براك
سبها
أوباري
مرزق
غات
جالو
الجغبوب
الكفرة

المخطط الذى تلى الحرب العالمية الأولى والذى كان يهدف الى تقسيم البلاد العربية بين الدول الاستعمارية وخاصة انجلترة وفرنسا •• وقد جاءت الفرصة ثانية أمام انجلترة وفرنسا لتقسيم ليبيا — الى ثلاثة أقاليم برقة لانجلترة وفزان لفرنسا وطرابلس تبقى مؤقتا تحت الادارة البريطانية ثم تعطى لايطاليا جزاء لها على تخلصها من موسولينى ودخولها فى حظيرة الحلفاء •

« فقد عاملت بريطانيا برقة معاملة خاصة رغبة فى التفريق بينها وبين طرابلس فقد أباحت الادارة البريطانية التعامل بالعملة المصرية ، والتصدير والاستيراد مع مصر وانجلترة ، وأدخلوا تحسينات كثيرة فى التعليم جعله يتفق مع التعليم فى مصر وهذا يفسر ارتفاع نسبة المتعلمين من سكان برقة عنها فى طرابلس وقد وظفت الادارة البريطانية الكثيرين من أبناء برقة فى وظائف الحكومة وبالطبع فى الوظائف الصغيرة » (١) بينما لم يتمتع أهل طرابلس بمثل هذه التسهيلات والامتيازات بل أبقت الادارة البريطانية الامتيازات التى كان يتمتع بها الطليان فى النشاط الزراعى والتجارى والتعليمى ولم تساعد أهل طرابلس على مزاولة أى نشاط اقتصادى ليخلو لمصرف باركليز الانجليزى الذى أنشىء فى بنغازى وطرابلس احتكار النشاط المالى •

أما اقليم فزان فقد خضع فى نشاطه لاشراف الحاكم الفرنسى للجزائر ، وأصبحت العملة المتداولة فى فزان هى الفرنك الجزائرى ، بل ان ميزانية فزان أدمجت فى مالية الجزائر وحتى التعليم أصبح مختلفا عما هو متبع فى طرابلس أو برقة امعانا فى فصل فزان عن بقية ليبيا ، فقد وجد نظام التعليم الفرنسى المطبق فى تونس والجزائر أوجدته السلطات الفرنسية فى اقليم فزان تكريسا لانفصاله عن الوطن الليبى وتمهيدا لضمه الى الجزائر وتونس تحت الاحتلال الفرنسى •

استمرت الادارة البريطانية تحكم برقة وطرابلس والادارة الفرنسية

---

(١) نقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة — ص ٣٦ •

تحكم فزان من عام ١٩٤٣ حتى نهـاية عام ١٩٥١ ، وكان يجب أن ينتهى وجودها فى البلاد بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكن وجـود هـذه الادارات العسكرية خلق وضعا شـاذا فى ليبيا ، وقد ترتب على هـذا الوجود عدة أمور أثرت على مستقبل البلاد وسيرها لسنوات طـويلة مازالت تعانى منها الى اليوم ، وهذه الأمور هى : —

أولا : لم يستفد الليبيون اقتصاديا ولم تنتعش الأحـوال الماليـة بالنسبة لهـم فقد استمر الطليان يتمتعون بامتيازاتهم وفتحت الأبواب للاحتكارات البريطانية والفرنسية وأصبحت ليبيا سوقا رائجةللمصنوعات البريطانية وللمصارف البريطانية تمارس نشاطها الاقتصادى .

ثانيا : الفرقة التى بذرها الاستعمار الأوروبى بين أجزاء البـلاد مما أضعف الروابط بين أبناء الوطن الواحد وأوجد حساسيات بين الأخـوة الأشـقاء .

ثالثا : التخطيط لبقاء النفوذ الأجنبى فى البلاد لسنوات طويلة ببث الشقاق بين القبائل ومنح الامتيازات للعناصر الموالية للاستعمار وابعـاد المعادين للاستعمار حتى ولو كانوا صالحين .

رابعا : كافأت انجلترة الولايات المتحدة الأمريكية وفى نفس الوقت حاولت الحصول على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لمشروعات انجلترة الاستعمارية فعقدت أثناء الادارة البريطانية اتفاقية مع الولايات المتحـدة الأمريكية لتأجير مطار الملاحة بالقرب من مدينة طرابلس .

خامسا : حاربت الادارة العسكرية وجود نشاط ثقافى الا ما يتفق مع مصالحها فلم تسمح بحـرية الصحافة فيما عـدا جريدتى طرابلس الغرب ، وبرقة الجديدة اللتين كان يصدرهما مكتب الاستعلامات البريطانى فى كل من طرابلس وبنغـازى ، واستخدام هاتـين الجريدتين لتوجيـه المواطنين الى ما تريده الادارة العسكرية الاستعمارية ، كما أن التعليـم أيضا لم يسلم من التوجيه الاستعمارى ليتفق مع المخطط الذى رسـمه

الاستعمار فى الأرض الليبية ، وهذا ما سأحاول توضيحه فى الصفحات التاليــة ••

● **التعليم ــ اتفاق المناهج مع المناهج المصرية وغيرها :**

تأثر التعليم فى ليبيا شأنه فى ذلك شأن كل نواحى الحياة بأحــداث الحرب العالمية الثانية نظرا لأن الأرض الليبيــة كانت مسرحا للمعــارك الحربية التى دارت بين الفريقين المتحاربين ، وما ان دخل الجيش الثامن طرابلس فى ٢٣ يناير ١٩٤٣ وتابع طرد القوات الايطاليــة الألمانيــة من الأراضى الليبية حتى بدأ المواطنون الليبيون يحسون بضرورة الاهتمــام بتعليم أبنائهم وأبدوا رغبتهم فى فتح المدارس التى أغلقت كلهــا بسبب الحــرب •

وتبعا لالحــاح المواطنين المستمر لتعليم أبنائهم فقد عقدت الادارة البريطانية التى تولت شئون طرابلس وبرقة مؤتمرا ضــم خمسة ضباط بريطانيين اختارتهم الادارة ، وعقــد الاجتماع فى ٥ يونيــو عام ١٩٤٣ بطرابلس « وكان أمام المؤتمر جدول أعمال يتضمن عدة نقاط أهمها :ــ

١) الخطوات الضرورية التى يجب اتباعها تلبية لرغبـــة المواطنين العرب بتعليم أبنائهم •

٢) تحديد عدد المدارس التى سيعاد فتحها •

٣) تقدير الميزانية اللازمة لهذه المدارس •

٤) المناهج اللازمة والكتب الدراسية المقررة •• » (١)

وقد تقرر تعيين ضابط للاشراف على التعليم واتخاذ الاجراءات اللازمة لفتح عدد من المدارس الابتدائية العربية ومثيلتها الايطاليــة واصــلاح مبانى هذه المدارس التى تهدمت من الحرب ، واعداد المناهج اللازمــة ــ والتى تتفق مع السياسة الانجليزية ــ وكذلك المدرسين اللازمين •

---

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 23.

وفى الواقع فانه عندما تولت الادارة البريطانية الأمر فى اقليمى برقة وطرابلس والادارة الفرنسية فى اقليم فزان ، فقـد تأثر التعليم بالمخطط الاستعمارى الذى كان يهدف الى وضع البلاد الليبية تحت اشراف ثلاثى: برقة تخضع للنفوذ الانجليزى ، وطرابلس وتخضع — فيما بعد — للنفوذ الايطالى ، وفزان وتخضع للسيطرة الفرنسية .

وكان هدف هذا المخطط هو تمزيق وحدة البلاد الليبية حتى لا تقوم لهـا قائمة ولا يطالب أهلها بالاستقلال وبالوحدة الوطنيـة ، ومن ثم لا يتمسكون بالعروبة والقومية العربيـة والوحدة مع أجـزاء الوطن العربى .. ورغم أن بريطانيا استمرت تدير اقليمى برقـة وطرابلس ولم تتول ايطاليا ادارة نصيبها من الغنيمة — وهى طرابلس — فان المخطط استمر حتى بعد انتهاء الادارة الأجنبية ورحيلها عن البلاد .

وقد تأثر التعليم بالطبع بهذا المخطط وظهرت آثاره واضحة فى النظام التعليمى والمناهج الدراسية فى كل اقليم على النحو التالى :

أولا : طبق نظام التعليم والمنهج الفرنسى المطبق فى شمال أفريقيا — تونس والجزائر — فى اقليم فـزان ، وفى الواقع فانه لم يـكن هناك تعليم مستقر بفـزان لأن تاريخ التعليم فى فزان انما هو عبارة عن « مدارس تغلق بعد سنة واحدة من انشائها لافتقارها الى المعلمين وعن محاولات مستمرة لاعادة فتحها ، لأن المشكلة الأساسية فى فزان هى صعوبة العثور على هيئة تدريس أجنبية تستقر فى فزان مدة كافية للقيام بعمـل له صفة الدوام » (١) كما لم توجـد مدارس لتعليم البنات طـوال حـكم الادارة الفرنسية للاقليم .

ثانيـا : طبق المنهج ونظام التعليم المصرى — المتأثر بالنفوذ الانجليزى — فى اقليم برقة — تطبيقا حرفيا دون أدنى تعديل حتى فى المـواد

---

(١) روجيه لى تورنو : التعليم فى ليبيا — تقرير عام ١٩٥١ م .

الاجتماعية وهى التاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية ، وحتى عند انشاء مدرسة ثانوية واحدة للبنين فى بنغازى عام ١٩٥٠ م كان الطلاب يدرسون أربع سنوات فيها والسنة الخامسة — المكملة للمرحلة الثانوية — يقضيها الطلاب فى مصر بمدارسها الثانوية ، وقد استعانت الادارة البريطانية فى برقة بمجموعة من المعلمين المصريين الذين أسهموا بنصيب كبير فى نهضة التعليم بالاقليم .

ثالثا : قررت الادارة البريطانية تطبيق المنهج ونظام التعليم الفلسطينى (وهو الذى كانت تطبقه السلطات البريطانية فى فلسطين أثناء الانتداب البريطانى فيها) فى اقليم طرابلس .. الا أن الوطنيين الليبيين ثاروا لهذه التفرقة بين أقاليم البلاد وطالبوا بالغاء نظام التعليم والمنهج الفلسطينى واحلال المنهج والنظام التعليمى المصرى أسوة باقليم برقة .. ولكن السلطات البريطانية أحلت المنهج ونظام التعليم السودانى — وهو المنهج الذى كان يطبق فى السودان تحت الحكم البريطانى — محل المنهج والنظام الفلسطينى ولكن هذا الاجراء أغضب الوطنيين العرب لشعورهم بأن هدف الادارة البريطانية الاستعمارية هو تمزيق وحدة البلاد وابعاد الطرابلسيين عن مصر التى كانوا يعتبرونها وطنهم الثانى والتى طالب الكثيرون منهم بالاتحاد معها لتصير وحدة مصر وليبيا تحقيقا لطبيعة الأمور .. ولما انكشفت سياسة الادارة البريطانية الاستعمارية عند الوطنيين الليبيين استجابت أخيرا لرغبتهم وقررت تطبيق المنهج ونظام التعليم المصرى المطبق فى برقة فى اقليم طرابلس أيضا .

ولكن السلطات البريطانية أدخلت عدة تعديلات على المنهج المصرى المطبق فى برقة عند تطبيقه فى طرابلس ، ففى التعليم الابتدائى جاءت التعديلات كما يلى :

١) عدم تدريس أية لغة أجنبية فى المدارس الابتدائية لتفادى توظيف مدرسين أجانب ..

٢) « ينحصر منهج تعليم مادتى التاريخ والجغرافيا فى تاريخ ليبيا وجغرافيتها بدلا من مصر » (١)

٣) تظل الكتب المستعملة هى الكتب المصرية .

وفى التعليم الثانوى حدثت التعديلات التالية :

١) « أصبحت ليبيا محور التعليم فى مادتى التاريخ والجغرافيا بدلا من مصر

٢) أصبحت اللغة الأجنبية الأولى هى اللغة الانجليزية واللغة الأجنبية الثانية هى اللغة الفرنسية حتى شهر اكتوبر ١٩٥٠ حيث حلت محلها اللغة الايطالية » (٢) .

ومن هذه التعديلات تتبين السياسة الاستعمارية التى اتبعتها الادارة البريطانية فى اقليم طرابلس ، فبينما تعلم اللغة الانجليزية فى المدارس الابتدائية باقليم برقة حرمت المدارس الابتدائية فى طرابلس من تعليم هذه اللغة تأكيدا للتفرقة بين الاقليمين وتمهيدا لاعطاء طرابلس لايطاليا وحتى هذه السياسة ظهرت فى احلال اللغة الايطالية محل اللغة الفرنسية كلغة ثانية فى المدارس الثانوية بطرابلس ، بينما ظلت المدارس الثانوية فى برقة تعتبر اللغة الفرنسية لغة ثانية كما هو الحال فى مصر .

وقد أنشأت الادارة البريطانية فى طرابلس أربع مدارس ثانوية منذ عام ١٩٤٨ : مدرسة فى طرابلس ، وأخرى فى مدينة الزاوية وثالثة فى زوارة والرابعة فى نالوت ، كما أنها شرعت فى انشاء معهد لاعداد المعلمين منذ عام ١٩٤٨ م بمدينة طرابلس ومعهد لاعداد المعلمات بنفس المدينة عام ١٩٥٠ وسمحت للمدارس الايطالية بالاستمرار فى عملها وساعدتها على أداء هذا العمل ، كما ساعدت الادارة البريطانية مدارس اليهود على ممارسة رسالتها فى تعليم أبناء اليهود بطرابلس .

---

(١) روجيه تورنو : نفس المصدر السابق .
(٢) روجيه تورنو : المصدر السابق .

ويمكن أن نسجل بعض الملاحظات عن التعليم فى عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية فيما يلى :

أولا : شعور المواطنين الليبيين بالحاجة الى التعليم واقبالهم عليه بشدة لتعليم أبنائهم وهذا الشعور نابع من ثقة بالنفس ترجع الى جهاد طويل ضد مستعمر بربرى طرد من بلادهم وكان لهم دور فى طرده فعلا أقل من أن يكون لهم صوت مسموع فى شئون بلادهم وأن يتمتع أبناؤهم بالتعليم الذى يؤكد عروبتهم وهو التعليم المتاح لاخوانهم عرب مصر بصفة خاصة •

ثانيا : أسندت الادارة البريطانية بعض الوظائف الصغيرة — غير الاشرافية أو القيادية — الى موظفين من المواطنين العرب الليبيين ، وقد استطاع هؤلاء الموظفون أن يزيحوا الستار الأسود الكثيف الذى ضربه الاستعمار الايطالى بين الليبيين وبين التعليم فأصبح الاقبال على التعليم من قبل المواطنين اقبالا هائلا •

ثالثا : كانت الادارة الأجنبية تنظر الى المعلمين الوطنيين نظرة شك وكما عبر عنها تقرير مدير التعليم فى عهد الادارة البريطانية أن هؤلاء المعلمين « لا يمكن الاعتماد عليهم كلية لأنهم أصبحوا مشبعين بالسياسة كثيرا ، وفى حالات كثيرة كانوا يهتمون بالسياسة أكثر من اهتمامهم بالتعليم ومن ثم يجب طرد عدد كبير منهم » (١) من الخدمة •• بحجة أن حديثهم عن الاستقلال والانضمام الى جامعة الدول العربية والوحدة الوطنية ، تدخل منهم فى غير شئونهم •• هكذا منطق الاستعمار !! •

رابعا : تبع الوجود البريطانى ازدياد عدد أفراد الجالية البريطانية فى ليبيا ، ومن ثم فقد طالب أعضاء هذه الجالية بفتح مدرسة بريطانية لتعليم أبنائهم وقد بدأت هذه المدرسة بوجود معلم واحد كان أحد ضباط الحامية البريطانية ثم ساعدته زوجة أحد الضباط واستمرت هذه

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 24.

المدرسة تؤدى رسالتها فى نمو وازدياد حتى صارت تقبل أبناء الوطنيين الليبيين الذين قبلوا تعليم أبنائهم فى هذه المدرسة .

خامسا : حدث اهتمام محدود بتعليم البنت الليبية فى هـذا العصر وقد جاء هذا الاهتمام بعد أن تم تعيين سيدة انجليزية وهى زوجة لأحد الضباط البريطانيين وقضت سنوات طويلة فى التدريس بمصر وتجيـد اللغة العربية ، تعيينها « فى أبريل ١٩٤٤ م مفتشة ومديرة لمدارس البنات وتعاونت معها الزوجات المصريات لليبيين مما جعـل تعليم البنات أكثر تقدما عما كان قبلا » (١) . ثم ما تلى ذلك من تدريب بعض المدرسات الوطنيات ثم افتتاح مدرسة لاعداد المعلمات عام ١٩٥٠ م .

سادسا : الاستعانة بعدد من المعلمين الايطاليين الذين بقوا فى ليبيـا بعد طرد القوات الفاشية والنازية مـع تدريبهم على التدريس باللغـة الانجليزية ، وقد كان هؤلاء المعلمون الطليان أفضل من العرب من وجهة نظر الادارة البريطانية ، بسبب عنصريتهم الأوروبية ولأن هؤلاء المعلمين الطليان منذ « سقوط موسولينى وبيت سافوى خضعوا خضوعا تاما » (٢) للادارة البريطانية مهتمين بالعمل بصفة كلية ولا يهتمون الا قليلا بالأمور السياسية فى ايطاليا وكان هذا المسلك من قبل الطليان على أمل استعادة سيطرتهم على ليبيـا مرة أخرى .. وأتبعت الادارة البريطانية اسـتخدام عدد من المعلمين الايطاليين تعيين مفتش ايطالى مديرا للمدارس الايطالية ومشرفا على المدارس العربية من قبل الادارة البريطانية .

سابعا : لم يكن وقت الدراسة موحـدا وثابتا بالنسبة للتلاميـذ ، وكانت الدراسة على فترتين صباحية ومسائية .

ثامنا : واجهت الادارة البريطانية عند فتح المدارس مشكلة النقص فى عدد المعلمين الوطنيين فعملت على تدريب بعض القائمين بالفعل تدريبا محليا فوجدت كل معلم منهم « راغبا فى التدريب ومستعدا لقبـول كل

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 24.
(2) Ibid. P. 29.

توجيه سليم ، مؤمنا أن هذا التدريب لتسهيل مهمته وفى صيف عام١٩٤٥ تم ارسال جماعة من المعلمين عددها ١٦ معلما الى مصر فى برنامج تدريبى قصير بمعهد التربية ، وكانت نتيجة التدريب طيبة بصفة عامة » (١) •

تاسعا : فى نهـاية العـام الدراسى ١٩٥٠ ـــ ١٩٥١ م كانت هناك « ٢٤٤ مدرسة تقدم لتلاميذها تعليما حديثا ، وعـدد هؤلاء التلاميـذ ٣٢٩٢٨ يقوم بتعليمهم ١١٩٢ معلما على النحو التالى : (٢)

	عرب	طليان	يهود	مالطيون	جمـلة	ملاحظات
المعلمون	٧٥٦	٣٦٤	٦٤	٨	١١٩٢	
التـلاميذ	٢٤١٥٠	٦٣٠٤	٢١٦٤	٣١٠	٣٢٩٢٨	

الى جانب المدارس القرآنيـة والزوايا الدينية التى لم تتوفر عنهـا احصائيات دقيقـة •

عاشرا : كانت نظارة المعارف تشرف على المدارس الحديثة ، وكان يدير دفة نظارة معارف طرابلس « مدير ومساعد مدير كلاهما بريطانيان ، وكانت الادارات الرئيسية تحت اشراف كل من :

١ ـــ ادارة التعليم الابتدائى : يشرف عليها مفتش عام ليبى •

٢ ـــ ادارة التعليم الايطالى : وضعت تحت اشراف مفتش ايطـالى شغل منصب مستشار نظارة معارف طرابلس منذ اكتوبر عام ١٩٥١ م •

٣ ـــ ادارة الشئون المالية والتجهيزات •

٤ ـــ قسم البعثات ، وقسم تعليم الكبار ، ويشرف عليهما بريطانيان

٥ ـــ المدارس الثانوية من مسئولية المدير ومساعده مباشرة » (٣) •

(1) Ibid. P. 29.
(2) R. Le Tourneau : Libyan education and its developments, P. 19.
(3) Ibid, P. 19.

أما فى برقة فقد كان يساعد ناظر المعارف مستشار انجليزى كان « يهيمن على جميع الأمور التعليميـة » (١) الى جانب وجود مدير ليبى مسئول عن الشئون المالية والادارية • وكان عـدد تلاميـذ المدارس الابتدائيـة فى برقـة ١٢٠٠ تلميـذة و ١٢٠٠٠ تلميذ ، كل فى المدارس الخاصة به ، وعدد المدارس الثانوية ، مدرسة واحدة فى بنغـازى بهـا ٢٨٠ تلميذا يقوم بتعليمهم ١٦ معلما منهم « ١١ معلم مصرى ، ٤ معلمين انجليز ، ومعلم واحد ليبى ، الى جانب أن مدير المدرسة ليبى خريج من الجامعة المصرية » (٢) كما أن مدارس البنات كانت عبارة عن مدرستين فى بنغازى ومدرسة واحدة فى مدينـة درنة ، وكانت مديرات المدارس ليبيات « يساعدهن معلمات مصريات وليبيات ، وقد تم افتتاح فصـل ثانوى مسائى للبنات فى بنغازى خلال العام الدراسى ١٩٥٠ — ١٩٥١ »(٣)

وفى فزان كان ناظر المعارف من فزان بينما كان المدير الفعلى للمعارف فرنسيا « وكان فى نفس الوقت ناظرا للمدرسة ، وكان ناظـر المعـارف وناظر المدرسة — يتعاملان مع مدرسين يغادرون — فزان — بعد انقضاء عام دراسى واحـد فى ذلك المكان المنعـزل الذى تتميز الحيـاة فيـه بالخشونة » (٤) • الا أن بعض المدارس بدأت فى الظهور فى بعض المدن مثل غدامس « التى انتظم بمدرستها ١٠٥ تلاميذ من سكان المدينة البالغ عددهم ١٠٠٠ مواطـن ، كمـا افتتحت مدرستان داخليتان فى دار البى (سـبها) وبراك ، ولم توجد مدرسـة بنات واحدة ، ولم تلتحق بنت واحدة فى مدارس البنين » (٥) •

والواقع أن التعليم فى فـزان قليل اذا قورن بالتعليم فى كـل من طرابلس وبرقة ، بسبب فقر البلاد وعدم وجود مواطنين من أهلها يقومون بعملية التدريس ، ولذلك طالما توفر المعلمون فتحت المدارس فى فزان ،

(1) Ibid, P. 26.
(2) Ibid, P. 28.
(3) Ibid, P. 29.
(4) Ibid, P. 30.
(5) Ibid, P. 30.

واذا وجدت امرأة غير فزانية تعلم وتمكث فترة طويلة كافيـة لتدريب قلة من البنات الفزانيات على مهنة التدريس •

أحد عشر : لم تهتم الادارة الأجنبية بالمبانى المدرسية ، فرغم زيادة عدد التلاميذ ، وبصفة خاصة فى التعليم الابتدائى نتيجة اقبال الأهـالى على تعليم أبنائهم بعد انتهاء الاحتلال الايطالى ، الا أن المبانى المدرسية بقيت على ما كانت عليه فى عهد الاحتلال الايطالى الى جانب « استخدام المعسكرات الايطاليـة كمبان مدرسية » (١) سـدا لبعض النقـص فى المبانى المدرسية •

اثنى عشر : لم تواجه سلطات الادارة الأجنبية النقص فى عدد المعلمين الليبيين منذ انتهاء الاحتلال الايطالى بسياسة واعية تعمل على سد هذا النقص ، ورغم أنها عملت على انشاء معهد لاعـداد المعلمين فى العـام الدراسى ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م بطرابلس ، ومعهد لاعداد المعلمـات عـام ١٩٥٠ — ١٩٥١ م بمدينة طرابلس أيضا ، ومعهـد لاعداد المعلمين فى بنغـازى فى تلك السنة ، الا أن تغيـير المناهج وخطط الدراسة بحيث أصبحت اللغة العربية لغة التعليم قد ألقى على عاتق نظـارة المعـارف مسئولية مواجهة هذا التغيير فى وقت « ترغب الحكومة فيـه استخدام معلمين ليبيين فقط فى التعليم الابتدائى مما اضطرها الى تعيين مجموعة كبيرة من الشباب حديثى التخرج من المدارس ، وهؤلاء كانوا غير موفقين فى عملهم بسبب حداثة تخرجهم ونقص خبراتهم ومعلوماتهم المحـدودة جدا الى جانب شبابهم المبكر » (٢) •

ثالث عشر : رغم أن المواطنين الليبيين قد تفشت بينهم الأمية لدرجة كبيرة بلغت نسبتها بينهم ٩٠ فى المائة من الراشدين ، فان الادارة الأجنبية لم تفعل شيئا لمحاربة الأمية على الاطلاق ، وان كنا يجب أن نشـير الى جهود « جمعية ليبية فى بنغازى ساهمت فى هذا الميدان بتعليم أساسيات

(1) R. Le Tourneau : Libyan education and its development, P. 20.
(2) Ibid, P. 21.

المعرفة للأميين » (١) • واقتصرت الدراسات المسائية الرسمية على فتح فصول فى مدينتى طرابلس وبنغازى لتعليم اللغة الانجليزية للموظفين الليبيين •

رابع عشر : كانت مدة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ست سنوات ، وكانت الخطة الأسبوعية ٣٦ حصة ، وزمن الحصة ٤٥ دقيقة ، بينما كانت مدة الدراسة بمعاهد المعلمين ثلاث سنوات بعد اتمام المرحلة الابتدائية ، وكانت الخطة الاسبوعية ٣٩ حصة فى الصف الأول و ٤٣ حصة فى كل من الصفين الثانى والثالث ، وزمن الحصة ٤٥ دقيقة ، أما معهد اعداد المعلمات فقد كانت مدة الدراسة به عامين فقط بعد المرحلة الابتدائية ، وكانت الخطة الاسبوعية ٣٦ حصة لكل صف وزمن الحصة ٤٥ دقيقة •

وفيما يلى الخطط الدراسية للمرحلة الابتدائية ، ولمعهد المعلمين ، ولمعهد المعلمات :

(1) Ibid, P. 29.

خطة الدراسة للمدارس الابتدائية (١) :

المـواد	الصف الاول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الصف السادس
قرآن كريم ودين	٣	٣	٤	٤	٣	٣
لغة عربية قراءةوكتابة	١٢	١٢	١٠	٩	٩	٩
أناشيد وموسيقى	—	—	١	١	١	١
رياضيات (حساب)	٦	٦	٦	٦	٥	٥
هندسة عملية	—	—	—	—	١	١
تاريخ وتربية	—	—	١	٢	٢	٣
جغـرافيا	—	—	٢	٢	٢	٢
مبادىء العلوم الطبيعية	٣	٣	٢	٢	٢	٢
الصـحة	—	—	—	—	١	١
رسـم	٣	٣	٢	٢	٢	٢
أشغال عمليـة	٣	٣	٢	٢	٢	١
تربية بدنية وألعاب	٦	٦	٦	٦	٦	٦
المجمـوع	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

(1) Ibid, Appendixes.

خطة الدراسة بمعهد اعداد المعلمين (١) :

المـــواد	الصف الاول	الصف الثانى	الصف الثالث	ملاحظات
لغــة عربيــة	٦	٦	٦	
دين	٢	٢	٢	
لغة انجليزية	٥	٥	٥	
رياضيات	٥	٥	٥	
طبيعة وكيمياء	٢	٢	٢	
طبيعة وكيمياء عملى	١	١	١	بعد الظهر
احيــاء	٢	٢	٢	
احياء عملى	١	١	١	بعد الظهر
تاريــخ	٣	٣	٣	
جغرافيــا	٢	٢	٢	
تربية وطنية	٢	—	—	
زراعـــة	٢	١	١	
زراعة عملى	١	١	١	بعد الظهر
تربية بدنية	٢	١	١	
رســـم	١	١	١	
طرق تدريس وتربية	«٢»	٦	٦	«٢»علم نفس الطفل
تربية عملية	—	٤	٤	بعد الظهر
	—	—	—	
المجموع	٣٩	٤٣	٤٣	

(1) Ibid, Appendixes.

خطة الدراسة بمعهد اعداد المعلمات (١) :

المـــواد	الصف الاول	الصف الثانى	ملاحظـــــات
لغة عربيـــة	٨	٨	
لغة انجليزية	٨	٧	
ديـن	٢	٢	
رياضيات	٦	٥	
تاريـخ	٢	٢	
جغرافيـا	٢	١	
مبادىء العلوم	٢	٢	
صحـــة	١	١	
رعاية الطفل	—	١	
تدبير منزلى	—	٤	
أشغال ابرة	٢	—	
رســـم	٢	١	
علم نفس	—	١	
تربية بدنية وأناشيد	١	١	
المجموع	٣٦	٣٦	

(١) المصدر السابق .

مستقبل التعليم في ليبيا

ورثت ليبيا بعد تخلصها من الحكم العثمانى ثم من الاحتلال الايطالى ثم من الادارتين الانجليزية والفرنسية ، تركة مثقلة فى مجـال التعليم — كما ورثت فى غير التعليم من نواحى الحياة الأخـرى — مشكلات كان عليهـا أن تواجهها بقوة وبسرعة حتى تتخلص من التخلف الذى فرض عليها لسنوات طويلة من تاريخها •• وفى الحقيقة فان مسعى ليبيـا للتخلص من تخلفهـا فى مجال التعليم يستلزم الوقوف على المشـكلات التعليمية التى خلفها عصر السيطرة على مقدرات الأمور فى البـلاد فى تاريخها الحديث ••

ان النظرة الحديثة للمشكلات التربوية والتعليمية القائمـة الآن فى هذا القطر العربى ، وبعد دراسة لتطور التعليم فى العصور الحديثة يجعل فى الامكان تحديد هذه المشكلات ذات الجذور التاريخية على النحـو التـالى :

— مشكلة تفشى الأمية بين أبناء الشعب العربى فى ليبيا •
— مشكلة تخلف البنت فى التعليم •
— مشكلة التعليم الفنى والمهنى •
— مشكلة تمويل التعليم •
— مشكلة التعليم الجامعى •

هذه أهم المشكلات التربوية والتعليمية التى ورثتها ليبيا بعد تخلصها من عصور السيطرة ، وفى الصفحات التالية تتدارس كل مشكلة منهـا موضحين أسبابها ومحددين عناصرها ومتتبعين مسارها عبر السنوات ،

ثم أخيرا باحثين عن سبل علاجها بما يساهم فى تطور وتقدم التعليم فى ليبيا ويجعل مستقبله مشرقا .

وما دمنا بصدد الحديث عن مستقبل التعليم فى ليبيا فان الواجب يقتضى منا أولا تسجيل أهم الملامح فى حياة المجتمع العربى الليبى والتى تؤثر فى مستقبل التعليم ، والتى تتطلب تخطيطا يتمشى مع هذه الملامح ويضعها موضع الاعتبار ، انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن التعليم هو الأساس الذى أقامت عليه الأمم حضارتها ، وأنه كان وسيظل هو الطريق الوحيد الى المعرفة والى ميادين العلم ، وبالتالى الى تحقيق أسبقية المجتمع والدفع به لكى يحتل مركزا طليعيا فى هذا العالم النامى المتطور .

١ — ملامح المجتمع الليبى :

اولا : نضال الشعب العربى الليبى :

أول هذه الملامح ذات التأثير فى مستقبل التعليم فى ليبيا هى نضال الشعب العربى فى ليبيا من أجل الاستقلال فى ظل ليبيا الموحدة وداخل نطاق جامعة الدول العربية ، وانهاء حكم الادارتين الانجليزية والفرنسية والوقوف ضد عودة الحكم الايطالى الى البلاد بأية صورة من الصور . لقد بذل الشعب العربى الليبى جهودا مضنية لأن يقر مجتمع الدول ممثلا فى هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها حق ليبيا فى الاستقلال وعدم الخضوع للقوى الأجنبية ، ولكن هذا المطلب العادل كان يواجه « بالدعاوى القائلة بأن الأقطار المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا ، ومواطنوها أميون وتنقصهم الخبرات اللازمة لاقامة حكومة وطنية ، هذه الأقطار ليست على استعداد لنيل استقلالها » (١) .

وقد واجه نضال الشعب العربى الليبى فى طريقه عدة صعوبات داخلية وخارجية ، أما الصعوبات الداخلية فكانت الانقسامات بين أبناء

(1) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 7.

الوطن الواحـد ، وهى انقسامات نتيجـة لأطماع شـخصية وتدخل الاستعمار فى نفس الوقت • فقد تمسك السنوسيون وأتباعهم بضرورة قبول جميع الليبيين لامارة محمد ادريس السنوسى على كل ليبيا كشرط لاستقلال ليبيا ووحدتها، بينما كان معظم الليبيين يرون ترك هذه المسألة الى ما بعد الاستقلال حيث يقرر استفتاء عام شكل الحكم وطبيعته • ومن هنا ظهرت الخلافات الشديدة بين أبناء الشعب الواحد فى وقت كان من الواجب عليهم مواجهة دول العالم ممثلة فى منظمـة الأمم المتحـدة ، موحدين • ولقد لعب الاستعمار العالمى وخاصة انجلترة دورا كبيرا فى توسيع شقة الخلاف بين المواطنين الليبيين ، الا أن المخلصين بذلوا جهودا مضنية لرأب التصدع فى الوحدة الوطنيـة تمهيدا لمواجهـة المؤامرات العالميـة ضد ليبيـا •

وأما الصعوبات الخارجية التى واجهت جهود الشعب العربى الليبى فى سبيل استقلاله فتمثلت فى مؤامرات الدول الاستعمارية ، ولعل المخطط المشـهور المعروف باسـم « مشروع بيفن — سفرزا الذى نوقش فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها المنعقدة فى المدة من ٢٠ سبتمبر الى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٩ م ، والذى قام على أساس النقاط الثـلاث التاليـة :

١ — تستمر ادارة برقة لبريطانيا •

٢ — وتبقى فزان فى يد فرنسا لتكتمل السيطرة الفرنسية عـلى شمال ووسط افريقيـا •

٣ — وتعطى طرابلس لايطاليـا مـكافأة لها على نبـذ السياسة الفاشية والانضمام الى الحلفاء » (١) • لعـل هذا المخطط كان أخطـر ما واجه الشعب العربى الليبى لأنه كان يستهدف السيطرة باسم مجتمع الدول ممثلا فى هيئة الأمم المتحدة ، أى أنه سيكون استعمارا مستندا الى الشرعية الدولية ، الا أن نضال الشعب العربى الليبى مؤيدا بالدول العربية أحبط هذا المشروع الاستعمارى •

(1) U.N. : Official-records of the fourth session of the General Assembly, P. 293.

وقد تتابعت مجهودات الليبيين فى الداخل والخارج من أجل ابعاد السيطرة الاستعمارية وانهاء حكم الادارتين البريطانية والفرنسية ومحاربة عودة الطليان الى البلاد ، ومن أجل الوحدة الوطنية والانضمام الى جامعة الدول العربية ، وقد توجت هذه المجهودات بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر عام ١٩٤٩ م باقرار حق ليبيا الموحدة فى الحصول على استقلالها وانهاء حكم الادارتين الانجليزية والفرنسية ، وتسلم الليبيين حكم وطنهم فى موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ م .

وكان من المأمول أن تعيش ليبيا دولة مستقلة ومرتبطة بشقيقاتها الدول العربية وتبتعد عن الدول الاستعمارية والارتباط بها ، الا أن « الأمير » محمد ادريس السنوسى الذى سار من البداية فى ركب السياسة البريطانية نسى أو تناسى محاولات بريطانيا لتجزئة البلاد ووضعها تحت السيطرة الاستعمارية ، حدد موقفه أمام لجنة التحقيق الرباعية — وهى اللجنة التى ضمت ممثلين للدول الأربع الكبرى : انجلترة ، فرنسا ، الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والتى زارت ليبيا فى المدة من ٦ مارس الى ٢٠ مايو عام ١٩٤٨ ، وقدمت تقريرها الى وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى فى أواخر شهر يوليو من نفس العام ، أقول انه حدد موقفه أمام هذه اللجنة بأنه ، أى « الأمير » محمد ادريس السنوسى — « نفسه يرغب فى عقد محالفة مع بريطانيا » (١) . وقد استمر هذا الموقف بعد أن أصبح ملكا للمملكة الليبية .

وجاء موقف « الأمير » محمد ادريس هذا بالنسبة لبريطانيا فى الوقت الذى ظهر فيه المخطط الاستعمارى عاملا على تقسيم البلاد تقسيما حادا ، وحيث « تركت أقاليم ليبيا الثلاثة تحت ادارة المملكة المتحدة وفرنسا من خلال ثلاث نظم ادارية مختلفة وغير متشابهة ، وحتى بين الادارتين البريطانيتين فى كل من طرابلس وبرقة لم تكن هناك سياسة

(١) تقرير اللجنة الرباعية التابعة للامم المتحدة .

موحدة ، وبدا أمام ممثل الأمم المتحدة فى ليبيا اختلاف الادارتين فيما عدا أن التعليمات ترد اليهما من لندن • كما لم تكن هناك علاقات ادارية مباشرة بين كلا الادارتين البريطانيتين فى طرابلس وبرقة ، والادارة الفرنسية فى فزان ، رغم أن الحاجة الى تعاون الجانبين أمر ضرورى لمصلحة ليبيا » (١) •

ثانيا ـ طبيعة الشعب العربى الليبى :

وثانى الملامح ذات التأثير على مستقبل التعليم فى ليبيا هى طبيعة الشعب العربى الليبى والامكانيات المتاحة له ، فعدد هذا الشعب قليل بالنسبة للمساحة الواسعة التى تحددها حدود ليبيا ، تلك المساحة التى تحتاج الى سواعد كثيرة ومدربة من أجل استغلالها لمصلحة البشرية •• « ولا شك أن أهم شيء فى العصر الحديث فى ثروة الأمم هو القوى البشرية ، حيث أن هذا المصدر من الثروة هو الذى يتوقف عليه تحويل المصادر الطبيعية الى أشياء مفيدة يحسن استغلالها وتدبيرها وتوجيهها الى خير المجموع كما يتوقف عليه ابعاد الأمة عن أن تكون موضع أطماع الآخرين » (٢) •

وبالنسبة للقوة البشرية فى ليبيا فانه لم تجر عمليات تعداد السكان فى ليبيا بطريقة منظمة الا عام ١٩٥٤ م بمساعدة الأمم المتحدة « كما أن عمليات تسجيل المواليد ، والوفيات لم تبدأ بصورة منظمة الا فى سنة ١٩٢٧ ميلادية » (٣) وقد أظهر تعداد عام ١٩٥٤ الذى يعتبر أول تعداد شامل للمواطنين الليبيين فى كل أنحاء البلاد أن عدد السكان أقل من ١ر١ مليون نسمة بقليل ، وهو عدد ضئيل للغاية بالنسبة لمساحة ليبيا الشاسعة ، وكان توزيع معيشتهم فى أنحاء البلاد على النحو التالى : —

١ — فى طرابلس كان يعيش ٧٣٨ر٣٨٣ نسمة منهم ١٣٠ ألف نسمة

---

(1) U.N. : Supplementary report to the second annual report, P. 23.

(٢) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ص ١٣ •

(٣) أحمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ٢٣ •

يعيشون فى مدينة طرابلس ذاتها ، والباقى يعيشون فى القــرى والمدن المحيطة بها والتابعة للاقليم •

٢ ـــ وفى برقة كان يعيش ٢٣٦ر٢٩١ نسمة منهم ١٧٠ ألف نســمة فى مدينة بنغازى والباقون يعيشون خارجها •

٣ ـــ وفى فــزان كان يعيش ٣١٥ر٢٩ نسمة موزعين على واحاتها وسهولها وقراها ومدنها ••

ومعنى هذا أن عدد السكان بالتحديد ـــ فى ليبيــا كلها ـــ كان ٨٨٩ر٨٨٠ر١ نسمة « منهم حوالى ٧٤ فى المائة من السكان مستقرين ، و ١٨ فى المائة شبه رحل و ٨ فى المائة رحل • ويمكن القول بأنه حوالى ٢٥ ـــ ٣٠ فى المائة من مجموع السكان يعيشون فى المدن ، وأن حوالى ٤٥ ـــ ٥٠ فى المائة من مجموع السكان يعيشون فى المناطــق الريفية ، والباقى وهو حوالى ٢٥ فى المائة رحل أو شبه رحل » (١) •

والسكان المستقرون هم الأفراد الذين يعيشون فى مساكن يأوون اليها طول العام ويتمثلون فى سكان المدن من تجار وصناع وأصحــاب حرف مختلفة وموظفين ، الى جانب سكان القرى الذين يتخذون زراعة الأرض حرفة أساسية لهم ويستقرون بجوارها • أما السكان شبه الرحل فانهم الرعاة الذين يتنقلون بين المراعى داخل حدودهم القبلية الادارية ، وقد يهاجر بعض هؤلاء الى المدن للاشتغال بالتجارة أو المهن الأخرى • أما السكان الرحل فانهم أولئك الذين يقضون معظــم أوقات السنة فى التنقل بحثا عن المرعى اللازم لحيواناتهم فى المناطق التى تتوفر بها الأمطار وتوجد بها المراعى حتى ولو كانت خارج مناطقهم •

ومن دراسة توزيع السكان فى أنحــاء ليبيا يتبين أن نسبة السكان الرحل فى برقة كبيرة حيث « تصل الى ٤٥ فى المائة من السكان ، فى حين أنها فى فزان لا تكاد تتجــاوز ١٠ فى المائة ، وفى طرابلس حــوالى ٢٥

(1) The Economic development of Libya, P. 28.

فى المائة ، وأن نسبة المستقرين فى فزان تبلغ حوالى ٩١ فى المائة من مجموع سكان الولاية بينما لا تتجاوز ٧٥ فى المائة فى طرابلس ، وتهبط الى ٥٥ فى المائة فى برقة ، وذلك بسبب أن الحشائش الطبيعية فى فـزان لا تكفى لرعى القطعان الكبيرة من الماشية ، ولهـذا نجد الاهتمام منصبا عـلى الزراعة فى هذه الولاية » (١) • الا أنه منذ ظهور البترول طرأ تغير كبير على توزيع السكان ، حيث لاحظنا أن نسبة السكان الرحل وشبه الرحل أخذت تنكمش فى حين أخذ عدد سكان المدن يتطور بسرعة ، خاصـة وأن أهل فـزان نظرا لفقر بلادهم « يسعون للهجرة الى طرابلس أو برقة أو تونس ، وهذه الجهات الثلاثة هى مركز جاذبية للمهاجرين من فزان» (٢)•

ولعل طبيعة الأرض الصحراوية الشاسعة وفقرها من حيث مصادر المياه هى المسئولة عن قلة عدد السكان الذين يعيشون على سـطحها ويمارسون نشاطهم فوقها ، هذا الى جانب ما قاسته البـلاد فى سنوات المجـاعات بالاضافة الى وجود وادى النيل الأخضر فى الشرق ، وتونس الخضراء فى الغرب ، أماكن يهاجر اليها من يشعر بعجزه عن الحياة المأمونة عـلى أرض ليبيا وفرارا من المجاعات المتكررة ، ثم حرب الابادة التى شنتها ايطاليا الفاشستية ضد الشعب العربى الليبى ، وأخيرا « ما قاسته البلاد من أهوال الحرب العالمية الثانية المدمرة » (٣) • الى جانب أن معـدل الزيادة فى عدد السكان حوالى « واحد وربع فى المائة فى السنة ، وهو رقم ضئيل للغاية بالمقارنة بمعظم دول شمال أفريقيا الأخـرى والشرق الأوسط » (٤) • وبالتالى يؤثر على التخطيط للمستقبل باعتبـار العنصر البشرى هو ركيزة كل تخطيط للتقدم فى المستقبل •

واذا كانت هذه ظروف وطبيعة الشعب العربى فى ليبيا فى وقت تتطلع

---

(١) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ٢٥ — ٢٦ .

(2) U.N. : General Assembly, official records, annual report of the French G., P. 8.

(3) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 8.
and : Report of the U.N. ... ... by Carter Goodrich.

(4) The Economic development of Libya, P. 28.

فيه ليبيـا الى مستقبل مشرق فان هناك عدة عوامل لها دخل كبير فى التخطيط للمستقبل ، وأعنى بها العادات والتقاليد والظروف الاجتماعية وموقفها من الثقافة العربيـة الاسلامية فى عالم متغير ، اذ تشيع بعض العادات والتقاليد والظروف الاجتماعية التى تعوق حركة التقـدم فى المجتمع الليبى « ولا يخفى علينا أن كثيرا من هذه العادات والتقاليـد ولدت فى ظروف اجتماعية معينة كانت نتيجة أوضاع تاريخية مظلمـة ، خصوصا فى العهدين التركى والايطالى اللذين أثرا تأثيرا جـوهريا فى أوضاع الانسان الليبى السياسية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية » (١) مما ساعد على عدم تقبله بسهولة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى يتطلبها المجتمع فى تغيره باعتبار أن التغير لا الثبات « أصبح معيار حقيقة الوجود وطاقته ، وأن التغير موجود فى كل مكان ، والقوانين التى يعنى بها رجال العلم قوانين حركة وتوالد وتتال » (٢) .

ان وجود بعض العادات الاجتماعية والاتجاهات المكتسبة بين أفراد المجتمع الليبى تشكل عائقا للتقدم الاقتصادى والاجتماعى مما يحتـاج الى نوع خاص من الجهد التعليمى ، ومن أمثلة هذه الاتجاهات والعادات « اتجاه الليبيين نحو العمل — وهو اتجاه ليس فى مصلحة العمـل — وقد تكون عبر القرون التى حكمت فيها ليبيا قوى أجنبية ، واتجاههم نحو التمسك بجو الخرافات السائد ، والتعود على عدم الاهتمام بالوقت وعدم مراعاة مصلحتهم » (٣) . وكل هذه الأمور بالاضافة الى العوامل الطبيعية التى يعيشون متأثرين بها تحتاج من الليبيين الى « جهد أكبر ولفترة طويلة ويسعى الى التحسين » (٤) .

ورغم أن الشعب العربى الليبى عاش منذ الفتح العربى الاسلامى فى شكل قبائل لها مضاربها وأوطانها الصغيرة داخل الوطن الليبى ، الا أن تعرض الليبيين للمظالم والقسوة فى العهد التركى ، وللارهاب بل والابادة

(١) احمد الغنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته — ص ٤٦ .
(٢) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ص ٣ .
(3) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 14.
(4) Ibid, P. 14.

فى عهد الاحتلال الايطالى للبلاد قد وحد بينهم الىحد كبير رغم محاولات الادارتين الفرنسية والبريطانية للتفريق بين أبناء الوطن الواحد ، وكانت حالة الليبيين فى الأربعينات من القرن العشرين تكاد تكون واحـدة من حيث المستوى الاجتماعى والارتباط بين بعضـهم البعض ، فقد كانت غالبية أفراد الشعب العربى الليبى تعيش عيشة كفاف ، رغم وجود قلة تعيش فى يسر ولكنه كان محدودا ، واختلطت الأنساب فلم يعد البربر أو الزنوج أو القول أوغلية يشكل كل منهم عنصرا مغلقا على نفسه بل امتزجوا بالعرب جنسا وثقافة .

ثالثـا ــ ضعف الاقتصاد الليبى :

وثالث الملامح ذات التأثير فى مستقبل التعليم فى ليبيـا هو ضعف الاقتصاد الليبى ضعفا مؤثرا فى أية خطط للمستقبل ، ومن المعروف أن مقومات الاقتصاد الليبى تعتمد على بعض الزراعة البسيطة والتجـارة غير المزدهرة فى المدن الساحلية بصفة خاصة ، أما الصناعة فلا توجـد سوى بعض الصناعات اليدوية الوطنية، ومن المعروف أن القوى الأجنبية التى سيطرت على البلاد لم تفعل شيئا من أجل انعاش الاقتصاد الليبى وان كانت قد بذلت جهودا فى هذا المجال فقد كان لمصلحتها ، فسيطرة الطليان مثلا على الأرض الصالحة للزراعة واستغلالها لمصلحتهم تحقيقا للحقيقة القائلة بأن « الطبقة المسيطرة المستغلة فى أى فترة وفى أى مجتمع تستمد عناصرها ومركزها السياسى والاقتصادى من تحكمها فى وسائل الانتاج ، فتوجهها لتنظيم علاقات الناس الانتاجية وتحقيق مصالحهـــا الخاصة وضمان أعظم فائدة وربح لنفسها » (١) .

لقد تركت القوى الأجنبية تأثيراتها السيئة على الاقتصاد الليبى حتى أوضح تقرير بعثة اليونسكو الى ليبيا أن « رفع مستوى المعيشة عنـد الليبيين لن يكون أمرا سـهلا لأن الاقتصاد الليبى يقـدم فرصا ضئيلة للعمل » (٢) . الى جانب بقاء الحقيقة الثابتة عبر التاريخ الى الأربعينات

---

(١) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ص ١٣١ .

(2) B. Higgins : The economic and social development of Libya, P. 18. and UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 10.

من القرن العشرين أن ليبيا بلد فقير بصحراء متسعة ، والدخل القومى بها من أدنى الدخول فى العالم وهذا يوضحه « الفقر الكبير فى المصادر الطبيعية ، فلم يتم اكتشاف مواد خام تحت التربة بكميات اقتصادية من حيث النوع والانتاج التجارى ، كما أن التربة نفسها فقيرة بصفة عامة والمياه الجوفية غير كافية للزراعة ، وسقوط المطر غير مستمر وغير كاف ، والمواطنون لا ينقصهم التعليم العام فقط بل التدريب الفنى والتخصصى أيضا » (١) •

وكان هذا فى وقت يعتمد فيه الاقتصاد الليبى اعتمادا أساسيا على الزراعة والرعى « وكثيرا ما تتعرض محاصيل المزارع وحيواناته الى الضياع بسبب تذبذب الأمطار ، ولهذا فان امكانيات الفرد المالية ضعيفة جدا لا تمكنه من استئجار العمال لانجاز أعماله الزراعية والرعوية » (٢)•

وتبعا لهذا الفقر فى الاقتصاد الليبى فان أية خطط توضع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا لابد وأن توفر عنصرين أساسيين : أولهما تدريب فنى مرتبط بنظام تعليمى توضع برامجه للمدى الطويل ، وثانيهما تقديم مساعدات مادية الى ليبيا دون المساس بسيادتها الوطنية وأن تكون هذه المساعدات كافية وتبعا لخطة تهدف الى زيادة الدخل القومى •

ان فقر ليبيا فى الخبرة الفنية مرتبط أشد الارتباط بما لاقاه التعليم من اهمال من القوى المسيطرة على البلاد فى تاريخها الحديث والمعاصر ، فان وجود ٩٠ فى المائة من أفراد الشعب العربى الليبى أميون — كما جاء فى تقرير بعثة اليونسكو الى ليبيا عام ١٩٥١ م — ارتبط بسياسة الاحتلال فى العهدين التركى والايطالى ثم فى عهد الادارة الانجليزية والفرنسية ، فقد لجأ الاستعمار الى « قفل منافذ التعليم الفنى على أبناء البلاد فى الداخل والخارج ، ولم يسمح للعناصر الوطنية الا بتولى

---

(1) U.N. : Supplementary report to the second onnual report ... P. 15.

(٢) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته — ص ٢٦٨ •

الوظائف البسيطة المحتقرة التى تتسم بالخمول وتضييع الوقت وعــدم استخدام الفــكر ، كمهنة الحارس والمبــاشر والكاتب البسيط » (١) . واليوم نشعر بفداحة هذه السياسة التى اتبعها الاستعمار .

ومن المعروف أن هناك ارتباطا بين التعليم ونمو الدخل القومى لأن تنمية الدخل تعتمد على وجود القدرة الفكرية الفاعلة ، وهذه القــدرة العقليــة الفاعلة تنمى عن طــريق التعليم ، ورغم أن الخبراء « لم يروا امكانيات للتوصية بخطط كبيرة جدا تقــدم أملا فى عائد سريع بسبب عدم وجود امكانيات لها وزنها للصناعات الثقيلة ، وعدم وجود كشوفات فنية وعلمية تسمح بدخل جديد ، وليست هناك فرص كبيرة تقدم أملا فى الثراء والرفاهية للمواطنين الليبيين » (٢) . فان تنمية المهارة البشرية وتدريبها وتنمية القدرات العقلية عن طريق التعليم ستؤدى بالتالى الى خلق الثروة المادية أو بعبارة أخرى زيادة الدخل القومى .

ولا شك أن سبب وجود دول متقدمة ودول أقل تقدما يرجــع الى تنمية رأس المال البشرى « فقد وجد أن نسبة الاستثمار فى هذا الرأسمال فى الدول المتقدمة قد بلغت ٣٠ فى المائة فى حين أنها لم تتجاوز فى الدول النامية أكثر من٣ فى المائة » (٣). وهذا ما يمكن أن نلاحظه فى ليبيا حيث « أن المواطنين الذين تبلغ نسبة الأمية بينهم ٩٠ فى المائة وتنقصهم الخبرة الفنية ، لا يمكن زيادة مصادرهم المحدودة زيادة كبيرة ، أو ادارة أعمالهم بنجاح كبير بالنسبة للمستوى العالمى دون تنمية القدرات العقليــة عن طريق التعليم والتدريب » (٤) .

رابعا ــ وجود أقليات غير ليبية :

ورابع الملامح ذات التأثير فى مستقبل التعليم فى ليبيــا هى وجود أقليات غير ليبية تعيش متمتعة بامتيازات منحت لها دون حق واضح وعلى

---

(١) احمد الفينش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٦٦
(2) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 15.
(٣) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٦٧ .
(3) Ibid, P. 16.

حساب الشعب العربى الليبى ، فلقد استفاد الأجانب وغير الليبيين العرب من الامتيازات الممنوحة من قبل الدولة العثمانية للأجانب المقيمين بولايات الدولة استفادة كبيرة جعلت هذه الجاليات الأجنبية طبقة متميزة داخل المجتمع •

وأهم هذه الأقليات التى تمتعت بقدر كبير من النفوذ والسلطة فى ليبيا هى الأقلية اليهودية ثم الجالية الايطالية التى وجدت قبل الاحتلال الايطالى ثم زاد عددها واتسع نفوذها أثناءه وبعده •• أما اليهود فانهم وفدوا الى ليبيا — وبصفة خاصة اقليم طرابلس — بعد ماتعرضوا له فى أسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية من اضطهاد واستقروا فى أهم المدن الليبية وأخذوا يسيطرون على النواحى الاقتصادية فى البلاد ويمارسون عن طريقها تأثيرا على كل حكم قائم بما يتفق مع مصالحهم ، وقد وجد هؤلاء اليهود التشجيع من قبل كل من الأتراك والايطاليين والانجليز حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا واسطة لقضاء مصالح المواطنين الليبيين لدى السلطات الحاكمة •

أما الطليان فقد زاد عددهم زيادة ملحوظة فى العهد الايطالى الفاشستى حتى بلغ عددهم فى ليبيا « عام ١٩٤١م ١١٠ آلاف ايطالى منهم ٧٠ ألف ايطالى فى اقليم طرابلس »(١)• وبعد انتهاء الحكم الايطالى وقيام الادارتين الانجليزية والفرنسية فى ليبيا استمر الطليان يحتلون مركزا خاصا فى الاقتصاد الليبى ، وتبعا « لاحصاء عام ١٩٥٤ م كان هناك ٣٨ ألف ايطالى مازالوا يعيشون فى البلاد الليبية وبصفة خاصة فى اقليم طرابلس ، ويعيش ثلثا هذا العدد داخل مدينة طرابلس وفى ضواحيها ، والباقى يعيشون فى المستعمرات الزراعية التى أقامتها لهم الحكومة الايطالية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ومازال هؤلاء الايطاليون يحتفظون بجنسيتهم الايطالية » (٢) •

وقد سيطر الايطاليون على كل المجالات التى تتطلب الخبرة الفنية

---

(1) The economic development of Libya, P. 25.
(2) Ibid, P. 21.

فى البلاد سواء فى القطاع الحكومى أو القطاع الخاص الحر ، وحرم أبناء البلاد وأهلها ليعيشوا فى خدمة هؤلاء المسيطرين « وقد جهل الايطاليون السكان — الليبيين — لا فى شئون العلم فقط ، ولكن فى كل ناحية من نواحى العمل الماهر ، وقد امتص الايطاليون عصارة القوم جيلا كاملا فتركوهم وكأنهم فقدوا نشاطهم » (١) • وحتى فى عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية استمر الطليان فى احتكار المكانة الممتازة التى تمتعوا بها من قبل ، وقد وجدوا من الادارتين تأييدا وموافقة ، كيف لا وقد كان المخطط الاستعمارى يهدف الى اعادة طرابلس لتخضع ثانية للحكم الايطالى •

ولذلك فان أى تخطيط للتعليم كان عليه أن يضع فى اعتباره وجود هاتين الطائفتين : اليهود والطليان وتأثيراتهما على الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين أبناء الشعب العربى الليبى بما يضمن عدم سيطرة هذه الأقليات على أمور البلاد الثقافية والاقتصادية بصفة خاصة •

٢ — المشكلات التعليمية التى تعوق التنمية :

بعد أن استعرضت أهم ملامح الحياة فى ليبيا ذات التأثير على التعليم ومستقبله ، يأتى دور مناقشة أهم المشكلات التربوية والتعليمية ذات الجذور التاريخية ، والتى هى والملامح موضع اعتبار المخططين لمستقبل التعليم فى ليبيا • وأهم هذه المشكلات هى :

اولا — مشكلة تفشى الامية بين الليبيين :

حددت تقارير هيئة الأمم المتحدة فى أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ان اكثر من ٩٠ فى المائة من المواطنين الكبار أميون وأن القضاء على الأمية يتم عن طريق « تدبير فرص التعليم الأولى — لأبناء الشعب — وتنمية عامة لعقول وأجسام المواطنين الليبيين ، كل هذا من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى هذا القطر » (٢) • لأن

(١) د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ص ١١٧ .
(2) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 13.

التعليم بمفهومه الشامل ضرورى للصغير والكبير لكى يعيشوا « آدميين ولا يعيشوا على المستوى المادى كما تعيش الكائنات الحية الأخرى ، وانما لابد لهم من الاندماج فى حياة الجماعة أى فى مصالحها وأهدافهـا ومهاراتها وأساليبها ، وبدون ذلك تنقطـع أسباب الوجود الاجتماعى لهؤلاء الأفراد ، وتنتفى عنهم الصفة الاجتماعيـة » (١) • ومن ثم فان القضـاء على الأميـة يقتضى القيـام فى آن واحـد بعمليتين متكاملتين متساندتين ، وهما نشر التعليم الابتدائى بين الأطفال ، وازالة الأمية بين الراشدين بصورة مخططة منظمة •

ومن استعراض جهـود نشر التعليم الابتدائى فى عصور السيطرة الأجنبية على البلاد لاحظنا أن القوى المسيطرة لم تكن تعنى بنشر التعليم بين أبناء الوطن الليبى ضمانا لبقاء سيطرتها واستغلالها ، ولست بحاجة هنا الى أدلة فقد سقتها بالتفصيل عند الحديث عن التعليم فى العصرين التركى والايطالى بصفة خاصة •

وما يهمنا أن نوضحه الآن أنه فى الوقت الذى كانت تحاول فيه ليبيا التخلص من السيطرة الأجنبية ثبت أن أكثر من ٩٠ فى المائة من أفـراد الشعب الراشدين أميون ، هذا فى حد ذاته دليل قوى يؤكد مسـئولية عصور الحكم الأجنبى عن ارتفاع هذه النسبة ، ويمكن أن تزيد هـذه النسبة اذا أخذنا فى الاعتبار الأمية بمفهومها الشامل أى الأمية الصحية والأمية الثقافية والأمية الاقتصادية ، والأمية الاجتماعية ، ومن الملاحظ أن قوى السيطرة الاجنبية لم تكن تهتم بمحو هذه الأمية اذ أنهـا كانت مهتمة فقط بالحفاظ على الحكم والسيطرة على مصادر الثروة والعمـل على ابقاء السكان باستمرار فى حالة فقر وجهـل ، وفى عزلة تامـة عن التطورات والتغيرات الحضارية فى العالم •

ولعل أهم عناصر الأمية فى ليبيا عنصران : الأول عدم وجود الـزام للأطفـال فى سن المدرسة الابتدائية ، والعنصر الثانى احجام الآباء عن تعليم بناتهم ••• ان عدم وجود الزام للآباء لارسال أبنائهم متى بلغـوا

---

(٢) د. الهادى عفيفى : التربية والتغيير الثقافى ص ٨٠ •

سن دخول المدرسة الابتدائية يرجع الى عوامل تاريخية ويرتبط بسياسة القوى الأجنبية التى تسيطر على البلاد ، فمن المعروف أن هــذه القوى الأجنبية لم تكن توفر فرص التعليم الابتدائى أو غيره أمام جميع أبناء الشعب ، ولم تكن تشجع على تعليم هؤلاء الأبناء ، ومن ثم فلا مجـال لوجود الزام ، لأن الالزام ذو شقين : الشق الأول الزام للحكومة لـكى توفر مكانا بالمدارس لكل طفل يبلغ سن دخول المدرسة ، والشق الثانى الزام الأب بأن يبعث بابنه الى المدرسة متى بلغ سن الالزام •• وما دام الشق الأول ــ وهو الزام الحكومة ــ لم يكن موجودا بسبب سياسة القوى الأجنبية التى لا تشجع تعليم الشعب ، فلم يكن هنـاك بالتالى تفكير فى وجود الجانب الثانى وهو الزام الآباء •

أما العنصر الثانى للأمية فى ليبيا فهو احجام الآباء عن تعليم بناتهم • بحيث أصبح الجهل هو حياة المرأة فى ليبيا لأن الرجل فرض عليها هذه الحياة ، ومن المعروف أن المرأة تشكل نصف المجتمـع ، ووجود نسبة عالية من الأمية بين النساء خطر كبير يعوق تربية الأبناء ، ويؤثر من جهة أخـرى على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وسنزيد الأمر تفصيلا فى موضوع خاص عن تعليم البنت •

ثانيـا ـ تعليم البنت :

لقد أدى تعرض ليبيا فى عصورها التاريخيـة الحديثـة والمعاصرة للسيطرة من قبل قوى أجنبية الى انعزال أهلها عن التطورات الحضارية السائدة فى العالم ، والى مزيد من المحافظة على كل تقليـد وعادة أثبت تطور الزمن أنها غير صالحة ، ومع ذلك فانه « تبعا لعادات أهل البلاد فلا مجال للدهشة لتخلف تعليم البنت » (١) فى ليبيا عن الولد ، الى جانب تخوف المواطن الليبى على ابنته من جو خلقى وعادات غربيـة أتى بها أصحاب السيطرة على البلاد •

وقد تجلى هذا التخلف فى التعليم الذى أتيح للبنت فى العهـدين

---

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 23.

التركى والايطالى ، فلم تكن هناك مدارس خاصـة بالبنات منتشرة فى أنحاء البلاد ، حتى أن عدد البنات اللائى كن ينتظمن فى المدارس الابتدائية « عام ٤٢ / ١٩٤٣ م لم يزد عن ٤٠٤ تلميذة » (١) فى كل ليبيـا ، وقد زاد هذا العدد « عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ فأصبح ٢٩٢٣ بنتا ، ومع ذلك فان الانتظام لم يكن مرضيا ، فقد أثبتت الزيارات أن عدد البنات الحاضرات بالنسبة للغائبات فى بعض المدارس الليبية فى العام الدراسى ١٩٥٠ — ١٩٥١ كان على النحو التالى :

١ ـ مدرسة الزاوية للبنات : ٪ البنات حاضرات و ٪ عددهن غائبات
٢ ـ مدرسة جادو ٤٧ بنت حاضرة من ٧١ بنت مسجلة .
٣ ـ مدرسة زليتن ٣٠ بنت حاضرة من ٤٥ بنت مسجلة .
٤ ـ مدرسة الخمس ٦٤ بنت حاضرة من ٨٦ بنت مسجلة » (١)

ونسبة التغيب هذه ذات تأثير كبير ، وهى ترجع الى عدم تقبل الآباء لفكرة استمرار البنت فى مواصلة التعليم الى جانب العـادات الشائعة بتزويج البنت فى سن مبكرة أو حجبها عن الخروج من المنزل متى بدت عليها علامات البلوغ ودخلت طور المراهقة .

ولقد كان تخلف البنت فى التعليم غير قاصر على المدارس الابتدائية ، بل حتى على فرص التعليم لمراحل مافوق التعليم الابتدائى ، حيث كان الاقبال على التعليم — بعد الابتدائى — ضئيلا للغاية . ولكن تبعـا لمرور الزمن واختلاط أفراد الشعب العربى الليبى بغيرهم من أفـراد الشعوب التى ضربت بسهم أكبر فى التقدم والتحضر ، وتبعـا لتوفـر فرص تعليمية اكثر ، وتبعا لارتفاع مستوى معيشة الأفراد ، فقد زادت « نسبة تعليم البنات من ١٣٫٧ فى المائة عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ م الى نسبة ٢٣٫٢ فى المائة عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ من مجموع تلاميذ وتلميذات المرحلة الابتدائيـة » (٣) وهذا يبشر بمستقبل لا بأس به أمـام تعليم البنت فى ليبيا اذا وضعت الخطط المنظمة والدقيقة لذلك .

---

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : تعليم البنت فى ليبيا بحث رقم ٦ ص ٤ .

(2) Ibid, P. 24.

(٣) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : تعليم البنت فى ليبيا ، المصدر السابق

ثالثا ـ التعليم الفنى والمهنى :

يلجأ كل مستعمر الى حرمان أبناء المستعمرة من التعليم العام ، والتدريب الفنى بصفة خاصة حتى تبقى السيطرة على المجالات التى تتطلب خبرة فنية فى أيدى الأجانب المسيطرين على مقدرات الأمور فى البلاد .. وخلال سيطرة القوى الأجنبية على ليبيا حرم أهلها من تعلم علوم « الاقتصاد وفنون الادارة والعلوم الطبيعية والكيميائية والهندسية » (١) وغيرها من العلوم التى تكسب المواطنين الخبرة العلمية والعملية والفنية ، ولذلك وجدنا الأقلية اليهودية والجاليات الأجنبية وبصفة خاصة الجالية الايطالية فى ليبيا تسيطر على كل الأعمال الفنية التى تتطلب مهارة فنية ، وحرمان أصحاب البلاد من ممارسة هذه الأعمال واشاعة الأفكار الخاطئة بأن العربى لا يمكن ان يكتسب هذه المهارة الفنية ، وأن أداءه لعمل يتطلب هذه المهارة لن يصل الى مستوى أداء الفرد الأوروبى .

وتبعا لذلك فقد ظهر أمام التخطيط للتعليم الفنى فى الخمسينات من القرن العشرين فى ليبيا عدة مشكلات أهمها بالنسبة للناحية الصناعية ما يلى :

« المشكلة الأولى : تتمثل فى النقص فى التجهيزات والمدرسين والجهاز الادارى والموارد المالية .

والمشكلة الثانية : تتمثل فى ضعف المعلومات العامة عند التلاميذ المرشحين للتدريب الفنى . وهذا الضعف راجع الى انخفاض المستوى التعليمى العام بين سكان ليبيا .

والمشكلة الثالثة : تتمثل فى عدم احتواء التعليم الابتدائى على أية دراسة عن أوليات التعليم الفنى أو أية حوافز للتلاميذ للبحث عن وظيفة فى فروع النواحى الفنية الاقتصادية .

والمشكلة الرابعة والأخيرة : تتمثل فى ابتعاد التلاميذ عن العمل اليدوى وتجنبهم له ، والبحث عن شغل وظائف ادارية ، وهذا يتفق مع نظرة معظم

---

(١) أحمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٦٦ .

شعوب دول الشرق الأوسط باعتبار العمل اليدوى أقل مرتبة من الوظيفة الادارية » (١) •

هـذا فى مجال الصناعة ، أما المجال الزراعى فقد وجد أيضـا حربا لا هوادة فيها من القوى المسيطرة حتى بلغ الأمر بالسلطات الايطالية مثلا أن تحـرم أصحاب الأرض من مزارعهم وتستولى عليها وتعطيها للأسر الايطالية التى تفد على ليبيا فى حماية الاحتلال الايطالى ، ومن ثم فلامجال للاهتمام بالتعليم الزراعى ، هذا فى وقت تعتبر الزراعة هى عمود الاقتصاد الليبى وأنه يجب الاهتمام بالزراعة اذا أريد للتنمية فى ليبيا أن تتحقق •

والى جانب سيطرة كثـير من الطليان على أهـم المزارع والاراضى الزراعية فى ليبيا ، فان حرمان ليبيـا من وجود « نقص فى اليـد العاملة المدربة فى الزراعة هى بلاشك احدى العقبات الكبيرة التى تواجه أية جهود تهدف لتنمية مصادر الزراعة فى البلاد » (٢)• وهذا النقص يتمثل فى عدم وجود مراكز لتدريب الأيدى العاملة ، كما يتمثل فى عدم توفر كوادر العمل الزراعى من خبراء وفنيين ومساعدين ومعلمين ، الذين تقوم على أكتافهم أية برامج تدريب زراعية •

ان أية خطط توضع للتنمية الاقتصادية فى ليبيا تتطلب توفير التدريب الفنى الشامل لان ليبيا « فى أمس الحاجة الى الصناع الأكفاء كالميكانيكيين والخراطين والكهربائيين والسمكريين والنجارين وصانعى الطوب وغـير ذلك ، كما تحتاج أيضا الى العمال الزراعيين المهرة والمرشدين والفنيين من المستوى المتوسط (كمساعدى المهندسين والمساحين والرسامين وغيرهم) ولمثل هؤلاء الأشخاص قيمة بالنسبة للاقتصاد فى الوقت الحاضر أكثر من الموظفين الكتبة (الاداريين) كما أن الحاجة اليهم أكبر » (٣) •

وهكذا تمثلت مشكلة عدم الاهتمام بالتعليم الفنى فى مجالى الصناعة والزراعة ، والذى أنتج نقصا فى الأيدى العاملة المدربة التى تحتاج اليها

---

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 67.
(2) Ibid. P. 80.
(٣) البنك الدولى للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ١٧٦

البلاد الليبية فى نهضتها ورغبتها فى التحرر من سيطرة القوى الأجنبية ، وبقيت المزارع والورش والمصانع والوظائف الحكومية الفنية فى حاجة الى من يشغلها من أبناء البلاد المدربين ليحلوا محل الأجانب الذين سيطروا على هذه المجالات ردحا من الزمن وحرموا أبناء البلاد من ممارسة العمل بهذه المجالات •

رابعـا ــ تمويل التعليم :

لم يحدث فى تاريخ ليبيا الحديث ، وبصفة خاصة فى عهود السيطرة الأجنبية ، أن نظمت القوى المسيطرة تمويل التعليم ، لأنه لم يـكن من سياستها اتاحة فرص التعليم أمام أبناء الشعب العربى الليبى ، فلم تساعد الدولة العثمانية على انشاء المدارس والصرف عليها ، ولولا قيام الأهالى من أبناء الشعب الليبى بالتبرع وايقاف الأوقاف على المدارس ، والصرف على انشاء المبنى وتجهيزاته ، ودفع راتب المعلم ، لولا هذا ما قامت للتعليم قائمة فى البلاد ، وقد سبق أن ذكرت ذلك تفصيلا عند الحديث عن التعليم فى العصر التركى •

وكذلك الحال فى عهد الاحتلال الايطالى للبلاد ، فقد استولت سلطات الاحتلال الايطالى على ايرادات الأوقاف المحبوسة على المدارس والمساجد لتنفق بعضها على العدد الضئيل من المدارس التى سمح بوجودها لقبول بعض أبناء الوطن الليبى فيها ، ومعنى هذا استمرار مشكلة تمويل التعليم وتحمل الشعب للصرف على التعليم بالتبرعات وأوقاف أهل الخير ، بينما كان تلاميذ الكتاتيب يتكفلون بدفع نفقات تعليمهم لمشايخ الكتاتيب •

وفى تطلع ليبيـا الى التحرر من السيطرة الأجنبية ورغبتها فى تعليم أبنائها ، فقـد قدمت الأمم المتحـدة ومنظماتها عـدة مشروعات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستندة الى اتاحة فرص التعليم أمام أبناء الشعب وقد أكد رئيس بعثة الأمم المتحـدة للتقرير عن أحوال ليبيا الاقتصادية والاجتماعية عام ١٩٥٠ م أنه « لا يمكن أن تحتفظ ليبيـا باستقلالها دون نكوص ما لم تنل مساعدة مالية كبيرة »(١) وبالفعل فقد قدمت بعض الدول

(1) Carter Goodrich : Report of the U.N. ......

مساعدات مالية وفنية « وكان من بين هذه الدول مصر وفرنسا وايطاليا والباكستان وتركيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية » (١). وان كانت المملكة المتحـدة والولايات المتحدة الامريكية قد لعبت دورا أكبر فى مساعدة ليبيا فان ذلك كان « لأن ليبيا منحتها حقوق الاحتفاظ بقواعد عسكرية فى البلاد » (٢) .

ومع ذلك فان هذه المساعدة المادية والفنية يجب أن تستمر لفترة طويلة كما أنه لا يمكن الاسراع فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستفادة منها اذا تعـدت سرعتها سرعة توفر الموظفين الاداريين والفنيين المدربين الذين سيضطلعون بادارة شئون تلك التنمية وتنفيذ مشروعاتها ، وعلى هذا فقد وصل الباحثون فى موضوع التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا الى حقيقة أنه بالنسبة « للوقت الحاضر ـ عام ١٩٥٠ م ـ والمستقبل القريب فان ليبيا لا يمكنها التقدم كثيرا وسريعا فى برامج التنمية ما لم يعمل التدريب الناجح على زيادة انتاجية الشعب الليبى » (٣) .

ومهما كان مقدار الأموال المتوفرة للصرف على التنمية فى ليبيا ، سواء كانت من المعونة الخارجية أو من ايرادات محلية ، فانه « لا يمكن انجاز أى برنامج تعليمى خلال فترة خمس أو عشر سنوات وأنه لن يمكن رؤية نتائجه الكاملة الا بعد عشرات السنين » (٤) لأن البلاد تعانى فقرا واضحا فى مختلف نواحيها ، والصرف على التعليم يتأثر بمقدار الأموال المتوفرة ، وأوليات الصرف ، ووجود الامكانيات أو عدم توفرها ، ووجود الخبرات المحلية أو الأجنبية التى تساهم فى الاشراف على تنفيذ البرامج التعليمية .

ولقد استتبع الاقبال على التعليم بعد انتهاء عهود السيطرة الاجنبية على البلاد أن واجه المسئولون عن التعليم مشكلة تمويل التعليم بما يتفق مع آمال المواطنين ومتطلباتهم . فى وقت لا تتوفر الموارد المالية المحلية من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية .. لقد ورثت ليبيا نقصا فى كل مايمت

---

(١) البنك الدولى للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ٢٩.
(٢) نفس المصدر .
(3) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 16.
(4) The economic development of Libya, P. 8.

الى الخدمة التعليمية بصلة •• وورثت نقصا فى المبانى المدرسية يستدعى بنـاء مدارس جديدة واصلاح المبانى القائمة ، وورثت نقصا فى الأجهزة والأدوات المستعملة فى التدريس بل خلت المدارس القائمة من مثل هذه الأجهزة والأدوات الى جانب ضرورة توفيرها لتخدم الأعداد المتزايدة من التلاميذ الذين يفدون الى المدارس •

وعند التخطيط للتعليم فى مستقبل الحياة الليبية يجب اعطاء تمويل التعليم بمختلف أنواعه ووسائله الأهمية اللازمة باعتبار أن الصرف على التعليم له عائده ، وان كان من الضرورى الاهتمام بالتعليم حبا فى العـلم فى حد ذاته « وليس لمجرد كونه عاملا يساعد على زيادة الانتاج القومى ، لأن بعض أنواع التعليم قد لا تساعد فى زيادة الانتاج على الاطلاق ، فى المدى القصير على الأقل » **(١)** • ومن ناحية أخرى فقد « تتعرقل جميع الجهود التى تبذل لتنمية البلاد بسبب عدم توفر الكفاءات العالية التى لا يمكن احرازها الا بعد سنوات عديدة من الدراسة والتدريب » **(٢)** •

وهذا دليل على أهمية الصرف على برامج التعليم وخططه فى المستقبل من أجل نشره وتعميمه نوعا وكما بما يتناسب مع بنـاء الدولة وتقدمها فى عصر تعتمد فيه الشعوب على التعليم فى هـذا العالم المتطور النامى ، وترصد له كل دولة الأموال الكافية للنهوض به ونشره بين مواطنيها •

خامسا ــ التعليم العـالى :

لم تشهد ليبيا فى تاريخها حتى بداية النصف الثانى من القرن العشرين تعليما جامعيا ، ولقد سبق أن أوضحت سياسة كل من الدولة العثمانية ، ثم الاحتلال الايطالى ومن بعده عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية نحو التعليم الجامعى ، فقد حرمت البلاد فى العهد العثمانى من أى تعليم عال ، وكان القلة من الطلبة الليبيين الذين يتمون الدراسة فى المدارس الرشدية أو الاعدادية ــ وبصـفة خاصة العسكرية ــ والذين يستطيع أهلوهم الصرف عليهم يذهبون الى التعليم فى المدارس العليا باستانبول •

---

(1) The economic development of Libya, P. 252.
(2) Ibid, P. 252.

كما أن الاحتلال الايطالى لم يسهم فى ايجاد تعليم عال أمام الطلاب الليبيين ، بل لم يسهم حتى فى وجـود مدارس ثانوية ، واكتفى ببعض المدارس الابتدائية ، وعندما انتهى الاحتلال الايطالى وجاءت الادارتان الانجليزية والفرنسية الى البلاد لم تفعل شيئا فى هذا المجال الا أنه حدث أن « أعطيت فرصة الدراسة بالجامعات لعدد من الطلبة الليبيين لا يتجاوز عدد أصابع اليدين »(١) الذين سمح لهم بمواصلة دراستهم العليا فى الخارج فى وقت يستعد أبناء ليبيا لبنائها بعد انتهاء عهود السيطرة الأجنبية .

وهذا النقص فى عدد الخريجين المترتب على عدم توفر التعليم الجامعى بليبيا يستلزم تقديرا عند تخطيط التعليم للمستقبل ، على أن يقوم هـذا التخطيط على ارتبـاط التعليم الجامعى ببقيـة أنواع التعليم الأخـرى وارتباطه بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد حتى يمكن تحديد الأعداد المطلوبة من الخريجين وتوفير المجالات التى يعدون من أجلها بما يتفق مع احتياجات البلاد الفعلية فى مرحلة بنائها .

وبهذا تتحدد مشكلة النقص فى التعليم الجامعى فى ليبيا الذى لا يمكن أن يغفله أى تخطيط للتعليم ، ومهما قيل عن حاجة ليبيـا أولا الى توفير التعليم الفنى والتدريب المهنى فى مراحل التعليم دون الجامعية فان التعليم الجامعى لابد من توفيره أمام أبناء الوطن ، وعدم توفيره فيه انتقاص للسلم التعليمى ولتـكافؤ الفرص ، ولتلبيـة احتياجات البـلاد من الخـبراء والمتخصصين ذوى القدرات العقلية والامكانيات العلمية العالية ، سواء فى الجوانب الفنية أو الادارية أو الاجتماعية .

ويتصل بالتعليم الجامعى اتاحة فرص الدراسة بالخارج للحصول على مؤهلات عالية لا تتوفر بالبلاد ، وفرصة السفر هـذه ترتبط باحتياجات البلاد فى جوانب التخصص الفنى والمهنى والادارى اللازم لبناء الدولة فى نموها وتطورها ، على أن يختار هؤلاء من العناصر التى يمكنها الاستفادة من هذه الدراسة والذين يستطيعون تقـديم خدماتهم كاملة فى المجالات التى يتخصصون فيها .

---

(1) Ibid, P. 8.

٣ ــ التخطيط للتعليم :

بعد أن استعرضنا الملامح ذات التأثير على مستقبل التعليم فى ليبيا • والمشكلات التعليمية الناتجة من تأثيرات العوامل التاريخية التى مرت بالبلاد ، بعد أن استعرضنا كل ذلك يأتى دور الحديث عن مستقبل التعليم فى ليبيا ووضع التخطيط اللازم له • ووضع هذا التخطيط يتطلب اتخاذ الاجراءات التالية :

أولا ــ نشر التعليم الابتدائى وتطبيق مبدأ الالزام فيه :

اجتازت ليبيا بنهاية عصور السيطرة الأجنبية مرحلة تاريخية مظلمة لتبدأ مرحلة أخرى تحتاج الى جهد كل مواطن ، فان ليبيا مع قلة حجم سكانها واتساع رقعتها الجغرافية ، وندرة مختلف المهارات والكفايات الفنية المطلوبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يتصاعد طموحها وتتزايد آمالها وتطلعاتها فى سباق مع الزمن لتساير ركب الحضارة العالمية ولتتعايش مع عصر العلم والتكنولوجيا الى جانب سعيها الدائب لتوفير حياة أفضل للمواطنين تتكافأ فيها أمامهم الفرص •

ولذلك فانه بعد التخلص من الاستعمار الايطالى عام ١٩٤٣ أنشئت عدة مدارس ابتدائية فى أهم المدن الليبية استجابة لاقبال أبناء الشعب على التعليم حتى « بلغ عدد هذه المدارس الابتدائية فى العام الدراسى ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ م ١٩٤ مدرسة » (١) • الا أن التوسع المستمر فى التعليم الابتدائى يعتبر أمرا لابد منه « كأساس للمواطنة ، وكأساس أيضا لخلق قاعدة عريضة تتهيأ عليها مطالب القوى العاملة فيما بعد ، وهو ضرورى أيضا لقطع جذور الأمية من أصولها ، وباعتباره القاعدة الاساسية للهرم التعليمى » (٢) •

ورغم أن التعليم الابتدائى يبدو قاعدة تزداد فى اتساعها وعرضها الا « أنه قليل الانتاج بالنسبة لهذا الاتساع ، وبالنسبة لحاجة مراحل

---

(١) أحمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ، ص ٩٤ .
(٢) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم والخطة الخمسية الاولى ص ١٠ .

التعليم المختلفة الى أعداد متزايدة من الطلاب يمكن أن تتحول الى قوى عاملة فى المجتمع على جميع المستويات المطلوبة فنيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا » (١) ولعل السبب فى هذه الظاهرة يرجع الى عدة عوامل تؤدى الى حدوث فاقد كبير خلال سنوات المرحلة الابتدائية •

ومع ذلك فان تاريخ التعليم فى المجتمعات المختلفة يؤكد « أن التعليم الابتدائى بصفة خاصـــة يعتبر المجال الذى تنعكس عليه عوامل الضعف أو القوة التى يعيشها شعب من الشعوب ، فهو دائما من أهداف المستعمر اذا ما تغلب على شعب من الشـــعوب ، فيقلل من شـــأنه ويعرقل تقدمه ويحيطه بالقيود والصعوبات ، وهو كذلك موضع اهتمام الحكومات بعد الحروب والأزمات ، كما أنه محـــط آمال الشعوب اذا نالت اســـتقلالها وملكت تقرير مصـــيرها وبدأت فى تكوين شخصيتها القوميـــة وثقافتها الوطنيـــة » (٢) •

وبالنسبة لليبيا فان تعميم التعليم الابتدائى بين المواطنين لابد أن يتبع احدى طريقتين متبعتين فى الأقطار المتخلفة تعليميا « الطريقة الأولى طويلة المدى وتعمل على توفير تعليم ممتاز لاعداد محـــدودة فقط ، والطريقة الثانية تقوم على توفير التعليم الابتدائى لأعداد كبيرة من التلاميذ » (٣) ونشر التعليم الابتدائى فى ليبيا يحتاج الى وقت طـــويل لذلك يجب أن يسير نشر التعليم الابتدائى على « نحو تدريجى » كما لابد من تركيز الاهتمام فى هـــذه الأثنـــاء على الاجراءات الخاصـــة بتحسين مستوى التسهيلات التى تقدم للتلاميذ ، كما ينبغى أن يوجه مزيد من الاهتمـــام فى المناهج الى التدريب العملى فى الحياة اليومية ، ولابد من زيادة عدد المدرسين المدربين تدريبا كافيا ، كمـــا ينبغى توفير مزيد من المعـــدات المدرسية الحديثـــة ، وكذلك الكتب المدرسية والوسائل التعليميـــة ، والى مزيد من المبانى المدرسية الصحية » (٤) •

---

(١) المصدر السابق ص ١١

(٢) د. الهادى عفيفى : التعليم الابتدائى فى ليبيا ، محاضرة فى برنامج تدريبى.

(3) U.N. : General Assembly, Official records (1950), P. 21.

(٤) البنك الدولى للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ١٧٤

وفى مجال نشر التعليم الابتدائى فان الدولة ملزمة بتوفيره باعتباره حقا لجميع الأطفال ، كما أن المجتمع مسئول عن توفيره بالمجان أمام التلاميذ حتى يتحقق الزام الأب بدفع ابنه الى المدرسة متى بلغ سن السادسة من عمره ، كما أن التعليم الابتدائى هو مجال تكوين القواعد الشعبية وهو السبيل الى تماسك الجماعة باعتبار خضوع الأطفال منذ سنوات تعليمهم الأولى لثقافة موحدة انطلاقا من كون التعليم الابتدائى يمثل الحد الأدنى من الثقافة اللازمة لتكوين المواطن الصالح باتجاهاته القومية والسلوكية والاجتماعية .

ويجب أن يشمل التخطيط فى مجال التعليم الابتدائى أيضا اتخاذ الخطوات الآتية : —

١ — استيعاب جميع الاطفال الملزمين ، أى الأطفال الذين هم فى سن هذا التعليم فى مدى محدد .

٢ — الاهتمام بنوعية التعليم الابتدائى الى جانب الاهتمام بكمه على أن يكون الاهتمام متوازنا بين الكيف والكم .

٣ — علاج مشكلة الفاقد فى التعليم الابتدائى الناتجعن عوامل متنوعة يمكن علاجها حتى لا يكون هناك فاقد فى التعليم الابتدائى .

٤ — توزيع المبانى المدرسية على أساس جغرافى سليم ، وسد حاجة المناطق الريفية والنائية منها .

٥ — تخريج أعداد كافية من المعلمين المؤهلين تربويا ليعملوا فى المدارس الابتدائية .

٦ — نشر التعليم الابتدائى بين القبائل الرحل ، وفى المناطق النائية عن طريق بناء الأقسام الداخلية « واقامة مدارس لأولاد القبائل حيثما كانت هناك تجمعات قبلية كبيرة ، وحيث يتوفر عدد كاف من التلاميذ فيها وتدريب بعض رجال القبائل كمعلمين » (١) الى أن يصير اعداد أفراد من القبيلة فى معاهد المعلمين .

---

(١) البنك الدولى للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ١٧٥

ثانيا ــ محو الامية :

ان وجود أعداد كبيرة جدا من أفراد الشعب الليبى أميون ليست علامة صحية لتقدم البلاد ونهضتها ، ولذلك كان العمل على محو أمية المواطنين الليبيين من أهم أسس التخطيط للمستقبل ، وفى هذا المجال يمكن اتخاذ الاجراءات التالية :

١ ــ ان تحقيق نشر التعليم الابتدائى وتعميمه بين المواطنين على أن يكون الزاميا ومجانيا سوف يؤدى الى عدم تضخم المشكلة وازدياد عدد الأميين •

٢ ــ فتح مدارس لتعليم الأميين رجالا ونساء ، وتشجيع المواطنين والمواطنات على الالتحاق بهذه المراكز بمختلف وسائل التشجيع الممكنة •

٣ ــ استخدام الاذاعة فى مكافحة الامية وأن تكون البرامج التى تعد لهذا الغرض تتفق مع متطلبات العصر وتستند الى أسس تربوية منظمة ووفق تخطيط علمى مسبق •

٤ ــ حث المواطنين المتعلمين على الاشتراك فى حملات محو الامية فى أوقات فراغهم •

٥ ــ الاستفادة بالخبراء فى مجال محو الأمية سواء من الدول العربية « أو من اليونسكو ليضع كل منهم خبرته لخدمة الأميين الليبيين » (١) •

٦ ــ أن تكون برامج محو الأمية شاملة بمعنى وضع هذه البرامج لمحو الأمية الصحية والاجتماعية والسياسية الى جانب محو أمية القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والعلوم والشئون الدينية •

٧ ــ ايفاد بعض الخريجين فى بعثات الى الخارج للحصول على خبرات عملية فى هذا المجال بحيث يعودون مزودين بخبرات تفيد فى مكافحة الأمية بين المواطنين •

---

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 43.

٨ ــ لا شك أن نسبة الأمية بين النساء أكبر بكثير من نسبتها بــين الرجال ، ومن ثم يجب وضع برامج لتعليم هؤلاء الأميات تتفق مع العادات والتقاليد السائدة .

٩ ــ تبعا لاتساع رقعة البــلاد وانتشار بعض التجمعات السكانية انتشارا غير كثيف بما يعوق تقديم الخدمات التعليمية بصورة مؤثرة ، فان الواجب فى هذه الحالة هو أن تكون هناك قوافل ثقافية تنقل الى هؤلاء السكان حيث هم البرامج التعليمية لمحو أميتهم .

١٠ ــ اعداد رواد لمحو الأمية فى المناطق الريفية والنــائية على أن يكونوا من بين سكان تلك المناطق ليؤدوا خدمات لمناطقهم .

ثالثــا ــ تعليم البنت :

تمثل المرأة نصف المجتمع ، وتعليمها ضرورى فى مجتمع عدد أفراده قليل ويحتاج بناؤه وتطويره الى جهود كل مواطن ومواطنة ، ولذلك يجب عند التخطيط للتعليم فى ليبيا اتخاذ الاجراءات التالية :

١ ــ حث الآباء على ايفاد بناتهم الى المدارس بالحوافز المشجعة على ذلك مثل توفير مدارس البنات حيث تتواجد التلميذات وتدبير المعلمات اللازمات لهذه المدارس الى غير ذلك .

٢ ــ تنويع فرص التعــليم أمام البنات بحيث تلبى رغبــات الآباء وطموحهم بالنسبة لبناتهم .

٣ ــ تدبير المعلمات اللازمات لمدارس البنات مع الاستعانة بالخبرات العربية لسد النقص فى هذا المجال .

٤ ــ التوسع فى انشاء معاهد لاعــداد المعلمات لقبــول التلميذات للاستفادة بهن فى مدارس البنات .

٥ ــ فتح مجال التعليم الثانوى والجامعى أمام الطالبات وتشجيعهن على الالتحاق بهذه الأنواع من التعليم .

رابعــا ــ زيادة عدد مدارس رياض الاطفال :

رغم أنه لم يكن قد تم تعميم التعليم الابتدائى فى ليبيا فى الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين فقــد وجدت رياض الأطفال فى أنحــاء

البلاد ، وهذه الرياض ليست ترفا فى التعليم ولكنها مرحلة هامة ينبغى توفيرها متى توفرت الامكانيات ، ولذلك فعند التخطيط للتعليم يجب اتبـاع ما يلى : —

١ — توفير الوسائل التربوية بحيث يتوفر فى الروضـة « الجو التربوى الذى يعد الطفل اعدادا سليما الى المدرسة الابتدائية ، وذلك لأن الأسرة الليبية لا يمكن الاعتماد عليها لحد الآن فى اعداد الطفـل اعدادا نفسيا سليما وتربيته تربية اجتماعية ناضجة تمكنه من التكيف بسهولة مع الجو المدرسى » (١) •

٢ — انتشار رياض الأطفال فى معظم أنحاء البلاد الليبية لتواجـه العديد من الأطفـال الذين يحتاجون الى هـذه الرياض بامكانياتهـا التربوية والنفسية •

٣ — اعداد معلمات مدربات لهذا النوع من التعليم ، وافتتـاح أقسام بمعاهد المعلمات لاعداد معلمات لرياض الأطفال •

٤ — توفير المبانى المدرسية المزودة بكافـة الأجهـزة والأدوات اللازمة لتربية الأطفال فى رياضهم بما يتفق مع أصول التربية الحديثة ، وبمـا ينمى فيهم حب المدرسـة والتكيف للجو المدرسى وتقبـل نظمه وقواعده بروح راضية سعيدة •

خامسا ــ اعداد المعلمين وتدريبهم :

واجهت ليبيا نقصا فى عـدد المعلمين الليبيين للقيام بتعليم أبنـاء البلاد ، وذلك بسبب سياسة القوى الأجنبية التى تحكمت فى البلاد ، وقد حدث أن أنشىء معهدان لاعداد المعلمين فى طرابلس وبنغازى ومعهد لاعداد المعلمات بمدينـة طرابلس فى السنوات الأخيرة من الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن العشرين ، الا أن اعداد المعلمين وتدريبهم يحتاج الى مزيد من العناية والرعاية الكافية باعتبار المعلم حجر الزاوية فى العملية التربوية والتعليمية •

---

(١) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٢٧ .

ولذلك فان التخطيط للتعليم فى ليبيا لابد ان يضع فى اعتباره ما تعانيه البلاد من نقص فى المعلمين بمختلف المراحل التعليمية ، ومن ثم يتخذ الاجراءات الضرورية لعلاج هذا النقص بما يحقق الفائدة التى تعود على البلاد بتوفير عناصر القيادة والتوجيه التعليمى ورواد التعليم فى المدارس سواء كانت مدارس التعليم العام أو التعليم الفنى أو التعليم الجامعى .

وهذا التخطيط يجب أن يتضمن الخطوات والاجراءات التالية فى مجال اعداد المعلم وتدريبه : —

١ — وجود معاهد للمعلمين والمعلمات لاعداد معلم المرحلة الابتدائية ، على أن يكون المستوى الثقافى الذى يتيح للطالب دخول هذا المعهد كافيا ومناسبا ، كما يجب أن يكون عدد سنوات الدراسة فى هذه المعاهد كافية لتشكيل الطالب تشكيلا يخلق منه معلما ناضجا واعيا لخطر وظيفته .

٢ — وجود معهد أو كلية لاعداد معلمى المدارس الاعدادية والثانوية اعدادا سليما وأن يقبل أعدادا متزايدة من الطلاب لسد حاجة المدارس من المعلمين فى مختلف التخصصات والمواد الدراسية .

٣ — الاستعانة بالخبرات العربية فى هذا المجال الى أجل يحدده توفر المعلمين الليبيين ، على أن لا تقتصر هذه الخبرات على مجال التدريس فقط بل يجب أن تشمل التخطيط والتدريب والوسائل التعليمية وغيرها من المجالات وثيقة الصلة بعمل المعلم واعداده وتدريبه .

٤ — اعداد دورات تدريبية للمعلمين أثناء الخدمة لتأهيل غير المؤهلين تربويا ولتجديد معلومات المؤهلين ، وموالاة هذه الدورات حتى يتجدد نشاط المعلمين العلمى والتربوى بما ينعكس على الطلاب ولفائدتهم .

٥ — تشجيع الطلاب على الالتحاق بمعاهد وكليات اعداد المعلمين، وتشجيع المدرسين على البقاء فى عملهم والسعى الى التحسين والتجديد والتنشيط فى مجالات الخبرة العلمية والتربوية .

سادسا : التعليم الفنى والمهنى :

عانى التعليم الفنى منذ نشأته صعوبات تمثلت فى عـدم التخطيط السليم له وعدم تنظيمه بما يتفق مع متطلبات المجتمع واتجاهه نحـو التقدم لأن القوى الأجنبية لم يكن يهمها تقدم المجتمع ، ورغم وجود مدرستى الفنون والصنايع الاسلامية فى طرابلس وبنغـازى ، فانه لم يتحقق الهدف من هذا التعليم الفنى ، اذ المعروف أن الهدف من التعليم الفنى والمهنى هو تخريج صناع وفنيين لملء الفراغ فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية ، ولذلك يشمل هذا التعليم الاقسام الآتية : —

١ — مدارس صناعية : وتهدف الى اعـداد الصناع الفنيين المهرة فى أعمال الكهرباء وصيانة السيارات والأعمال الميكانيكية وغيرها ..

٢ — مدارس زراعيـة : وتهدف الى اعـــداد الزراعيين الواعين والمرشدين الزراعيين .

٣ — مدارس تجارية : وتهدف الى اعداد الموظفين فى مجال النشاط التجارى والكتابى والادارى .

وكان عدد المدارس الفنية فى « العام الدراسى ١٩٥٠ — ١٩٥١ م ثمانية مدارس كان بها من الطلاب فى تلك السنة ٢٣٧ طالبا » (١) فقط ، وهو عدد ضئيل بالقياس الى أعـداد الطلاب فى المدارس الابتدائية أو الثانوية ، ويعكس هذا العدد الضئيل سياسة عدم الاهتمام بهذا النوع من التعليم .

وقد بدأ التعليم الفنى فى ليبيا بصفة عامة بعـد زوال الاحتـلال الايطـالى فأنشأت وزارة المعـارف حينـذاك مدرستين للتعليم المهنى « احداهما فى طرابلس عرفت باسم مركـز التدريب الفنى والكتابى ، وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م بمساعدة هيئة العمل الدوليـة ؛ كما أنشئت مدرسة صناعيةتجارية فى بنغازى عام ١٩٤٧—١٩٤٨ م تسلمت ادارتها هيئـة المصالح الليبية الأمريكية المشتركة فى العـام الدراسى

---

(١) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٠٥ .

١٩٤٩ ـــ ١٩٥٠ م » (١) • وكان الهـدف من انشاء هاتين المدرستين اللتين أصبحتا نواة للتعليم الفنى الصناعى والتجارى هو تدريب الطلاب تدريبا صناعيا وتجاريا •

وكانت مـدة الدراسة بمركز التدريب الفنى والـكتابى بطرابلس عاما واحدا للتلاميذ الذين أتموا المرحلة الابتدائية ، ثم أصبحت مـدة الدراسة عامين حتى عام ١٩٥١ م حينما أطلق على هـذه المرحلة اسـم مرحلة التعليم الصناعى العام ، ثم أصبحت الدراسة بهذه المدارس ثلاث سـنوات ، وفى عام ١٩٥٥ م أضيفت مرحـلة جديدة مـدة الدراسة بها عامان وسميت هذه المرحلة بالقسم الصناعى الراقى بهدف تزويد الطلاب بدراسة أوسع ومهارات أكثر لتزويد المرحلة الصناعية العامة بحاجتها من المعلمين •

أما بالنسبة لمدرسة بنغـازى الصناعية التجارية فقد كانت مـدة الدراسة بها عامين بعد المرحـلة الابتدائية ثم طورت فيما بعـد لتصبح مدة الدراسة أربع سنوات •

وبالنسبة للتعليم الزراعى فى ليبيا فقد أنشئت مدرستان زراعيتان متوسطتان عام ١٩٥١ ـــ ١٩٥٢ م « احداهما بالعويلية بالقـرب من المرج ، والثانية فى سيدى المصرى بطرابلس بالتعاون مع هيئة المصـالح الليبية الأمريكية المشتركة » (٢) ومـدة الدراسة بهذه المدارس أربع سنوات بعد المرحلة الابتدائية •

أما التعليم التجارى فقد بدأ أهليا حيث « تأسست مدرسة للتجارة فى بنغازى تحت اشراف هيئـة التعليم الشعبى ، واستأنفت المدرسـة الايطاليـة ــ التجارية ــ بطرابلس نشـاطها • وفى عام ١٩٥١ م ظهـر النشاط الحكومى فى مجال التعليم التجارى الفنى بمعاونة بعض الهيئات الدولية » (٣) حيث أصـبح التعليم التجارى مـدته أربع سنوات بعـد

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم الفنى والمهنى بحث رقم ٥ ص ٣ .
(٢) نفس المصدر ص ٤ .
(٣) وزارة التربية والتعليم بطرابلس ، المصدر السابق .

المرحلة الابتدائية ، الا أن كل مدرسة كان بها شعبتان : شعبة صناعية وشعبة تجارية •

ومن هذا الاستعراض لتطور التعليم الفنى والمهنى فان التخطيط له لاعادة تنظيمه يجب أن يتضمن الاجراءات التالية :

١ ـ التقريب بين مناهج التعليم العام ومناهج التعليم الفنى ، أو القضاء على الثنائية بين ما يسمى بالدراسات « الأكاديمية » أى العلمية البحتة ، والدراسات الفنية والمهنية وصولا الى المدرسة الشاملة التى تسمح بالتركيز على التثقيف المهنى الصناعى والتجارى والزراعى • وهذا التقريب يحقق هدفين أساسيين : « الأول يقرب للطلاب ـ منذ المرحلة الأولى للتعليم ـ المبادىء الاساسية لكل فروع العمل ، وهو بذلك يسهم فى تطوير قوة العمل والاقتصاد فى الدولة ، والثانى يربط التعليم والتدريس بالعمل الانتاجى والنافع للمجتمع ، وهو بذلك يسهم فى تربية شخصية الطالب ، ويدرب شعوره الوطنى ويشارك قبل كل شىء فى التربية على حب العمل واحترام القائمين به » (١) •

٢ ـ بالنسبة للتعليم الصناعى « فيجب تدريب العمال المهرة للصناعة أو لخدمات الحكومة ، وتدريب الفنيين الصغار ، واعداد هيئة التدريس الليبية » (٢) فى هذا المجال • كما يجب « انشاء قسم لتدريب الطلاب على البناء والتشييد يلحق بمدرسة طرابلس الفنية » (٣) • ويجب التدريب على الحرف التى تحقق احتياجات البلاد وهى الحرف الشائعة بين الناس والمرتبطة بمتطلبات المجتمع « مثل صناعة وصيانة الادوات الزراعية والصناعات الميكانيكية الصغيرة ، والبناء وصناعة صيد السمك » (٤) • ولذلك فيجب زيادة عدد المدارس وزيادة عدد الطلاب بغية تخريج الأعداد الكافية من المساعدين الفنيين المتخصصين فى الصناعة لمواجهة الاتساع فى ميادين الحياة الاقتصادية تبعا لتطور المجتمع ، على

(١) محمد سليمان شعلان : بحث فى المناهج الدراسية .. طرابلس ص ٦ .
(2) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 69.
(3) Ibid, P. 74.
(4) Ibid, P. 76.

أن تزود هذه المدارس بالمعدات والتجهيزات اللازمة .

٣ ـ وبالنسبة للتعليم الزراعى فان التخطيط يجب أن يهدف الى « تحسين طرق الانتاج التى يستخدمها السكان فى استغلالهم ـ للارض ـ حاليا ، ويجب التأكيد على تعليم الأفـراد اتقان ما يقومون به الآن ، وأن يكون للبرامج التعليمية فى مجال الزراعة أساس متـين فى التعليم العـام » (١) . ويجب أن يشمل التخطيط فى التعليم الزراعى أيضا على اعـداد رواد فى التعليم الزراعى الريفى ، ويـتم ذلك عن طريق تنظيم « تدريب طويل المدى يضم المدرسين المتخرجين من معاهد اعداد المعلمين وعملوا بالتدريس لمدة ثلاث سنوات ويستغرق تدريبهم لمدة عام واحد فى شئون الزراعة وما يتطلبه التعليم الريفى . وعن طريق تنظيم تدريب قصير المدى لمـدة ثلاثة شهور للعاملين فى مجال التدريس الريفى أثناء الخـدمة . كما يـتم عن طريق ايفـاد بعثات للمتخصصين فى المجـال الزراعى » (٢) . ويتم ذلك عن طريق التوسع فى قبول الطلاب بمدارس التعليم الزراعى ، وأن توجه الجهـود للتحقق من أن هـذه المدارس «ستنال حصة معقولةمن الطلبةالذين يتمون دراستهم الابتدائيةوالاعدادية وذلك للتخفيف من شدة التحيز التقليدى فى صالح التعليم العام » (٣) .

٤ ـ وبالنسبة للتعليم التجارى فان التخطيط يجب أن يهدف الى اعداد معلمين فى هذا المجال ، وأن يتم تدريب الطلاب تدريبا ميدانيا على أعمال المحاسبة وأعمـال السكرتارية والمخازن فى المصـارف ومصلحة الضرائب والشركات والمـوانىء للاطلاع على عمليـات التخليص عـلى البضائع والعمليات الجمركية ، كما يجب اتاحة الفرصة أمام تعليم البنت الشئون التجارية « سدا للنقص الملحوظ فى هذا الميدان ، ولأن هـذه المدارس تعد المجالات من الأعمال التى تتفق وطبيعة المرأة » (٤) . ولاشك

(1) Ibid, P. 13.
(2) Ibid, P. 81.
(٣) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٢ .
(٤) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم الفنى والمهنى بحث رقم ٥ ص ٩ .

أن تدريب الفتيات على أعمال السكرتارية من الأمور الصحيحة لتساهم المرأة فى المجالات التى تناسب طبيعتها • وفى هـذا المجال يجب تزويد المدارس التجارية بالآلات الـكاتبة والحاسبة وغـيرها من التجهيزات اللازمة لخدمة العمل التجارى •

ولا شك أن تنفيذ هذه الخطط لتنظيم التعليم الفنى والمهنى يشـير الى « ضرورة تقديم مساعدات متزايدة ـ ماديا وفنيا ـ الى ليبيا من الخارج ، وهـذه المساعدات سوف تكون ضرورية لفترة طويلة ، وفى داخل ليبيـا فانه مطلوب من المواطنين أن يثقـوا بأنفسهم ويتحمـلوا مسئوليات هذا العمل وأن يكون عندهم تصميم على العمل الشاق وانكار الذات ، لأن البرنامج الاصلاحى لن يكون سهلا ولأن النتائج المرغوبة ترتبط بالجهود المبذولة » (١) • وهـذا ينطبق على المساعدات المـادية الى أن تستطيع الموارد المحلية الوفاء بالتزاماتها ، وينطبق على المساعدة فى مجال الخبرة الفنية لتعويض النقص فى الخبرات والمهارات الفنية •

سابعا ـ التعليم الجامعى :

لم يتواجد تعليم جامعى فى ليبيا الا منـذ العام الدراسى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ م ، ولم يتح تعليم جامعى الا لعدد قليل أوفدوا فى بعثات الى الخارج وجاء انشاء الجامعة الليبية استكمالا للسلم التعليمى فى ليبيـا ولتوفير القيادات الفكرية والروحية الواعية والكفاءات الفنية فى مختلف المجالات•

ويجب أن يتضمن التخطيط للتعليم الجامعى الاجراءات الآتية :

١ ـ يجب علينا نحن الليبيين أن « نعى واقعنا الذى نعيشه والمشاكل التى تعترض طريقنا حتى تتبين نقاط ضعفنا وقوتنا ، ومن ناحية أخرى يجب أن نتفهم واقع العصر الذى نعيش فيه ونرسم لنا سياسة مرنة هادفة مفتوحة تستفيد من حضارات الآخرين ، وتتجنب الوقوع فى أخطائهم ومشاكلهم وتستنبط منهم الأشياء والأفكار التى ثبتت فائدتها والتى تتلاءم

---

(1) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 17.

مع معتقداتنا وفلسفتنا فى الحياة » (١) من أجل رسم سياسة جامعيةواعية تسعى الى اعداد التخصصات التى يتطلبها المجتمع العربى الليبى فىنهوضه وتقدمه تخلصا من تخلف فرضته قوى أجنبية سيطرت على ليبيا لفترات طويلة من تاريخها .

٢ ـ توفير أعداد الأساتذة اللازمين للتدريس فى الجامعة عن طريق ارسال البعثات الى الخارج والاستفادة بالأساتذة من الخارج فى هـذا المجال .

٣ ـ اعداد المبانى الصالحة لكليات الجامعة مع تزويدها بالتجهيزات والأدوات والوسائل اللازمة وبناء مدينة جامعية للطلاب والطالبات .

٤ ـ ينبغى اعداد خريجى الجامعة الليبية اعدادا يمكنهم من خوض غمار الحياة الاقتصادية فى البـلاد وتسلم زمام القيادة فى المستقبل من الناحيتين الفكرية والمادية « وسينتظم الكثير من الخريجين فى صفوف الاداريين فى المصالح الحكومية ، كما سيمارس غـيرهم مهنة التدريس وخصوصا فى المدارس الثانوية ولذلك يجب التوسع فى الالتحاقبالجامعة ولكن دون اسراع ، وأن يتم تنظيم الدراسة فى الجامعة حتى لا يحدث نشوء فائض من خريجى الكليات الأدبية الذين لا يستطيعون ايجاد عمل يتلاءم وما يتوقعون ، وكذلك نشوء نقص فى الفنيين الذين يستطيعون انجاز مهام عملية فى ميدانى الزراعة والصـناعة وفى قطاعات الاقتصاد الأخـرى » (٢) .

٥ ـ توجيـه الاهتمام الى موضـوع انتظام الطلاب وحضـورهم واشتراكهم فى الحياة الجامعية ، اذ « من النواحى التى لها أهمية خاصة تنمية عادة الدراسـة والتفكير المستقلين وذلك بزيادة الاهتمام بناحيـة البحث فى المكتبة وبعقد حلقات دراسية تهيىء لكل من الطالب والاستاذ فرصة تبادل الرأى على نحو مفيد » (٣) .

---

(١) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٢٦ .
(٢) البنك الدولى للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ١٨٠
(٣) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٨١ .

ثامنــا ـ ربط التعليم بخطة التنمية :

١ ـ تأتى أهمية ارتباط التعليم بخطة التنمية من حقيقة أن التعليم مسئول عن توفير الطاقات البشرية اللازمة فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بتوفير الأفــراد المدربين وذوى الخــبرة والانتفاع انتفاعا متكاملا من خــدمات الأفراد المتوفرين حاليا . وذلك تحقيقا للأهداف التــالية :

« أ) اعداد المواطن اعدادا يؤهله للقيام بدوره فى مجتمع عصرى كعضو صالح فى هــذا المجتمع مسلح بمعارف مفيدة يمكنه من العمل بها وتطبيقها لخيره وخير بلاده .

« ب ـ اتاحة الفرصة قدر الامكان لكل فرد من ناشئة الأمة لينال حظه من التعليم فى المرحلة الابتدائية وهى التى تعتبر الحد الأدنى لمــا ينبغى أن يبلغه المواطن .

« جـ ـ النهوض بمستويات التعليم بعدها ـ بعد المرحلة الابتدائية ـ حتى يمكن تحقيق الأغراض التى يرمى اليها فى المرحــلة الابتدائية وما يليها .

« د ـ تنويع مناهج الدراسة التى تلى المرحلة الابتدائيةبحيث يتمكن الطالب من اختيار أكثر الموضوعات ملاءمة لمواهبه وميوله .

« هـ ـ التنسيق بين مشروعات التعليم وبين حاجات البلاد فىمختلف ميادين العمل ، علما بأن الأمة مقبــلة على تنفيــذ سياسة عامة للتنمية الاقتصادية تشمل مختلف ميادين الزراعة والصناعة والتجارة » (١) .

٢ ـ ان التوسع السليم فى التعليم يجب أن « يخطط على أساس فترة طويلة من الزمن تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سنة ، والطريقــة الصحيحة لتخطيط أعمال التنمية فى ميدان التعليم هى تحــديد الأهداف النهائية والتأكد من أن كل مرحلة من مراحل التعليم تساهم فى المدى القصــير فى تحقيق هذه الأهداف » (٢) .

---

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم والخطة الخمسية الأولى للتنمية .. بحث رقم ٣ ص ٣ .

(٢) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٣ .

٣ ــ يجب أن يكون واضحا من البــداية أن زيادة عــدد المدارس الابتدائية تتطلب اعداد مزيد من معلمى المرحلة الابتدائية ، وهــذا يعنى زيادة عدد المعلمين فى معاهد المعلمين والمدارس الثانوية وكليات اعداد المعلمين كما يعــنى أيضا تزايد الطلب على خريجى الجامعة « وحيث أن الأعداد التى تنطوى عليها هذه الناحية تعتبر قليلة نسبيا فى ليبيا فسيكون من المفيد جدا اجراء دراسة شاملة لمــا سيكون عليه الطلب خلال السنوات العشرين أو الثــلاثين القادمة وذلك بالنســبة لأصحاب المهن المختلفــة كالأطباء والممرضات والمساعدين الطبيين والمهندسين المعماريين والمساحين ومهندسى المحاصــيل الزراعية والأطباء البيطريين واخصــائى الغابات والمهندسين والعلماء والمدرسين وما الى ذلك من أصحاب المهن الاخرى، وذلك لــكى يخطط نظام التعليم على نحو يضمن توافر مثــل هؤلاء الاخصائيين » (١) •

٤ ــ يجب أن يكون هناك توازن بين تقرير مبدأ الكم وأهمية الكيف فى السياسة التعليمية ، فلا يكفى فقط تحقيق الالزام لجميع الأطفال الذين فى سن المدرسة الابتدائية ، وانما يجب النهوض بالعمليات التربوية ورفع مستوى الخــدمة التعليمية عن طريق رفع مستوى الــكفاية للمعلمين وتوفيرهم وتحسين الابنية المدرسية والتوسع فيها ، والاهتمام بالكتاب المدرس وتطوير المناهج ، وتنويع الدراسات تحقيقا لمبدأ الفروق الفردية بين الصغار والشباب •

٥ ــ يجب أن يكون هناك توازن بين الاهتمام بالتعليم الثانوى العام والاهتمام بالتعليم الفنى من أجل سد مطالب التنمية ومجالاتها الاقتصادية والاجتماعية وأن يتم « ايجاد توازن تام بين التعليم الابتدائى والثانوى والعــالى ، وبين تعليم الأطفال وتعليم الكبار ، وكذلك بين التعليم العام والتعليم الفنى والمهنى » (٢) •

---

(١) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٣ .

(2) The economic development of Libya, P. 8.

المراجع

أولا ــ الوثائق :

١ ــ وثائق عربيـــة : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

٢ ــ وثائق تركية : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

٣ ــ وثائق ايطالية : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

ثانيــا ــ الدوريات :

١ ــ جريدة طرابلس غرب : جريدة الولاية الرسمية صدرت منذ عام ١٨٦٦ م فى طرابلس •

٢ ــ جريدة الترقى : صدرت فى طرابلس عام ١٩٠٦ م •

٣ ــ حولية الثقافة العربية : السنة الأولى ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ م ــ جامعة الدول العربية ــ القاهرة ١٩٤٩ م •

٤ ــ حوليــة الثقافة العربية : السنة الثانية ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ م ــ جامعة الدول العربية ــ القاهرة ١٩٥١ م •

٥ ــ حولية الثقافة العـــربية : السنة الثالثة ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ م ــ جامعة الدول العربية ــ القاهرة ١٩٥٣ م •

ثالثــا ــ التقارير الرسمية :

أ ــ تقارير هيئة الأمم المتحدة :

1 — Annual report of the United Nations Commissioner in Libya, presented in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records : fifth session supplement No. 15/A/1340. Lake Success, New York, 1950. Annex XXVIII : Memorandum on educational organization in Libya under Italian administration, submitted by the representative of Italy on the Council for Libya.

2 — Second annual report of the United Nations Commissioner in Libya, prepared in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records : sixth session, supplement No. 17 (A/1949). Paris, 1951.

3 — Supplementary report to the second annual report of the United Nations Commissioner in Libya, prepared in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records, sixth session supplement No. 17 A (A/1949/Add. 1) Paris, 1952.

4 — Report of the Mission to Libya, Educational Mission - V. Published by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Copyright, Paris, 1952.

5 — Carter Goodrich : Report of the United Nations preparatory Mission of technical assistance to Libya, New York, U.N. (TAB/R/57) August 1950.

6 — Benjamin Higgins : The economic and social development of Libya (A/AC. 32/TA/16).

7 — O.J. Wheatley : Agricultural Organizations for the improvment of Libyan agriculture, (FAO/52/1/436), December 1951.

8 — G.W.Cole : Social welfare conditions and social welfare services in Libya. (A/AC. 32/TA/24).

9 — R. Le Tourneau : Libyan education and its development, December 1951. A/AC. 32/TA. 35.

وأصل التقرير باللغة الفرنسية ، وقد ترجم الى العربية تحت عنـوان :

تقرير عن التعليم فى ليبيا مقدم لهيئة اليونسكو ، من خبـير التعليم الموفد الى ليبيا من منظمة اليونسكو وهو مسيو روجيه لى تورنو .

10 — General Assembly, Official records, Agenda item 21, annexes, fifth session, New York, 1950. Former Italian Colonies. Document A/1387. Annual report of the French Government to the General Assembly Concerning the administration of the Fezzan (Original text French) (22 September 1950).

11 — Document A/1390 (incorporating A/1390/Add-1). Annual report of the Government of the United Kingdom to the General Assembly, Concerning the administration Cyrenaica and Tripolitania

(Original text : English) (29 September 1950). by Gladwyn Jebb. Representative of the United Kingdom to the United Nations.

12 — The Economic development of Libya, published for the International Bank for Reconstruction and Development, by the Johns Hopkins press, Baltimore. Report of a Mission organized by the International Bank for Reconstruction and Development at the request of the Government of Libya. Washington, D.C. December 1959.

13 — The Economic development of Libya, report of a mission organized by the International Bank for Reconstruction and Development, Washington, D. C. April 1960.

وله ترجمة بالعربية تحت عنوان : التنمية الاقتصادية في ليبيا :
البنك الدولى للانشاء والتعمير ، ابريل ١٩٦٠ م واشنطن .

14 — Report of the Commission of Investigation for the former Italian colonies drown up in 1948.

15 — Four Power Commission of Investigation for the former Italian colonies, Vol. III Libya. 1949.

له ترجمة عربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

16 — Official records of the fourth session of the General Assembly : plenary meetings of the General Assembly, summary records of meetings, 20 September — 10 December 1949.

ب ــ تقارير الادارة البريطانية :

١ ــ تقرير مدير التعليم فى ليبيا أثناء الادارة البريطانية عام ١٩٤٧ م:

1 — A.J. Steele Greige : Ashort history of education in Tripolitania, 1947.

٢ ــ تقرير مدير التعليم فى ليبيا أثناء الادارة البريطانية عام ١٩٤٨ م:

2 — A.J. Steele Greige : History of education in Tripolitania, 1948.

ج ــ تقارير الحكومة الليبية :

١ ــ تطور التعليم فى ليبيـــا :

اعداد وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصـــادى فى الدول العربيـــة المنعقد فى طرابلس فى أبريل ١٩٦٦ م .

٢ ـ **التعليم الديـنى فى ليبيـا :**
من بحوث وفد ليبيـا فى مؤتمر وزراء التربيـة والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربيـة المنعقد فى طرابلس ـ ابريل ١٩٦٦ م .

٣ ـ **التعليم الفنى والمهنى فى ليبيا :**
من بحوث وفـد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربيـة والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادىفى الدول العربية المنعقدبطرابلس ابريل ١٩٦٦ م .

٤ ـ **تعليم البنت فى ليبيا :**
من بحوث وفـد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربيـة والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد فـى طرابلس ـ ابريل ١٩٦٦ م .

٥ ـ **التعليم والخـطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيـا :**
بحث رقم ٣ من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد بطرابلس ـ ابريل ١٩٦٦ م .

٦ ـ **التعليم الابتدائى فى ليبيـا :**
محاضرة للدكتور ـ محمد الهادى عفيفى فى برنامج اعداد المدرسين عام ١٩٦٩ م ـ طرابلس .

٧ ـ **عرض لنظام التعليم وتطوره فى ليبيا :**
محاضرة للدكتور رافت غنيمى الشيخ فى برنامج اعداد المدرسـين بطرابلس عام ١٩٦٩ م .

٨ ـ **تطور التعليم فى ليبيا :**
بحث للدكتور رافت غنيمى الشيخ قدم للمؤتمر التربوىالاول المنعقد بطرابلس ـ سبتمبر ١٩٧٠ م .

٩ ـ **بحث فى المناهج الدراسية ونظم الامتحانات فىالتعليم العام والفنى :**
للاستاذ محمد سليمان شعلان : قدم للمؤتمر التربوى الثانى المنعقد بطرابلس ـ اكتوبر ١٩٧١ م .

رابعا ـ المؤلفات العربية :

١ ـ احمد النائب الانصارى : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، جزآن ، الآستانة ١٨٩٩ م .

٢ ـ احمد النائب الانصارى : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ـ تحقيق وتقديم على مصطفى المصراتى ـ منشورات المكتب التجارى ـ بيروت ١٩٦٣ م .

٣ ـ ابن غلبون (ابو عبد الله محمد بن خليل غلبون) : تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الطاهر الزاوى ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٤ ـ التيجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) : رحلة التيجانى ـ نشرها وقدم لها حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٦٠ م .

٥ ـ رحلة الحشائش الى ليبيا ، تحقيق على مصطفى المصراتى ، بيروت ١٩٦٥ م .

٦ ـ انتونى جوزيف كاكيا (الميجور) تعريب يوسف العسلى : ليبيا فى العهد العثمانى الثانى ١٨٣٥ ـ ١٩١١ م ـ القاهرة ١٩٤٦ م .

٧ ـ الطاهر احمد الزاوى : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى الى نهاية الحكم التركى ، بيروت ١٩٧٠ م .

٨ ـ الطاهر احمد الزاوى : جهاد الابطال فى طرابلس الغرب ، القاهرة ١٩٥٠ م .

٩ ـ الطاهر احمد الزاوى : عمر المختار ، الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطنى فى طرابلس الغرب ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٠ـ الطاهر احمد الزاوى : معجم البلدان الليبية ، طرابلس ١٩٦٨ م .

١١ـ على مصطفى المصراتى : اعلام من طرابلس ، طرابلس ١٩٥٥ م .

١٢ـ على مصطفى المصراتى : غومة فارس الصحراء ، بيروت ١٩٦٠ م .

١٣ـ على مصطفى المصراتى : كفاح صحفى ـ ابى قشة وجريدته فى طرابلس الغرب ، بيروت ١٩٦١ م .

١٤ـ على مصطفى المصراتى : سعدون البطل الشهيد ـ صفحة من نضال الشعب الليبى ، منشورات المكتب التجارى ـ بيروت ١٩٦٤ م .

١٥ـ حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر ـ الالف كتاب مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٦٢ م .

١٦ـ احمد على الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ، طرابلس ١٩٦٧ م .

١٧ـ راسم رشدى : طرابلس الغرب فى الماضى والحاضر ، طرابلس الغرب ١٩٥٣ م .

١٨ـ خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ، سلسلة الكتاب الليبى ، وزارة الارشاد ١٩٦٠ م .

١٩ـ رودلفو ميكاكى (تعريب طه فوزى) : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلى ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦١ م .

٢٠ـ ريتشارد توللى (ترجمة عمر الديراوى أبو حجلة) : عشر سنوات فى بلاط طرابلس ـ طرابلس ١٩٦١ م .

٢١ـ زعيمة سليمان البارونى : صفحات خالدة من الكفاح الوطنى لسليمان البارونى ـ القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٢ـ سالنامة نظارة معارف عمومية (الكتاب السنوى لوزارة المعارف) تركى ـ استانبول ١٣١٩ هـ .

٢٣ـ شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامى ـ تعليق ـ جزآن ـ القاهرة ١٩٣٥ م .

٢٤ـ عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ الى القرن ١٩ ـ القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٥ـ د. عمر التومى الشيبانى : آراء فى الاصلاح التربوى ، طرابلس ١٩٦٦ م (الكتاب الليبى) .

٢٦ـ عزيز سامح (ترجمة عبد السلام ادهم) : الاتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية ـ ١٩٦٩ م .

٢٧ـ عمر على بن اسماعيل : انهيار حكم الاسرة القرمانلية فى ليبيا ١٧٩٥ ـ ١٨٣٥ م ـ طرابلس ١٩٦٦ م .

٢٨ـ محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ـ مطبعة الحلبى .

٢٩ـ د. أحمد مختار عمر : النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الاسلامى حتى بداية العصر التركى ـ منشورات الجامعة الليبية ـ كلية التربية ـ طرابلس ١٩٧١ م .

٣٠ـ د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ـ القاهرة ١٩٤٨ م .

٣١ـ د. محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، جزآن ـ القاهرة ١٩٥٧ م .

٣٢ـ د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤م القاهرة ١٩٦٦ م .

٣٣ـ د. أحمد صدقى الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى أو طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى الثانى (١٨٨٢ ـ ١٩١١ م) القاهرة ١٩٧١ م .

٣٤ـ د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٨ م .

٣٥ـ د. نقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة ، بيروت ١٩٥٠ م .
٣٦ـ مصطفى عبد الله بعيو : المجمل فى تاريخ لوبيا ـ القاهرة ١٩٤٧ م .
٣٧ـ مصطفى عبدالله بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى ، القاهرة ١٩٤٥ م
٣٨ـ محمد نورى ومحمود ناجى : طرابلس غربتاريخى (تركى) استانبول ١٣٣٠ هـ .
٣٩ـ محمود الشنيطى : قضية ليبيا ، القاهرة ١٩٥١ م .
٤٠ـ محمد مصطفى بازامة : بداية المأساة او التمهيد السياسى للاحتلال الايطالى ـ بنغازى ١٩٦١ م .
٤١ـ محمد مصطفى بازامة : العدوان او الحرب بين ايطاليا وتركيا فى ليبيا طرابلس ١٩٦٥ م .
٤٢ـ محمد بن مسعود : كأنك معى فى طرابلس وتونس ، طرابلس ١٩٥٣م
٤٣ـ محمد بن مسعود : تاريخ ليبيا العام ، جزآن ، طرابلس ١٩٥١ م .
٤٤ـ محمد الطيب الاشهب : عمر المختار (ابطال الجهاد والسياسة فى ليبيا) ، القاهرة ١٩٥٦ م .
٤٥ـ محمد الطيب الاشهب : برقة العربية امس واليوم ـ القاهرة ١٩٤٦م
٤٦ـ د. محمد الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ، القاهرة ١٩٦٢ م.

خامسا : اهم المؤلفات الاجنبية :

1 — A. Festa : La Scuola Italiana, 1930.

2 — A. Piccioli : La rivascita della Tripolitania, 1926.

3 — M. Tortonese : La Istituzioni scolastiche in Libya.

4 — A. J. Cachia : Libya under the second Ottoman occupation, 1835 — 1911, Tripoli, 1945.

محتويات الكتاب

طبع بمطابع
دار
الحقيقة
هاتف : ٦٦٧٧ — بنغازي